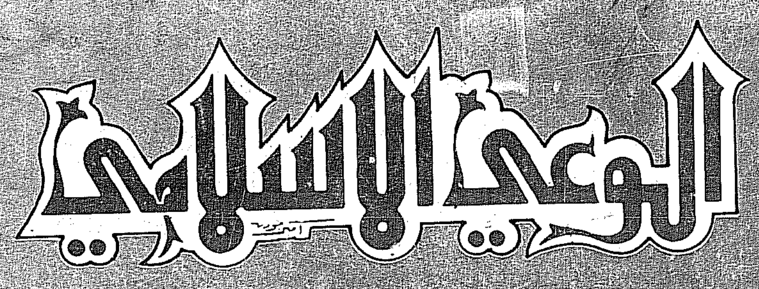


إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٢٤ / شعبان ١٤٠٣هـ مايو / يونيو ١٩٨٣ م

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال:
قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من الشهور
ما تصوم من شعبان؟ قال:
ذاك شهر يغفل الناس عنه
بين رجب ورمضان، وهو شهر
ترفع فيه الأعمال إلى رب
العالمين، وأحب أن يرفع عملي
وأنا صائم

رواه مسلم

هديتك مع العدد: مجلة براعم الايمان

قَالَ اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى:

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

الآيَة ٩٧ مِنْ سُورَة النَّحل



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٢٤ ـ شعبان ١٤٠٣ هـ ـ مايو / يونيو ١٩٨٣ م

هدفها

المزيد من الوعي، وايقاظ الروح، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤-٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش م ل)

ص. ب «٤٢٢٨» بيروت لبنان

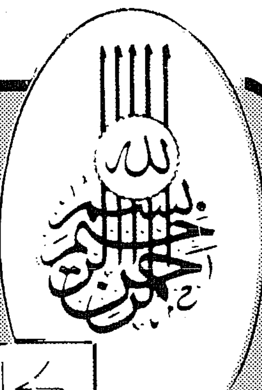
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

البلد	الثمن
الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



كلمة الوعي

من خان ميثاق الله فليس بمؤمن

لقد أخذ الله الميثاق المؤكد على النبيين عامة ، وعلى النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ واولي العزم من الرسل خاصة ان يحملوا رسالة الله ويستقيموا عليها ويبلغوها للناس : **(وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا)**

والوصية التي أخذ الله عليهم الميثاق بتبليغها هي التي أشار الله اليها في قوله : **(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما**

وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)

وقد خص الله الأنبياء المذكورين في الآية لأنهم أكابر الأنبياء ، وكل واحد منهم له شريعة مطلوب منه أن يبلغها، وأما من عداهم فكان يبعث بتبليغ شرع من قبله .. والرسالة الخاتمة ـ رسالة الاسلام ـ جمعت جميع الشرائع المتقدمة في أصول الاعتقاد وأصول الأحكام ، وزادت عليها ولهذا كانت الوصية جعلها قائمة مستمرة محفوظة من غير خلاف فيها ولا اضطراب :(**ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**) .. واذا كان الدين الذي جاءت به جميع الرسل الذين سبقوا رسالة الاسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال عز وجل لرسوله :(**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**) الانبياء / ٢٥ فالرسالة الاسلامية قد جاءت بذلك ، واشتملت على كل علم نافع وكل حلال وحرام ، وعلى ما يحتاج الناس اليه في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم ، وعلى ما يهدي القلوب ، وعلى الرحمة والبشرى للمسلمين قال تعالى:(**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين**) سورة النحل/ ٨٩

ويوم القيامة يسأل الله تعالى رسله عن تبليغهم مع علمه سبحانه بصدقهم ، ليكون ذلك توبيخا وتبكيتا للكفار الذين تولوا وأعرضوا عن هداية الله ، فكان لهم العذاب الأليم : (**ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما**) الاحزاب /٨

ومن ذلك سؤاله ـ جل شأنه ـ لعيسى عليه الصلاة والسلام:(**وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله**)

وهو سبحانه يعلم أن عيسى ما قال هذا وإنما قال لهم التوحيد الذي أمره الله به :(**قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد**)

و أرسل الله رسله مبشرين ومنذرين ، وأخذ عليهم الميثاق بالتبليغ لتقوم حجته على الناس ، فيكونوا مسئولين عنده عن إيمانهم وكفرهم ، وطاعتهم وعصيانهم ، ولتقطع حجة من يقول : لو أرسل الي رسول لآمنت وأطعت قال تعالى : (**رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله**

حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما) النساء / ١١٥

وبين الله تعالى أنه لا يصلح في عدله وشرعه أن يعذب قوما على عمل دون أن يبعث إليهم رسولا يبصرهم وينير الطريق أمامهم . فقال : **(وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)** الاسراء / ١٥

ولكي يكون تبليغ الرسالة على أكمل وجه وأحسنه بعث الله كل رسول بلغة قومه ليبين لهم شرع الله بيانا واضحا ، ويفهمهم أصول رسالته وأحكامها بيسر وسهولة .. أما أمر هداية الناس وإيمانهم فذلك بيد الله وحده ، وليس من وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام . قال تعالى : **(وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم)** ابراهيم / ٤

وكما أخذ الله الميثاق على النبيين بتبليغ الرسالة أخذ عليهم موثقا جليلا أن يؤمنوا بكل رسول يأتي مصدقا لما معهم ، وينصروه ، ويتبعوا شريعته وذلك قوله تعالى : **(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين)** آل عمران / ٨١

وهكذا يسير موكب رسل الله متساندا ، كل يسلم الأمانة لمن بعده ، ويؤمن به .. فالله سبحانه هو الذي ينقل خطى دعوته بين أجيال البشر ، ويقود مسيرتها حتى الرسالة الخاتمة التي بعث بها محمدا الى الناس كافة

وفي ظل هذه الحقيقة يخلص دين الله لله وحده ، فلا عصبية من رسول لشخصه ولا لقومه ، ولا عصبية من أتباع رسول لأنفسهم أو قوميتهم

وفي ظل هذه الحقيقة يبدو الذين يتخلفون من أهل الكتاب عن الإيمان برسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ تعصبا لأنفسهم في صورة التعصب لدياناتهم خارجين عن تعاليم أنبيائهم التي دعتهم إلى الإيمان به ونصرته ، خارجين عن النظام الذي وضعه الله وطلب من البشرية أن تستقيم عليه قال تعالى : **(فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون . أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون)** . آل عمران / ٨٢ و ٨٣

وقد ذكر الله في كتابه الكريم أنه أخذ الميثاق على أهل الكتاب أن يبينوا ما في التوارة ولا يكتموا الحق الذي يعلمونه فيها من نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنهم نبذوا العهد وراء ظهورهم ليحدثوا الشك في مفهوم الدين وفي صحة الاسلام، واختاروا أن يتعوضوا عما وعدوا به من خير الدنيا والآخرة بالحظوظ الدنيوية الخسيسة. قال تعالى: (**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون**) آل عمران/١٨٧

ويشترك في الكفر والعذاب المهين يوم القيامة من لم يؤمنوا بالله ورسله ومن آمنوا بالله ولم يؤمنوا برسله، ومن آمنوا ببعض الأنبياء دون بعض

(**إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا. أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا**)

وقد فرق اليهود بين الرسل في الايمان فآمنوا بالأنبياء وكفروا بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.. وكذلك فعل النصارى فآمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ

أما المؤمنون بالله وبجميع رسله فلهم من الله الأجر والمغفرة والرحمة كما قال سبحانه (**والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما**) النساء /١٥٢

ولا عجب أن يكون الايمان بجميع رسل الله شأن المؤمنين برسالة الاسلام فان من قواعد تلك الرسالة الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله دون تفريق بين رسول ورسول كما قال جل شأنه: (**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**)

وإذا كان اكثر اهل الكتاب كفارا فان فريقا منهم آمن بالاسلام وخشع لله ولم تفتنه زخارف الحياة عن الحق. وذلك قوله تعالى:

(**وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب**) آل عمران/١٩٩

وبعد ان قال الله في شأن اليهود (**وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما**)

النساء / ١٦١ قال في شأن من امن منهم بالاسلام : (**لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما**) النساء / ١٦٢

ومن كل ما تقدم يتبين أن رسل الله جميعا تعاهدوا على تبليغ دين الله والاستقامة عليه ، وأخذوا على أممهم الميثاق الذي أخذه الله عليهم أن يؤمنوا بكل رسول يأتي مصدقا لما معهم ويتبعوا شريعته ..

وأن من تولى عن الشريعة الخاتمة من أهل الكتاب فقد تولى عن دين الله كله ، ووصف الكفر لازم له ما دام علىٰ ذلك اذ الاسلام هو دين الناس كافة ، وهو الواجب الطاعة من كل حي في هذا الوجود (**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**) آل عمران / ٨٥ (**ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين**) المائدة / ٥

وأن القرآن الكريم الذي أوحى الله به الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الكتاب الأخير للبشرية وهو مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه ، وإليه تنتهي شريعة الله التي ارتضاها لعباده إلى يوم الدين .

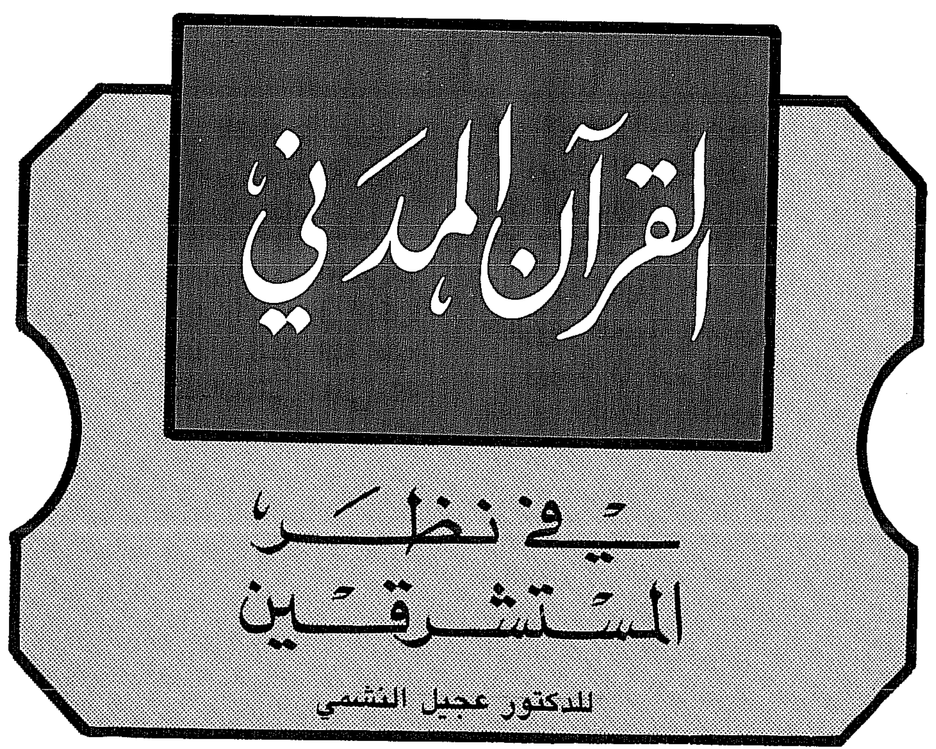
وأن ما أقرته الشريعة الاسلامية من شرائع أهل الكتاب قبلها فهو من شرع الله ، وما نسخته فقد انتهى العمل به :(**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه**) المائدة /٤٨

وأن الله بانزال الشريعة الاسلامية قد أكمل الدين وأتم النعمة ورضي الاسلام دينا للناس كافة:(**اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**) المائدة /٣

وأن منهج الاسلام هو المنهج الذي يتناسق مع النظام الكوني الذي خلقه الله ، ومع الفطرة التي فطر الناس عليها .. ومن ثم كانت سعادة الانسان وراحة فؤاده وطمأنينة نفسه في اتباع هذا المنهج . ولذلك دعا الله الانسان لاتباعه فقال : (**فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون**) الروم / ٣٠

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



ان نظـرة المستشرقـين للقرآن المدني في عمومه نظرة مـوغلة في التجنـي وتكـاد آراء وتصـورات المغرضين من المستشرقين تتوحد في ذلك ، ويعبر Goldziher عن فكرتهم فيقول : « وفي المدينة استمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) يظهر انه موحى له بواسطة الروح الالهي كما أن الجانب الأكبر من القرآن نراه يحمل طابع وطنه الجديد .

ولكن اذا كان محمد (صلى الله عليه وسلم) في حالته الجديدة قد استمر في الشعور برسالته وبوجوب تأديتها ، فإن تبشيره قد اتخذ الى جانب هذا اتجاها جديدا ، فلم يصبح حديثه حديث من استنارت عليه الرؤى المشبعة بالدار الآخرة وما يكون فيها . بل إن تلك الحالة الجديدة جعلت منه ايضا مجاهدا وغازيا ورجل دولـة ومنظم جماعة جديدة اصبحت تتسع وتنمو شيئا فشيئا . عندئـذ اتخذ الاسـلام باعتبـاره نظامـا شكلـه النهائي ، وعندئذ ظهرت البذور الأولى لنظـامـه الاجتمـاعـي والفقـهـي والسياسي .

ثم يضيف قائلا : وفي المدينة صار الرجل الذي كان بـالأمس ضحية صابرة ، والذي كان يدعو في وسط فريق صغير من أتباعه والذي شرد عن الوسط الذي كان يسوده اشراف مكة ، والذي كان خاضعا مسلما ، صار هذا الرجل – وتلك كانت حالته – ينظم اعمالا حديثة ، كما ينظم طريقة توزيع الغنائم والاسلاب ، ويضـع القوانين لتنظيم الأموال والمواريث ، بعد أن كان زاهدا في المال وجمعه ، نعم إنه استمر في التحدث عن باطل هذه الحياة وأمورها ومتاعها ، لكنه مع

هذا أصبح يملي القوانين ، ويضع الترتيب لأمور الدين العملية وأهم احتياجات الحياة الاجتماعية .

ويقول أيضا : إن العصر المدني قد أدخل تعديلا جوهريا حتى في الفكرة التي كونها محمد (صلى الله عليه وسلم) عن طابعه الخاص ، ففي مكة كان يشعر أنه نبي يتمم برسالته سلسلة رسل التوراة ، وأن لهذا عليه - مثل أولئك الرسل - أن يقوم بإنذار أمثاله في الانسانية وإنقاذهم من الضلال .

أما في المدينة ، وقد تغيرت الظروف الخارجية ، فقد تغيرت مقاصده وخططه واتجهت اتجاها آخر كذلك بحكم الظروف الخارجية ، ولا غرو : فقد وجد في بيئة تختلف عن بيئة مكة ، فكان هذا مما جعله يرفع إلى المقام الأول مظاهر أخرى من مظاهر رسالته النبوية » « العقيدة والشريعة ص ١٦ وما بعدها » .

ويلخص مستشرق آخر فكرة المستشرقين تلك ، فيقول : « وقد أكد الكتاب الأوربيون مرارا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) سلك مسلكا جديدا تمام الجدة منذ هاجر إلى المدينة ومنذ أن تغيرت ظروف حياته هناك ، وإنه لم يعد بعد ذلك البشير النذير المرسل إلى الناس الذين كانوا قد أقنعهم بالحجة بصدق الدين الذي أوحى إليه ، وإنما ظهر الآن أقرب الى أن يكون متعصبا مندفعا يستغل كل ما في سلطته من قوة ومهارة سياسية في فرض نفسه وفرض آرائه « الدعوة إلى الاسلام السير أرنولد » .

ويريد المستشرقون من مقالتهم تلك التوصل إلى أن القرآن ومنهج النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد تغير في المدينة عنه في مكة لتغير الظروف المحيطة بالدعوة .

ويهمنا في الرد هنا مناقشة مدى تغير القرآن الكريم كمصدر تشريعي .

فان عملية الفصل بين القرآن النازل في مكة والنازل في المدينة عملية خاطئة من أساسها فإن القرآن وحدة واحدة متكاملة ، فأساسات البناء الاجتماعي والتشريعي في المدينة بنيت في مكة - كما سبق - فمقولة أن البذور الأولى للنظام الاجتماعي والفقهي والسياسي ظهرت في المدينة قول غير صحيح في جملته ، صحيح أن اكتمال البناء والنظام الاجتماعي والفقهي والسياسي قد تم وتكامل في المدينة ، لكن هذا لا يستلزم قطع صلته بجذوره في مكة لا من حيث ألفاظه ورسمه اللغوى والبلاغي ولا من حيث مضمون آياته وتوجيهاته فمضمون الآيات ومنهج القرآن واحد لم يتغير ، فاذا كانت آيات الأحكام والتشريع تنزلت بكثرة وتكاملت في المدينة فلأن مرحلة الجماعة المسلمة أو الدولة المسلمة تستدعيها .

وفي نفس الوقت فقد كانت آيات الأحكام والتشريع موجودة أيضا في مكة لكنها كانت قليلة يسيرة متناسبة وأوضاع النشأة الاولى

فـإذا تكامل التشريع بتنامي الجماعة المسلمة فهذا لا يعني البتة

تغير الوحي أو القرآن أو المنهج والخطة ، بل يعني التكامل والنضج .

حتى الجهاد الذي فرض في المدينة

لا يعني تغير الخطة والمنهج الدعوى ، فقد كان مبدأ الجهاد مقررا في مكة ، وكان فيها من الجهاد ما يتناسب ودور الجماعة المسلمة ، لقد كان هناك جهاد النفس وجهاد الصبر على ترك التصورات والعادات والأعراف الجاهلية والصبر على أذى المشركين .

لقد كان المبدأ العام هو الصفح والعفو عن المسيئين .

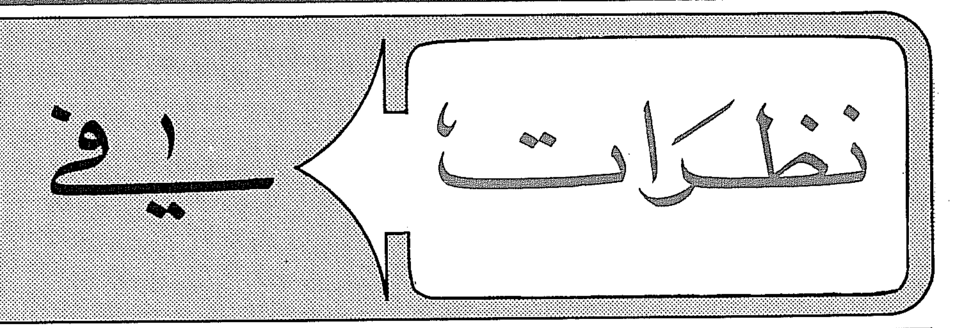
وهذا المبدأ ليس فيه تعارض ومبدأ الجهاد والحرب ، فالى جانب تشريع الجهاد ووجوب حرب كفار قريش ومن والاهم فإن مبدأ العفو والصفح ظل يعمل عمله وظل ا لقرآن المدني يذكر به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيقول تبارك وتعالى في سورة البقرة وهي مدنية : (**ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره**) ١٠٩ وقال تعالى عن اليهود : (**ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين**) المائدة/ ١٣ وقوله تعالى : (**من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا**) النساء/ ٨٠

وحتى الصفح والعفو المأمور به في مكة كان القرآن ينتقل منه أحيانا إلى درجة توعد المشركين بالمواجهة القريبه في الدنيا أو في الآخرة ، كقوله تعالى : (**كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية . ناصية كاذبة خاطئة**) العلق/ ١٥ ، ١٦ وقوله : (**ذرني والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا**) المزمل/ ١١ وقوله : (**إنهم يكيدون كيدا . وأكيد كيدا . فمهل الكافرين أمهلهم رويدا**) الطارق/ ١٥ ـ ١٧

فكل ما كان من جديد في المدينة لا يخرج عن كونه تكميلا وتكاملا يتناسب والتصورات الواحدة في مكةوالمدينة من جهة ومن جهة أخرى يتفق والمراحل المتنامية للجماعة والدولة المسلمة .

وأما دعوى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد غير خطته فهذا أيضا من الهراء المزعوم ، فإن المبدأ الذي أعلنه في مكة وربى الصحابة عليه مبدأ الإيمان بالله وحده وتمثل الوحدانية والشهادة لله ورسوله .

هو هو لم يتغير ، وتفويض الأمر والحكم لله هو هو ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة بالتي هي أحسن ثم الجهاد في سبيل الله ، كل ذلك بتناسب وتكامل لا تعارض ولا تضاد فيه ، لم يظلم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأمر بظلم في حال ضعف المسلمين وقوتهم لم ينتهك حرمة ، لم يحرم حلالا أو يحل حراما من عند نفسه . فلم تغير الظروف من خطته ولم تفرض عليه مسلكا في منهج الدعوة لا يرتضيه التصور الاسلامي في البناء التشريعي أو الفكري .



والله متم نوره

تقديم :

القرآن الكريم ، دستور الرسالة الاسلامية ، وهو نور من الله تعالى : **(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)** (سورة المائدة : ١٥ ـ ١٦) ..

وقد سمى الله تعالى كتابه نورا ، لانه نور من نور الله ، لا يخبو ابدا ، بل يبقى مشرقا ينير البصائر ، فتهتدي به الى الله ، وتتعرف به على شريعة الله ، وتستقيم به على صراط الله المستقيم .. كما يقول الله تعالى لرسوله الكريم : « **وكذلك اوحينا إليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي الى صراط مستقيم** » (سورة الشورى : ٥٢) ..

وقد وصف الله تعالى رسوله محمدا صلوات الله وسلامه عليه بالسراج

كتاب الله..



المنير فقال تعالى : « **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونـذيرا وداعيا الى الله بإذنـه وسراجـا منيـرا** » (ســورة الأحــزاب : ٤٥ ـ ٤٦) ..

وفي وصف الرسول الكريم من ربه سبحانه بانه سراج منير ، اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم انما يستمد نوره ، من نور كتاب الله ، كما يستمد المصباح نوره من الزيت الذي يوقد فيه .

فمن نور القرآن الكريم ، استمد النبي صلى الله عليه وسلم النور الذي انار به البصائر الى نور الله تعالى ، **فرأت الحق ، وآمنت به** ..

ومن نور القرآن الكريم أخذ كل مؤمن حظه من هذا النور ، على قدر طـاقته ، وعـلى حسب ما انكشف لبصيرته ، كما يشير الى ذلك قوله تعالى : « **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم** » (سورة الحديد : ٢٨) ..

وهذا النور الذي استمده المؤمنون من نور القرآن الكريم ، ومن هدى الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ هو الذي يقودهم الى الجنة ، ويكشف لهم الطريق اليها يوم القيامة ، كما يقول تعالى : « **يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم** » (سورة الحديد : ٢٣) ..

وكما يقول سبحانه : « **يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير** » (سورة التحريم : ٨) .

نور القرآن ، ونور الكتب السابقة :

لقد انزل الله على رسله صحفا وكتبا، كما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم كتابا ، هو القرآن الكريم ..

ولكن هل كلها على درجة واحدة فيما حملت من النور ؟

وننظر في الكتب السماوية التي لا تزال باقية الى اليوم ، وهي التوراة ، والانجيل والقرآن ، لنرى الوصف الذي وصف الله تعالى به كل كتاب منها ..

فعن التوراة التي انزلها الله تعالى على موسى ـ عليه السلام ـ يقول الله تعالى : « **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور** » (سورة المائدة : ٤٤)

.. ففي قوله تعالى : « **فيها هدى ونور** » اشارة الى ان التوراة انما تحمل شيئا من الهدى والنور ، لا كل الهدى والنور ، اذ الهدى والنور واردان عليها ، وداخلان فيها .. يقول الله تعالى عن الانجيل الذى انزله على عيسى ـ عليه السلام : « **وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين** » (سورة المائدة : ٤٦) ..

ففي قوله تعالى عن الانجيل : « فيه هدى ونور » ـ اشارة الى ان الانجيل كالتوراة ، فيه بعض الهدى والنور ، وان الهدى والنور واردان عليه ، وداخلان فيه ، ومضافان الى اصله ..

وهذا لا شك من حكمة الحكيم العليم رب العالمين ، حيث ان التوراة والانجيل ليسا كتابين باقيين على الزمن الى انتهاء الحياة الانسانية على هذا الكوكب الارضي ، بل انهما سيأتي من بعدهما كتاب ، هو القرآن الكريم ، سيخلفهما في الدعوة الى الله ، دعوة عامة للناس جميعا ، لا تختص بقوم ، ولا تنحصر في زمان او مكان ، بل تتخطى حدود الزمان الى يوم النفخة الاولى في الصور ، كما تتخطى حدود المكان الى حيث يكون للناس مكان ..

ومن أجل هذا وصف الحق سبحانه القرآن الكريم بأنه نور ، لا

بأن فيه نورا ، وهذا يعنى أن نور القرآن الكريم نور ذاتي ، في كل كلمة من كلماته ، وفي كل آية من آياته ، وليس نوره نورا عرضيا داخلا عليه ، كما هو شأن النور الكائن في كل من التوراة والانجيل ..

ولهذا أضاف الله تعالى نور القرآن الكريم إلى ذاته سبحانه ، فقال تعالى في أهل الضلال والعناد الذين يكفرون بالله ، وبرسوله ، وبكتابه : (**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**) سورة التوبة / ٣٢ - ٣٣ .. وقال سبحانه في أهل الضلال أيضا : (**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**) سورة الصف : ٨ - ٩ .. ونور الله تعالى هو القرآن الكريم ، وما يحمل من نور وهدى للعالمين ، في كل زمان ومكان .

إنه الوعد الحق :

ففي قوله تعالى : **ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** - حكم من الله تعالى بأن دين الحق - وهو الاسلام - هو الدين الذي سيرث الأديان كلها ، سواء ما كان منها دينا سماويا سبق نزول القرآن ، أو كان دين شرك قذف به الشيطان في قلوب أوليائه .

أما الأديان السماوية التي سبقت نزول القرآن الكريم ، فلم تعدصالحة بعد نزول القرآن ، وذلك لأمور ، منها :

أولا : أنها أديان موقوتة بحياة الرسول الذي حملها إلى قومه ، كما أنها محصورة في هؤلاء القوم ، لا تتعداهم إلى غيرهم ..

وثانيا : أنها قد تغيرت بفعل الزمن ، وبما أدخله عليها أهلها من تبديل وتحريف ، مما كان لرجال الدين دور كبير فيه ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : « **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم** » سورة المائدة : ١٥ - ١٦ .

وثالثا : أن الله تعالى قد تولى بذاته الكريمة حفظ القرآن الكريم من أى تحريف أو تبديل ، وفى هذا يقول سبحانه : « **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** » سورة الحجر : ٩ .. وإنه لمستحيل استحالة مطلقة أن يمس القرآن بتغيير حرف منه ، وهو في حفظ الله جل وعلا ..

أما الكتب السماوية غير القرآن ، فقد وكل الله تعالى إلى الربانيين والأحبار حفظ هذه الكتب ، ومن هنا أمكن أن يدخل عليها التحريف

والتبديل ، وذلك في قوله تعالى : « **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء** » سورة المائدة / ٤٤ ..

وفي أهل الكتاب يقول الله تعالى أيضا : « **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير** » سورة المائدة / ١٥ .. ويقول سبحانه فيهم أيضا : « **ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون** » سورة المائدة / ١٤ .. وقد توعد الله علماء اليهود بقوله سبحانه : « **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون** » سورة البقرة / ٧٩ ..

وإذن فقد جاء القرآن الكريم ، ليصحح ما دخل على التوراة والانجيل من تغيير وتبديل وتحريف ، وهو المحفوظ من الله تعالى ، لا من البشر ، من أن يطوف به أي طائف من هذا الذي حدث للكتب السماوية السابقة ، من صور التحريف والتبديل .

وإذن فليكن القرآن الكريم ، هو الحامل لدين الله ، وهو الاسلام ، إلى آخر الزمان .. فمن آمن به ، وبالرسول الذي أنزله الله تعالى عليه ، كان مؤمنا ، ومن لم يؤمن به ، وبالرسول ، كان على غير الايمان ، كما يقول تعالى : « **إن الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب . فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد** » سورة آل عمران : ١٩ - ٢٠ .. ويقول الحق سبحانه : « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** » سورة آل عمران : ٨٥ ..

ثم ماذا بعد هذا ؟

إنه لابد بعد هذا من أن يتحقق وعد الله باظهار دين الله ، وهو الاسلام ، على الأديان كلها ، سماوية كانت أو غير سماوية ، وأن يكون هو الدين القائم على الانسانية كلها ، لأنه دين الله ، والجامع لما جاء به أنبياء الله جميعا من دين إلى أقوامهم ، حيث كمل بنزول القرآن الدين الذي رضيه الله تعالى دينا للانسانية كلها على امتداد الزمان والمكان ، الى آخر يوم للناس على هذا الكوكب الأرضي ، كما يقول تعالى مخاطبا أمة الاسلام ، ذاكرا فضله عليها : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا** » المائدة / ٣ .. ويقول سبحانه :

« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » سورة آل عمران / ٨٥ ..

وهل تحقق هذا الوعد ؟

وإنا اذا نظرنا إلى المجتمع الانساني ، منذ قامت دعوة الاسلام على يد خاتم النبيين ، محمد صلوات الله وسلامه عليه ـ فانا نجد أكثر الناس على غير دين الاسلام ، وأن أعدادهم أضعاف أعداد المسلمين .. بل إن الذين لا يدينون بدين سماوي أكثر من الذين يدينون بدين سماوي ، من المسلمين ، واليهود ، والنصارى ..

ولكن إذا تجاوزنا النظر إلى الكم ، ونظرنا إلى الكيف ، رأينا أن مؤمنا واحدا بالله ترجح كفته جميع الذين لا يؤمنون بالله ، ولو كانت أعدادهم ألوف الملايين ..

وهنا سؤال ، وهو : هل يمكن أن يحمل قوله تعالى : « **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** » ـ هل يمكن أن يحمل كلام الله هذا على هذا المعنى الذي أشرنا اليه ، من اعتبار الكيف دون الكم ؟ وبأنه لو كان هناك مسلم واحد ، كان ذلك إظهارا لدين الله على الأديان كلها ؟ ونقول : لا ، إنه لابد من حمل إظهار دين الله على الكثرة في العدد ، بمعنى أن يدين الناس في غالبيتهم بالاسلام .

ومتى يتحقق هذا ؟

من المقطوع به أن وعد الله لابد أن يتحقق ، بحيث يدخل الناس في دين الله أفواجا ، وأن تكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى !

أما متى يكون هذا ؟ ومتى تدين الانسانية كلها بالاسلام ؟ فذلك علمه عند ربى .. وإن كانت هناك تباشير تلوح في الأفق بمطلع فجر هذا اليوم الموعود عن قريب ..

من ظلمات الليل ينبثق الفجر :

إن العالم اليوم ، قد طغت عليه ظلمات المادية ، فحجبت عنه كل مشاعر الانسانية ، من رحمة ، ومودة ، وحب وإخاء ، حتى لقد انقطعت تلك المشاعر بين الأب وأبنائه ، وبين الأبناء وآبائهم ، فعاش كل انسان ـ إذا صح أن نسميه إنسانا ـ عاش لذاته ، في دائرة نفسه مع شهواتها ولذاتها ، غير ناظر إلى غير ذاته .

ولاشك أن الانسان في هذه الحياة على تلك الصورة ، هو في وحشة قاتلة ، وهو في هذا السجن المطبق عليه ، لا يجد فيه متنفسا لآماله وأحلامه ، ولا لآلامه وأحزانه ..

تلك هى السمة الغالبة لهذا العصر الذي نعيش فيه .. وحدة ، وقلق ، واضطراب ، واحتراق لكل ما في الانسان من معالم الانسانية ..

ألم يقل الفيلسوف الألماني (نيتشه) الذي يتغذى العالم الأوروبي اليوم من فلسفته ، ألم يقل بصريح القول :

« إن الرحمة ، والتعاون ، والحب ، وكافة الفضائل المسيحية ، هى مجموعة من الدجل والخرافات ، تستهدف رعاية الغوغاء ، الدهماء ، والقطعان .. وهؤلاء جميعا ، من فقراء ، ومرضى ، وضعفاء ، يعوقون التطور الانساني ، في حين أننا يجب أن نخلص لنوعنا البشري ، بألا نبقى إلا على الأقوياء في الذهن ، والجسم ، والروح ، وأن نعمل على إفناء الآخرين ، حتى نحصل في النهاية على (السوبرمان) أي الرجل الكامل ! » .. ذلك هو دين الغرب اليوم ، إلى جانب الشيوعية ، التي تنكرت لكل خلق ، أو دين ، حتى أعلنت الحرب على الله ، وقالت : إنه لا وجود له !

فهل تصبر الانسانية طويلا على هذا الجفاف الروحي ؟ وهل يمكن أن يظل الانسان على مربط الحيوانات جيلا بعد جيل ، دون أن تتحرك فيه شرارة من روح الانسانية ؟

إن العلم قد بلغ بالانسان اليوم ما مكن له من ركوب متن الكواكب والأقمار ، وهذا لاشك مما يزيد في طغيان الجسد على الروح ، الأمر الذي يوقظ الروح ، ويحملها على أن تثبت وجودها ، وتحتفظ بمكانها من الانسان .. والشيء ـ كما يقولون ـ إذا زاد عن حده ، انقلب إلى ضده .

وهنا تستدعى الانسانية العقل إلى أن يمدها بالغذاء المناسب لها ..

وإنه إذ يبحث العقل عن هذا الغذاء المناسب للروح ، فلا يجد بين يديه مما يرضيه ، إلا الدين ، غذاء للروح ، وسكنا للقلب ..

وإن هذا العقل الذي بلغ من العلم ما بلغ ، إذا نظر في الأديان القائمة اليوم ، لا يجد ما يقبله ، ويستقيم معه على منطق الحق ، ومقطع الحجة ، إلا دين الاسلام ، الذي يتعامل مع أهل العقل ، والعلم ، من أدنى المستويات إلى أعلاها ..

إن العلم الذي بلغته الانسانية في هذا العصر ، هو الرسول الذي يقوم في الناس اليوم ، مبشرا بالاسلام ، داعيا إليه ، كاشفا عن حجته ..

يقول المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدي في كتابه « الاسلام في عصر العلم » مستدلا على أن هذا العصر ، هو الاسلام ، الذي يتحقق له فيه وعد الله ، باظهاره على الدين كله ـ يقول محمد فريد وجدي :

« إن تأثير النبي ، صلى الله عليه وسلم في المجتمع الاسلامي كان على مرحلتين : مرحلة ما قبل الهجرة ، وهى ثلاثة عشر عاما ، وهذه المرحلة كانت أشبه بارتياد الطريق ، إلى المعركة الفاصلة ، بين الايمان والإلحاد .. وأما المرحلة الثانية ، وهى ما بعد الهجرة ، ومدتها عشر سنوات ، فقد كانت بدء الانتصارات الحقيقية للاسلام ، وقد توجت بالفتح ، ودخول الناس في دين الله أفواجا ..

ثم يمضي المرحوم وجدي قائلا :

« ويستشف من هذا ، أن القرون الثلاثة عشر التي أنسلخت من عمر الاسلام إلى الآن ، هى أشبه بالثلاث عشرة سنة التي قضاها الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ في مكة ، وأن عشرة القرون المقبلة ستكون بدء تحرك الاسلام إلى الأمام ، ودخول الناس فيه أفواجا ، قرنا بعد قرن ، حيث لا ينتهي القرن الثالث والعشرون من الهجرة ، إلا وتكون الانسانية كلها قد دانت بهذا الدين » .. !!

وإذا كان المرحوم محمد فريد وجدي قد بنى استنتاجاته تلك على اجتهاد شخصي ، فان هذا الأستنتاج يستند أساسا على وعد من الله تعالى في قوله سبحانه : « **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** » سورة التوبة : ٣٢ ـ ٣٣ ..

فهذا الوعد الكريم من الله تعالى برد كيد الكائدين لدين الله ، ومحاولتهم إطفاء نوره بما يخرج من أفواههم من زور وبهتان ، وبأنه سبحانه سيعلي هذا الدين على كل دين ، ويقيم سلطانه على الأديان كلها ـ نقول إن هذا الوعد الكريم من الله تعالى ، وإن لم يحدد زمان تحقيقه ، فان بشائر تحقيق هذا الوعد تبدو لائحة في الأفق ، بما أشرنا إليه من انتكاس الحياة في العالم ، ووقوع الناس صرعى تحت سلطان المادة التي اغتالت معالم الانسانية فيهم ، مصاحبا هذا ما بلغ العقل الانساني من تمكن لا مثيل له من العلم والمعرفة ، الأمر الذي من شأنه أن يعيد للانسان توازنه ، واسترداد الروح التي انتزعتها المادة منه ..

وهكذا يعمل العقل على صياغة الانسان ، صياغة جديدة ، تتوازن فيها المادة مع الروح .

وإنه ليس أمام هذا العقل الذي أذهله العلم عن مطالب القلب ، إلا أن يفيء إلى شاطىء الأمان ، الذي شرد عنه ، وأن يعود إلى استرداد روحه ، التي ضل عنها ، والتي لا سبيل له إليها إلا إذا دعاها إلى الدين الحق الذي يقوم بسلطانه عليه ، فلا يملك له دفعا ..

وهذا الدين الذي يكون له هذا السلطان المتمكن من العقل ، هو دين الاسلام ، الذي يهتف بالعقول أن تتوارد عليه ، وتختبر به معارفها وعلومها ، وتتلقى منه أصدق المعارف والعلوم ، حيث نجد أنها بين يديه أشبه بالتلميذ المبتدىء بين يدى أستاذ عالم حكيم قد جمع العلوم والمعارف كلها ..

* * *

وإذا كان هناك كثيرون من علماء الغرب ، وحكمائه ، وفلاسفته ، قد عرفوا للاسلام قدره ومكانته ، فدخلوا في دين الله سرا ، وجهرا ، فانه لقريب ذلك اليوم الذي يدخل فيه الناس جميعا في دين الله أفواجا ..

« **والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » سورة يوسف : ٢١ ـ صدق الله العظيم .

وفد نصارى نجران..

للأستاذ / محمد عزة دروزه

في كتب سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم القديمة صور أخاذة وطريفة ومشوقة ربما لم يطلع عليها كثير من القراء ، ويحسن ان تعرض ليكون لهم فيها الذكرى والعبرة ، ومن تلك الصور صورة وفادة وفد نصارى نجران اليمن على النبي صلى الله عليه وسلم وخبر هذا الوفد مذكور في سيرة ابن هشام المروية عن ابن اسحاق ، وكذلك في طبقات ابن سعد وهما من اقدم الكتب التي وصلت الينا عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

١ ـ وخبر الوفد في سيرة ابن هشام المذكورة وارد قبل خبر وقعة احد وبعد وقعة بدر ، ووقعة احد كانت في اوائل السنة الثالثة من الهجرة النبوية الشريفة ، ووقعة بدر كانت في اواسط السنة الثانية من الهجرة المذكورة ، وقد ذكر ابن هشام ان الصدر الاول من سورة آل عمران قد نزل في صدد وفادة وفد نصارى نجران على النبي صلى الله عليه وسلم والمفسرون متفقون على ذلك ايضا . وهذا الصدر في سورة آل عمران سابق قليلا للفصل الطويل الذي فيه صور ومشاهد ونتائج وقعة احد ، وهذا التوقيت في التسجيل والاتفاق قد يفيد أن وفد نجران حسب رواية ابن هشام قد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر وقبل وقعة احد .

٢ ـ اما خبر وفادة وفد نصارى نجران على النبي صلى الله عليه وسلم في طبقات ابن سعد فقد ورد في سلسلة خبر وفود العرب من كل ناحية من انحاء الجزيرة العربية على النبي صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة من الهجرة النبوية الشريفة . فقد فتح الله للنبي عليه الصلاة والسلام مكة المكرمة في الشهر الثامن من السنة الثامنة من الهجرة فانهدم الجدار الذي كان يحول بين انحاء جزيرة العرب ودار هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وخاصة انحاءها الجنوبية وأرسل النبي عليه الصلاة والسلام سرايا للدعوة للاسلام الى الانحاء الجنوبية وغيرها واوصاهم الا يقاتلوا الا من قاتلهم وارسل مع هذه السرايا

كتبا الى كثير من زعماء القبائل والبلدان ومنها الى نصارى نجران يدعوهم فيها الى الاسلام .

فحرك هذا وذاك قبائل العرب في كل ناحية من انحاء الجزيرة وخاصة جنوبها وجعلها ترسل وفودها الى النبي في المدينة المنورة لمبايعته او لتتلقى منه التعليمات والفتاوي والتوصيات ، وكان من جملتهم وفد من نصارى نجران اليمن ، ونذكر فيما يلي خلاصة وافية عما ذكره ابن هشام وابن سعد عن وفادة وفد نصارى نجران العربية .

٣ ـ **أولا** : مما جاء عن هذا الوفد في سيرة ابن هشام قال عن ابن اسحاق : قدم على رسول الله وفد نصارى نجران ستون راكبا منهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم . في الاربعة عشر منهم ثلاثة نفر اليهم يؤول امرهم ، العاقب : امير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون الا عن رأيه ، واسمه عبدالمسيح ، والسيد : ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الايهم ، وابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل اسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم .

ومما ذكره ابن هشام من صورهم ايضا انهم لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر ، عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية في جمال رجال بني الحارث بن كعب قال : يقول بعض من رآهم من اصحاب النبي يومئذ : ما رأينا بعدهم وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم ، فقاموا الى المسجد يصلون ، فقال رسول الله دعوهم ، فصلوا الى المشرق .

٤ ـ وفي كتاب ابن هشام سياق طويل عما جرى بين الوفد او بالاحرى بين رجال العلم والمشورة منهم و رسول الله صلى الله عليه وسلم من مبادرة في صدد عقيدتهم بعيسى عليه السلام والالوهية ونبوته وفي عقيدة التثليث ، وحذرهم من الغلو في هذه العقائد وبعدها عن الحق والحقيقة وتنزه الله عن الشرك والولد ، وقرأ عليهم ما نزل في القرآن في صدد ذلك ولكنهم كابروا ولم يرعووا وحينئذ دعاهم الى الابتهال الى الله بلعنة الكاذبين من الفريقين حسبما جاء في آيات سورة آل عمران ٥٨ ـ ٦٤ قال تعالى : (**ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم . إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين . فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين . إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم . فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين . قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**) .

فقالوا له يا ابا القاسم دعنا ننظر في امرنا ثم نأتيك بما نريد ان نفعل فيما دعوتنا اليه . فانصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم فقالوا : يا عبد المسيح ماذا ترى ؟ فقال : والله يامعشر النصارى لقد عرفتم ان محمدا لنبي مرسل . ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم ما لاعن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، فان كنتم قد أبيتم الا إلف دينكم والاقامة على ما انتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل ثم انصرفوا الى بلادكم .

فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا :

يا ابا القاسم قد رأينا الا نلاعنك وان نتركك على دينك ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلا من اصحابك ترضاه لنا ، يحكم بيننا في اشياء اختلفنا فيها من اموالنا فانكم عندنا رضا ، فلم يزل يتلمس ببصره حتى رأى ابا عبيدة بن الجراح فقال : أرسل معكم الرجل الامين القوى ثم دعاه فقال : اخرج معهم ، فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه .

٥ ـ ومن طريف ما ذكره ابن هشام عن هذا الوفد قال ابن اسحاق لما وجهوا الى رسول الله جلس ابو الحارثة على بغلته والى جانبه اخ له اسمه كرز فعثرت بغلة ابي حارثة فقال كرز تعس الأبعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو حارثة ـ بل انت تعست فقال : ولم يا أخي ؟ قال : والله انه للنبي الذي كنا ننتظر فقال كرز : ما يمنعك منه وانت تعلم هذا ؟ قال : ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شرفونا ومولونا واكرمونا وقد أبوا إلا خلافه فلو فعلت . نزعوا منا كل ما ترى ، فأضمر عليها منه اخوه كرز حتى اسلم واتجه بناقته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أعلن اسلامه أمام رسول الله .

والمتبادر ان كرز ذكر بعد اسلامه ما جرى بينه وبين اخيه لبعض اصحاب رسول الله فتبادلته الالسن حتى رواه عنه ابن اسحاق ورواه عنه ابن هشام .

وقد ذكر ابن هشام خبرا آخر عن اهل نجران قال : بلغني ان رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتبا عندهم فكلما مات رئيس منهم فأفضت الرياسة الى غيره ختم على تلك الكتب خاتما من الخواتم التي كانت قبله ولم يكسرها ، فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يمشي فعثر فقال ابنه تعس الأبعد يريد النبي فقال له أبوه : لا تفعل فانه نبي واسمه في الوضائع « يعني الكتب » فلما مات لم تكن لابنه همة الا ان شد فكسر الخواتم ، فوجد فيها ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن اسلامه وحج وانشد قائلا :

اليك تعدو قلقا وضينها
معترضا في بطنها جنينها
مخالفا دين النصارى دينها

٦ ـ **ثانيا** : ومما جاء في طبقات ابن سعد عن هذا الوفد انه رجع الحديث الى حديث علي بن محمد القرشي قالوا : وكتب رسول الله صلى الله عليه

وسلم الى اهل نجران فخرج اليه وفدهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم نصارى وفيهم العاقب وهو عبد المسيح رجل من كندة وابو حارث بن علقمة رجل من بني ربيعة واخوه كرز والسيد وأوس ابنا الحارث وزيد بن قيس وشيبة وخويلد وخالد وعمرو وعبيدة الله وفيهم ثلاثة نفر يتولون امورهم : العاقب وهو اميرهم وصاحب مشورتهم والذي يصدرون عن رأيه ، وابو الحارث اسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدارسهم ، والسيد وهو صاحب رحلهم فتقدمهم كرز اخو ابي الحارث فدخلوا المسجد عليهم ثياب الحبرة واردية مكفوفة بالحرير فقاموا يصلون في المسجد نحو الشرق فقال رسول الله « دعوهم » ثم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فاعرض عنهم ولم يكلمهم ، فقال لهم عثمان ذلك من اجل زيكم هذا فانصرفوا يومهم ذلك ، ثم غدوا عليه بزى الرهبان فسلموا عليه فرد عليهم ودعاهم الى الاسلام فابوا وكثر الكلام والحجاج بينهم وتلا عليهم القرآن وقال رسول الله : « ان انكرتم ما اقول فهلم اباهلكم » فانصرفوا على ذلك ، فغدا عبد المسيح ورجلان من ذوى رأيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قد بدا لنا ألا نباهلك فاحكم علينا بما احببت نعطك ونصالحك فصالحهم على الفي حلة ، الف في رجب والف في صفر أو قيمة كل حلة من الاواقي وعلى عارية ثلاثين درعا وثلاثين رمحا وثلاثين بعيرا وثلاثين فرسا ان كان باليمن كيد ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على انفسهم وملتهم وارضهم واموالهم وغائبهم وشاهدهم وبيعهم لا يغير اسقف عن سقيفاه ولا راهب عن رهبانيته ولا واقف عن وقفانيته واشهد على ذلك شهودا منهم : ابو سفيان بن حرب والاقرع بن حابس والمغيرة بن شعبة فرجعوا الى بلادهم فلم يلبث السيد والعاقب إلا يسيرا حتى رجعا الى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأسلما وانزلهما دار ابي ايوب الانصارى واقام اهل نجران على ما كتب لهم به النبي صلى الله عليه وسلم .

٧ - وفي كتاب الخراج للامام القاضي ابي يوسف وهو اقدم من كتابي ابن هشام وابن سعد بوصفه قاضي قضاة الخليفة العباسي هارون الرشيد فيه عهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كتبه رسول الله الى نصارى نجران فلم نر إيرادها تفاديا من التطويل وهى مطابقة تطابقا روحيا مع ما جاء في طبقات ابن سعد عن كتاب العهد الذي كتبه نصارى نجران .

٨ - ولم يكن نصارى نجران وحدهم من اخذ عهدا من النبي من الكتابيين فقد وفد عليه رؤساء مستوطنات اسرائيلية ونصرانية متعددة كانت منتشرة في طريق الحجاز - الشام وطلبوا منه ان يدخلوا في ذمته وعهده مقابل مرتبات سنوية اتفقوا عليها ، منهم رئيس مدينة « أيله » وهذا مسجل في كتاب طبقات ابن سعد ولم نر ضرورة لتسجيله مفصلا تفاديا من التطويل ايضا .

٩ - وقد تبادر لنا من التباين بين خبر ابن هشام وخبر ابن سعد سواء في توقيت التسجيل ام في نتيجة الوفد ومصيره ان نصارى نجران قد ارسلوا وفدهم الى النبي صلى الله عليه وسلم مرتين ، مرة بعد وقعة بدر الكبرى التي انتصر فيها النبي والمسلمون على قريش وكانت قريش اكثر منهم عددا واقوى عدة فدوى الخبر دويا جعل نصارى نجران يرسلون وفدا لاستطلاع النبأ العظيم وكان من امر هذا الوفد ما ذكره ابن هشام حيث ابى وفد النصارى الاستجابة الى المباهلة وقالوا : نبقى على حالنا وننصرف بسلام واخذوا معهم ابا عبيدة رضي الله عنه ليكون حكما بينهم فيما اختلفوا فيه ، وفي المرة الثانية بعد فتح مكة وقد طلبوا في النهاية من النبي صلى الله عليه وسلم ان يكتب لهم عهد امان مقابل مرتبات معينة اتفقوا عليها سنويا والله اعلم .

١٠ - وفي كتاب طبقات ابن سعد والخراج وكتاب فتوح البلدان للبلاذرى وهو ايضا من الكتب القديمة المعتبرة كلام في صدد مصير نصارى نجران رأينا من المفيد ان نذكره كتتمة للكلام عن هذا الوفد فمما جاء فيه : انه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ولي أبو بكر كتب لهم هذا الكتاب عبدالله ابن ابي بكر رضي الله عنه : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب به عبدالله ابو بكر خليفة محمد النبي عليه الصلاة والسلام لأهل نجران اجارهم بجوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على انفسهم وارضهم وملتهم واموالهم وحاشيتهم وعبادتهم وغائبهم وشاهدهم واساقفتهم ورهبانهم وبيعهم وكل ما تحت ايديهم من قليل او كثير لا يخسرون ولا يفسدون ولا يغير اسقف من اسقفيته ولا راهب من رهبانيته وفاء لهم بكل ما كتب لهم محمد النبي عليه الصلاة والسلام وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد عليه الصلاة والسلام أبدا وعليهم النصح والاصلاح فيما عليهم من الحق ولما استخلف عمر رضي الله عنه قرر اجلاءهم عن نجران وخيرهم في اتخاذ موطن جديد لهم في الشام او العراق لانهم تعاطوا الربا وخافهم على المسلمين فكتب لهم : هذا ما كتب عمر امير المؤمنين لنجران : من سار منهم فانه آمن بأمان الله لا يضرهم احد من المسلمين وفاء لهم بما كتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر ، اما بعد فمن مروا به من امراء الشام وامراء العراق فليوسقهم في حرث الارض مما اعتملوا في ذلك فهو لهم صدقة لوجه الله وعقبة لهم بمكان ارضهم لا سبيل عليهم فيه لا حد ولا مغرم . اما بعد فمن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم فانهم اقوام لهم الذمة وجزيتهم صنيعهم البر غير مظلومين ولا معتدى عليهم . فوقع ناس منهم بالعراق فنزلوا النجرانية التي في ناحية الكوفة فلما قبض عمر رضي الله عنه واستخلف عثمان اتوه الى المدينة فكتب لهم الوليد ابن عقبة وهو عامله « بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عثمان

امير المؤمنين الى الوليد بن عقبة : سلام الله عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو اما بعد فان الاسقف والعاقب وسراة اهل نجران الذين بالعراق اتوني فشكوا الي وأروني شرط عمر لهم وقد علمت ما اصابهم من المسلمين واني قد خففت عنهم ثلاثين حلة من جزيتهم تركتها لوجه الله تعالى ، واني وفيت لهم بكل ارضهم التي تصدق عليهم عمر عقبي مكان ارضهم باليمن فاستوص بهم خيرا فانهم اقوام لهم ذمة وكان بيني وبينهم معرفة ، انظر صحيفة كان عمر كتبها لهم فأوفهم ما فيها واذا قرأت صحيفتهم فارددها لهم والسلام .

فلما استخلف علي رضوان الله عليه وقدم العراق اتوه فحدثني الاعمش عن سالم بن ابي الجعد قال : اتى اسقف نجران عليا رضي الله عنه ومعه كتاب في اديم احمر قال : اسألك يا امير المؤمنين خط يدك وشفاعة لسانك يعني لما رددتنا الى بلادنا قال : فابى علي رضي الله عنه ان يردهم وقال ويحك ان عمر كان رشيد الامر وكان عمر رضي الله عنه اجلاهم لانه خافهم على المسلمين وقد كانوا اتخذوا الخيل والسلاح في بلادهم فاجلاهم عن نجران اليمن واسكنهم نجران العراق ، وكانوا يرون ان عليا لو كان مخالفا لسيرة عمر لردهم ثم كتب لهم علي رضي الله عنه « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبدالله علي بن ابي طالب امير المؤمنين لأهل النجرانية » اتيتموني بكتاب من نبي الله صلى الله عليه وسلم فيه شرط على انفسكم واموالكم واني وفيت لكم بما كتب لكم محمد صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر فمن اتى عليهم من المسلمين فليف لهم ولا يضاموا ولا يظلموا ولا ينقص حق من حقوقهم .

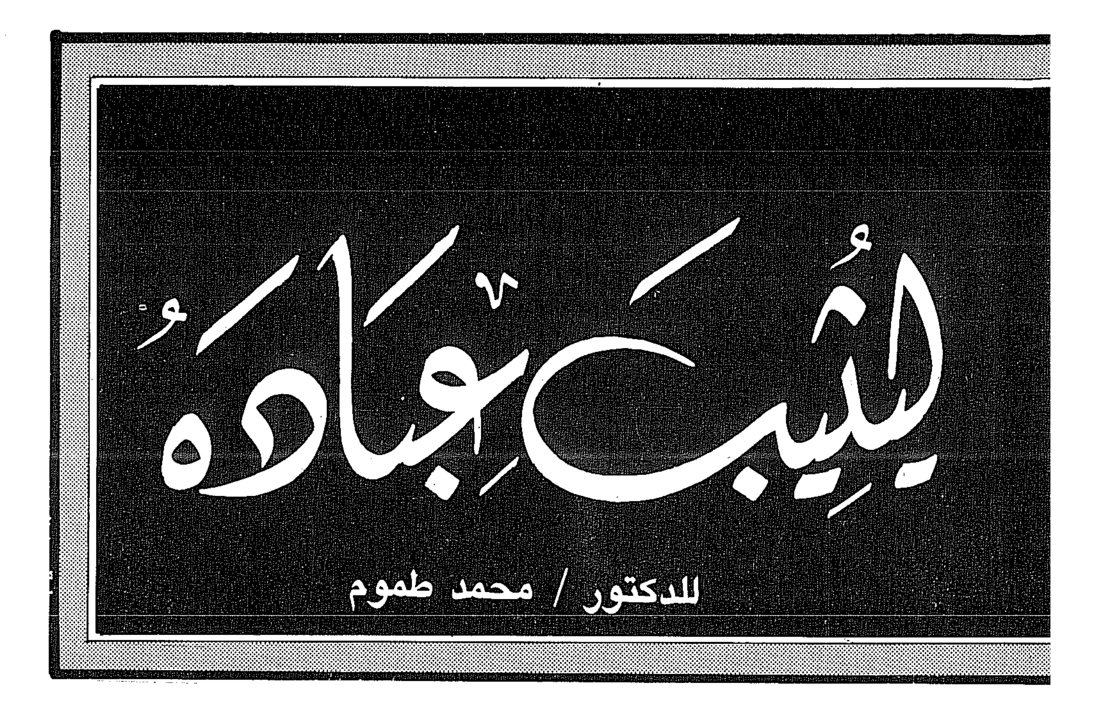
١١ ـ ومما جاء في كتاب البلاذرى زيادة على ذلك : انهم جاءوا الى معاوية وشكوا له نقصهم وضعفهم فوضع عنهم مائتي حلة في كل موسم اي اربعمائة حلة فلما ولي الحجاج وخرج ابن الاسقف عليه اتهمهم بموالاته فردهم الى الف وثمانمائة حلة . فلما ولي عمر بن عبدالعزيز جاءوا وتكلموا فامر باحصائهم فظهر انهم نقصوا الى عشر عدتهم الاولى ، فقال : اني ارى هذا الصلح جزية على رؤوسهم وليس صلحا عن ارض ، وجزية الميت والمسلم ساقطة ، فألزمهم مائتي حلة فقط اى عشر ما كان عليهم ، ولما ولي يوسف بن عمر العراق اعادهم الى ما كانوا عليه في زمن الحجاج فلما تولى ابو العباس الخليفة العباسي الاول تقربوا إليه ونثروا الرياحين في دربه ، فردهم الى ما كانوا عليه زمن عمر بن عبدالعزيز وقد ذكر ابن سعد باقتضاب مراجعتهم لابي بكر وكتابه لهم واجلاء عمر اياهم لانهم اصابوا ربا ، وقد تكون الروايات غير وثيقة وغير موثقة وقد يرد على الخاطر شك في ما في النصوص ولكن من شأن تواتر الخبر في الكتب القديمة ان يسوغ قبول الصورة العامة عن ذلك .

والحمد لله رب العالمين ..



الترابط بين الاسلام وبدء الخليقة : إذا نظرنا الى القرآن الكريم ، وهو المصدر الاول والأساسي للتشريع الاسلامي ، نجد أن الله سبحانه وتعالى يحدثنا كثيرا عن بدء الخليقة في مراحلها المتعددة ، وفي صورها المختلفة ، ومن ذلك قوله تعالى : « **إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون** » يونس / ٣ فهذا الترابط الواضح في هذه الآية بين خلق السماوات والأرض والأمر بالعبادة ، الموجه لنا في قوله تعالى « فاعبدوه » ، يؤكده الله لنا في الآية التي تليها : « **إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون** » **يونس/٤** حيث أكد الله تعالى وجوب عبادته وطاعته ما دام الرجوع اليه أمرا محققا ، ثم بين لنا بصريح العبارة انه أنشأ الخلق والكون كله ، وبدأه ليوجد الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتعطى لهم الفرصة في الدنيا ليعبدوه ويقيموا شعائره ، قال تعالى : « **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** »الذاريات /٥٦

وعندما تنتهي الحياة على الأرض ، بعد الانتهاء من أداء مهمتها التي خلقت من أجلها ، يعيد الله الخلق ، ويرجع الناس اليه بالبعث في الآخرة ، ليثيب ويكافىء الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وأطاعوا الله ، وأطاعوا رسله ، ويتم كل ذلك بالعدل والفضل من الله .



ويجب أن يعلم أن الفضل من الله هو أساس معاملة عباده المؤمنين الصالحين ، بدليل أنه خلق الكون وبدأه ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فالمقصود من بدء الخلق واعادته هو الثواب ، كما هو ظاهر من قوله تعالى : « **إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط** » يونس / ٤

أما العقاب في الآخرة ، فلم يكن مقصودا أصليا من خلق الدنيا ثم البعث في الآخرة ، وإنما هو جزاء عدم الطاعة لأوامر الله ، ومعصيته والكفر بأنعمه ، وذلك واضح من قوله تعالى : « **والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون** » يونس / ٤ ومما يقرب هذا الى اذهاننا ، ويبسطه لادراكنا ـ مع الفارق ـ ما يحدث في إنشاء المدارس المتنوعة ، والمعاهد والجامعات الكبيرة ، وما يلحق بها من خدمات وهيئة تدريسية وغير ذلك ، حيث ان المقصود من هذا كله هو تعليم وتربية وتهذيب طلاب العلم ، وإتاحة الفرصة لمن عنده القدرة على الاستيعاب والجد ، ثم مكافأة المجتهد بالنجاح والتخرج ، والحصول على الدرجات العلمية العالية . أما عقاب من تخلف عن الركب فالرسوب في الامتحان ، فهو جزاء تقصيره في أداء واجباته ، ولم يكن هذا العقاب أبدا مقصودا أو هدفا من انشاء هذه المعاهد العلمية الشامخة ، وإنما المقصود هو مكافأة المجتهد ، وإتاحة الفرصة ليثبت جدارته ، حتى يمكن التفريق بين المجتهد والمقصر بالعدل

والقسطاس المستقيم . قال تعالى : « **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار . كتاب انزلناه اليك مباركٌ ليدَّبَّروا آياته وليتذكَّرَ أولو الألباب** » ص / ٢٧ ـ ٢٩

ويبين الله تعالى أنه لم يخلق الانسان ليلعب ويعبث في الأرض ، وأنه تعالى لما كرمه سيتركه دون تكليف وتشريع ينظم حياته الى أن يبعث للجزاء . قال تعالى : « **أيحسب الإنسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من مني يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى . أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى** » القيامة / ٣٦ ـ ٤٠

سبحانك اللهم بلى

خلق الانسان

حدثنا القرآن الكريم عن خلق الانسان ، وتطور هذا الخلق وكيف نشأ الانسان في مراحله المتعددة ، وفي صوره المختلفة ، قال تعالى : « **ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون. والجان خلقناه من قبلُ من نارِ السموم** » الحجر/ ٢٦ ، ٢٧

وقال تعالى :« **خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خَلْقاً من بعد خَلْقٍ في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تُصْرَفُونَ** » الزمَرُ / ٦

فنجد أن القرآن الكريم يحدثنا عن المادة التي خلق منها الانسان الأول ، آدم عليه السلام ، مع بيان المادة التي خلق منها الجان ، ليظهر الفرق بينهما في التكوين ، مع توضيح أن هناك فرقا زمنيا بينهما في الخلق ، حيث لم يخلقا في وقت واحد .

اما قوله تعالى : « **خلقكم من نفس واحدة** » الآية ، فقد بينت كيف خلق باقي البشر من هذه النفس الواحدة ، وكيف تنوع الخلق للانسان بعد ذلك ، للدلالة على قدرة الله تعالى ، حيث خلق حواء من آدم ، ثم بين كيفية خلق بقية البشر ، وأن هذا الخلق يتم في بطون الأمهات ، ويكون خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث .

وفي هذا بيان لكيفية خلق الانسان بجميع صوره العقلية الأربعة ، وهي :

١ ـ انسان من غير أب وأم ، وهو آدم عليه السلام .

٢ ـ انسان من أب فقط من غير أم ، وهي حواء .

٣ ـ انسان من أم فقط من غير أب ، وهو عيسى عليه السلام ، قال جل جلاله :« **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** » آل عمران/ ٥٩

٤ ـ انسان من أب وأم ، وهم بقية البشر .

فالصورتان الأخيرتان تندرجان تحت قوله تعالى : « **يخلقكم في بطون أمهاتكم** » .

فالله تعالى ـ جلّت قدرته ـ بعد هذا البيان الواضح لقدرته وإعجازه في خلق الانسان الأول ، ثم خلق جميع البشر ـ مع تعدد كيفية الخلق وتنوعه ـ من هذه النفس الواحدة الأولى ، نجده في الآية التالية مباشرة ، يوجه الانذار الشديد الينا ـ أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، خاتم الأنبياء والرسل ، فيقول جل جلاله : « **إن تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور** » الزمر/٧

الخلافة

في الاخبار بمهمة الانسان في الارض قال تعالى : « **وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يُفْسِدُ فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون** » البقرة / ٣٠

والمعنى : يخلفني في تنفيذ أحكامي وأوامري ، والمقصود بالخليفة في هذه الآية هو آدم عليه السلام لأمور منها :

اولا : أن سياق الكلام كان عن اخبار الله الملائكة والكون بخلق آدم ، أول انسان خلق .

ثانيا : أن آدم عليه السلام كان أول نبي ورسول الى الأرض ، فكان بذلك أول خليفة لله في إمضاء أحكامه ، وتنفيذ أوامره ، وتبليغ رسالته الى ذريته وأحفاده ، وقد ورد في حديث أبي ذر ما يفيد ذلك ، حيث قال : قلت : يا رسول الله أنبيا كان مرسلا ؟ قال : « نعم »

ثالثا : ان ذلك قول ابن مسعود وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ وجميع المفسرين وأهل التأويل .

والحكمة من اختيار الله أن يكون له خليفة في الأرض ينفذ أحكامه وأوامره ، ويقيم شعائره ، هي رحمة الله بعباده ، حيث أرسل لهم الرسل من البشر مثلهم ، يتلقون عن طريقهم شرائعه السماوية ، لأن الأفراد ـ من غير الرسل ـ لا يمكنهم التلقي المباشر من الله تعالى ، لعظم الأمر ، وخطورة الشأن ، ولا يقدر على ذلك الا من اختاره الله لتحمل رسالته ، وأهله لهذا الأمر الخطير ، ومع كون الرسل من المختارين كان الأمر عظيما عليهم ، وشديدا على حواسهم وأجسادهم البشرية ، ولذلك نجد ذلك واضحا في مخاطبة الله تعالى لرسولنا ، حيث قال : « **يا أيها المزمل . قم الليل إلا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا . إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا** » المزمل/١ ـ ٥

وقال تعالى : « **يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر** » المدثر / ١ ـ ٧ واذا كان هذا أمر المختارين ، فما بال بقية الأفراد من البشر ، اذن لا بد من وجود واسطة بين الله

وعباده في تلقي أوامره ونواهيه .

ومن رحمة الله بعباده أن تكون هذه الواسطة من جنس البشر ، ولم تكن من غير جنسهم مثل : الملك أو الجان ، وذلك لاختلاف الطبيعة البشرية عنهم في كثير من الأمور ، مما يؤدي الى المشقة على ذرية آدم وبقية البشر في التلقي عنهم .

واذا نظرنا الى قوله تعالى :« **إني جاعل في الارض خليفة** » البقرة / ٣٠نجد أنها جاءت للإخبار عما حدث عند بدء خلق الانسان الأول ، لكن ورودها في القرآن الكريم يجعل لها ترابطا قويا مع التشريع الاسلامي ، حيث أن هذا الايراد لم يكن مجرد إخبار عما حدث ، وإنما يحمل في طياته التوجيه والارشاد للمسلمين ، ولذلك كانت هذه الآية دليلا قويا على ضرورة تنصيب إمام وخليفة وحاكم ، يكون له السمع والطاعة من قومه ، وتكون له السلطة التي تمكنه من تنفيذ الأحكام والأوامر التي وردت في الشريعة الاسلامية ، خاتمة الشرائع السماوية .

بل اعتبر البعض هذه الآية أصل في وجوب نصب الخليفة ، قال القرطبي : (هذه الآية اصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع ، لتجتمع به الكلمة ، وتنفذ به أحكام الخليفة ، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ، ولا بين الأئمة ، إلا ماروي عن الأصم من كبار المعتزلة واسمه أبو بكر ـ وكل من قال بقوله واتبعه على رأيه ومذهبه ، قال : انها غير واجبة في الدين ، بل يسوغ ذلك ، وأن الأمة متى أقاموا حجهم وجهادهم ، وتناصفوا فيما بينهم ، وبذلوا الحق من أنفسهم ، وقسموا الغنائم والفيء والصدقات على أهلها ، وأقاموا الحدود على من وجبت عليه ، أجز أهم ذلك ، ولا يجب عليهم أن ينصبوا إماما يتولى ذلك) الجامع لأحكام القرآن/جـ١ ص ٢٦٤ .

وقد استدل الجمهور بقوله تعالى : « **إني جاعل في الأرض خليفة** » البقرة / ٣٠ .

ويقول الله عز وجل :« **يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب** » ص/٢٦ .

وبقوله جل شأنه :« **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا** » النور / ٥٥ .

واستدلوا أيضا باجماع الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على وجوب وجود خليفة ، يتولى شئون المسلمين ، ويرعى مصالحهم ، ويقوم بتنفيذ أحكام الله وأوامره ، وذلك بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانتقاله الى الرفيق الأعلى ، واستمر هذا الاجماع على وجوب وجود الخليفة ، من غير نكير من احد منهم ، وان اختلف اسلوب اختيار كل خليفة من الخلفاء الراشدين ، ولكن في النهاية كانت البيعة للخليفة ، ولم يقل احد منهم : نحن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا حاجة لنا الى وجود خليفة ، ليقودنا ويتولى اقامة حدود الله ، وينفذ احكامه .

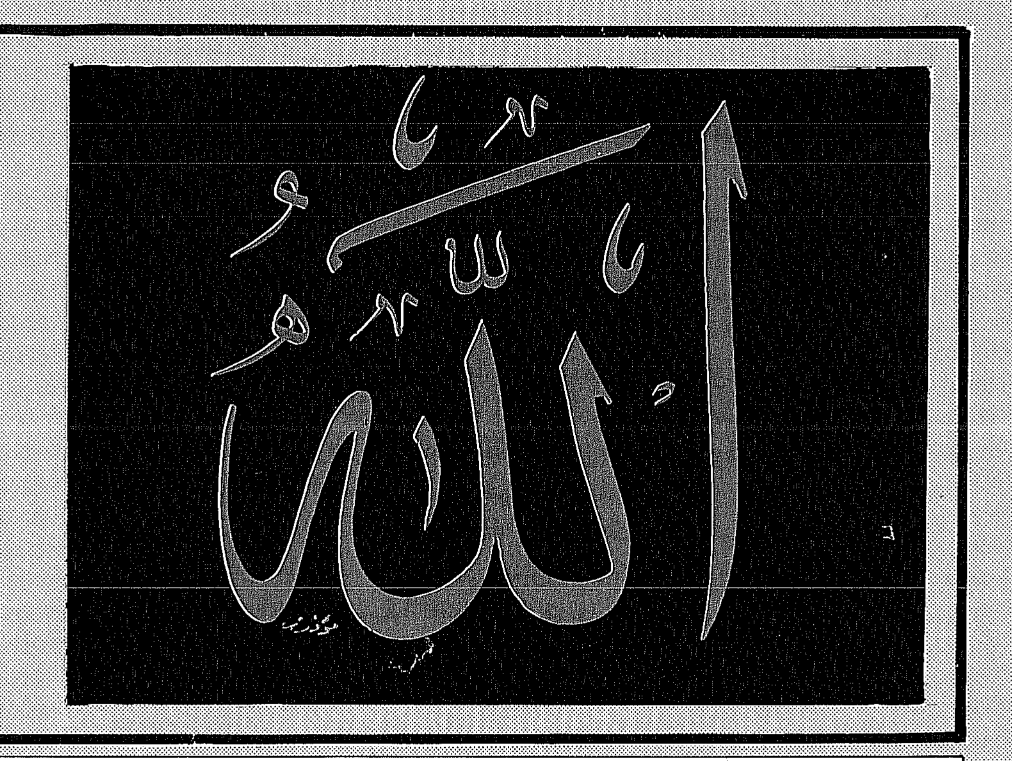
أما الخلاف في كون الامامة بالسمع أم بالعقل ، والنص على الامام من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أم من جهة اختيار أهل الحل والعقد له ، أم بكمال خصال الأئمة فيه ؟ وما هي شرائط الامام والخليفة ؟ وغير ذلك مما يتعلق بهذا الموضوع ، فليس هنا مجال البحث فيه وفي تفاصيله .

والحقيقة اننا إذا نظرنا إلى بقية الآية : « **قالوا اتجعل فيها من يُفْسِدُ فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون** » نجد أن الخليفة في قوله تعالى « **إني جاعل في الأرض خليفة** » البقرة/ ٣٠ ـ ليس قاصرا على الرسل فقط ، أو على آدم فقط ثم يمتد إلى بقية الرسل ، وإنما يشمل آدم ويمتد لجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام ، ويستوعب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، لقوله تعالى :« **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا** » النور/ ٥٥

ثم يدخل تحت قوله تعالى :« **خليفة** » كل حاكم وامام وخليفة من غير من سبق ذكره ، وذلك بدليل قوله تعالى ـ على لسان الملائكة : « **قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** » فهذا القول صادق على بعض الحكام والملوك وغيرهم ممن يتولون رعاية شئون المسلمين أو غيرهم من البشر ، كما ورد ذلك في قوله تعالى:« **قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة وكذلك يفعلون . وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بِمَ يرجع المرسلون** » النمل/ ٣٤ ، ٣٥ فكانت نظرة الملائكة قاصرة على هذا الصنف من الخلفاء ، ثم عمموا الحكم على الجميع .

وقد ورد ذكر لمثل هؤلاء الخلفاء ، قال تعالى : « **أو عجبتم أن جاءكم ذِكْرٌ من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون** » الأعراف/ ٦٩ . وقال تعالى : « **واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين** » الاعراف/ ٧٤ وقال عز جلاله : « **أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكّرون** » النمل/ ٦٢

فلما كان قول الملائكة قاصرا على هذه النوعية ، وغير عام كما ذكروا ، رد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله : « **قال إني أعلم ما لا تعلمون** » مشيرا بذلك إلى أن الخلافة ليست منحصرة في النوع الذي ذكرتموه ، وإنما يوجد من الخلفاء الرسل والأنبياء والصالحون ، ممن يهتدي بهديهم ، وينيرون الطريق لغيرهم ، ويخرجونهم من الظلمات الى النور ، قال قتادة : لما قالت الملائكة : « **اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** » وقد علم الله أن فيمن يستخلف في الأرض أنبياء وفضلاء واهل طاعة قال لهم : « اني اعلم مالا تعلمون » البقرة/ ٣٠ .



للمستشار / محمد عزت الطهطاوي

عقيدة النصرانية أو المسيحية كما دعيت بعد ذلك في أساسها كانت قائمة على توحيد الله بالعبادة وأن المسيح عليه السلام بشر رسول بعثه الله إلى بني اسرائيل مصدقا لما بين يديه من التوراة التي هي كتاب اليهود المقدس الذي أنزله الله على نبيه موسى عليه السلام فنصحهم بتقوى الله وطاعته .

وفي نصوص الكتب المقدسة المتداولة بين النصارى ما يشير الى ذلك وهذا في قوله « وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته » انجيل يوحنا في الاصحاح السابع عشر عدد ٣ ، ٤ .

الا أن النصارى أو المسيحيين وهو ما غلب على تسميتهم يؤمنون في عقيدتهم التي ورثوها عن أسلافهم بأن المسيح عليه السلام (هو صورة الله) أي أن فيه طبيعة لاهوتيه ومادام كذلك فهو الله متجسدا ويستندون في ذلك الى النصوص الآتية والمنسوبة الى بولس مشيرا بها الى

كيف يعتقد النصارى أنه يتجسد؟

المسيح عليه السلام .

١ ـ (هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضا الذي اذ كان في صورة الله)[١] .

٢ ـ (الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة)[٢] .

٣ ـ (إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله)[٣] .

والرد على ذلك سهل يسير :

١ ـ فالقول بكون المسيح هو صورة الله يعني أن المسيح هو غير الله سبحانه وتعالى لان كون شيء على صورة شيء لا يقتضي أنه هو بل بالعكس يفيد انه غيره فمثلا صورة الآلهة المعبودة من دون الله هي بالقطع ليست عين الاله المعبود وبناء على هذا المثال فان القول بأن المسيح (هو صورة الله) يفيد بلا شك أنه غيره لا عينه .

٢ ـ ان كون المسيح (هو صورة) الله حدده بولس نفسه صاحب النصوص . السابق الاشارة اليها في رسالته الاولى الى أهل كورنثوس في قوله (فان الرجل لا ينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ومجده وأما المرأة فهي مجد الرجل)[٤] مما يعني ان الله جعل المسيح نائبا عنه في ابلاغ شريعته الى من أرسل اليهم مثل ما أن الله جعل الرجل نائبا عنه في سلطانه على امرأته ومقتضى هذا السلطان الا يغطي الرجل رأسه بخلاف المرأة[٥] .

٣ ـ أن الله خلق آدم كما خلق المسيح فلا مزية للمسيح في هذا المعنى فقد ورد في سفر التكوين عن آدم قوله (لان الله على صورته عمل الانسان)[٦] ، ولم يقل أحد من الناس قديما أو حديثا أن في آدم طبيعة لا هوتية أو أنه الله متجسدا .

كيف كانت العلاقة بين الانسان وخالقه في بشارات المسيح :

إن العلاقة بين الانسان وخالقه كما بينتها أقوال المسيح عليه السلام هي العلاقة بين الروح ومصدرها وبين الحياة وينبوعها بين المكفول وكافله

وبين الرعية وراعيها[٧] .

ويتضح ذلك من صلاته التي علمها لتلاميذه وذلك في قوله (متى صليتم فقولوا أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم واغفر لنا خطايانا لاننا نحن أيضا نغفر لكل من يذنب الينا ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير)[٨] .

اذا كيف انحرف مفهوم الصورة عند النصرانية الى مفهوم الحقيقة :

يبدو أن ذلك الانحراف في معنى الصورة جاء نتيجة تأثر النصرانية فيما بعد عصر المسيح وعصر الحواريين بالفلسفات التي كانت سائدة في منطقة البحر الابيض المتوسط والتي منها فلسفة أرسطو .

فالصورة في مذهب أرسطو هي حقيقة الشيء وماهيته التي يقوم بها وجوده فليست هي شكله البادي للعين أو تمثاله الملموس باليدين .

فصورة العصفور هي حقيقته التي يكون بها عصفورا وصورة الدرهم هي جوهره الذي يميزه من سائر قطع الفضة وسائر قطع النقد ويجعله درهما وتزول عنه الدرهمية اذا زال ولا يخلو موجود في العالم من الصورة فكل موجود فهو صورة ومادة او صورة وهيولى لان المادة كانت تسمى بالهيولى .

وطبيعي أن ما سارت عليه النصرانية كان خطأ في مفهومها لمعنى (كون المسيح هو صورة الله متجسدا) وذلك أن أرسطو نفسه في فلسفته يقرر أن اعلى الموجودات هو الله لا تشوبه المادة ومعنى مجرد لا يقوم في جسد .[٩]

أسفار اهل الكتاب نفسها تقرر أن الله لا يكون انسانا :

ان الله لا يكون انسانا مطلقا لان صفة الالوهية يستحيل عليها ان تجتمع في انسان مطلقا وهذا بصريح اسفار اهل الكتاب المقدسة عندهم طبقا لما يلي :

اولا : ورد بسفر هوشع قوله عن الله (لانى الله لا إنسان)[١٠] .

ثانيا : ورد بسفر أيوب قوله عن الله (لانه ليس هو انسانا مثلي فأجاوبه فنأتي جميعا الى المحاكمة[١١] .

ثالثا : جاء في سفر صموئيل الأول قوله عن الله (لانه ليس انسانا ليندم)[١٢] .

رابعا : جاء في سفر العدد (ليس الله إنسانا فيكذب ولا ابن انسان فيندم)[١٣] .

خامسا : جاء في سفر الخروج قول الله لموسى عليه السلام لما طلب رؤيته (وقال لا تقدر أن ترى وجهي لان الانسان لا يراني ويعيش)[١٤] .

سادسا : يقول يوحنا في رسالته الأولى عن الله (أيها الأحياء إن كان الله قد أحبنا هكذا ينبغي لنا أيضا أن يحب

بعضنا بعضا ، الله لم ينظره أحد قط[١٥] .

رجال اللاهوت النصارى يرفضون عقيدة التجسد في المسيح في زماننا المعاصر :

لفتت عقيدة تجسد الله في المسيح لغرابتها وشذوذها تفكير رجال الدين في أوربا مما حدا بهم الى البحث عن جذورها ومصادرها التي تسربت منها الى عقيدة النصرانية النقية عقيدة المسيح عليه السلام التي هى براء من أفكار تجسد الله في المسيح أو تأليهه وقد انبرى بعض رجال اللاهوت البريطانيين لمناقشتها حيث انتهوا فيها مجتمعين الى القول بأن الوقت قد حان لترك هذه الاسطورة الدخيلة على دعوة المسيح عليه السلام ، وأن المؤمنين بالنصرانية مقتنعون بأن الاعتقاد المتأخر :

١ ـ بأن المسيح هو الله في صورة إنسان .

٢ ـ والشخص الثاني في الثالوث المقدس الذي يحيا حياة بشرية .

هذا الاعتقاد ما هو الا أسلوب أسطوري أو شاعري للتعبير عن أهمية المسيح وعلينا أن نقول هنا أن أملنا هو أن نحرر الحديث عن الله وعن يسوع من الخلط والتشويش محررين بذلك الناس لخدمة الله في الطريق المسيحي بكمال اكبر ـ لان المسيحية لا تستطيع البقاء كايمان يمكن الاقتناع به الا اذا كانت متفتحة باستمرار على الحقيقة[١٦] .

ملاحظة : كلمة يسوع تعني المسيح .

هل من الممكن وجود النصرانية بدون عقيدة التجسد :

اولا : يقول القس (موريس وايلز) رئيس لجنة المعتقدات في كنيسة انجلترا وأستاذ الالهيات في جامعة اكسفورد ـ أن المسيحية توصف غالبا بأنها عقيدة التجسد أي تجسد الله في الفرد المعين يسوع الناصري فهل من الممكن وجود المسيحية بدون تجسد بهذا المعنى ؟ (أي بدون هذه الاسطورة) .

ولقد انتهى في اجابته الى القول بأن الكثيرين يعترضون الآن على استعمال الاسطورة في اللاهوت سواء كانت الأسطورة تاريخية او فلسفية أو شعرية فالرأي السائد في فهمها هو أنها خرافية وليست حقيقية[١٧] .

ثانيا : ماذا تقول المحاضرة اللاهوتية (فرنسيس يونغ ؟) هذه المحاضرة تقرر :

١ ـ أن الافكار والالقاب التي أضفيت على المسيح كانت موجودة قبل أن يتبناها المسيحيون الاوائل ويمكن الاطلاع عليها في وثائق غير مسيحية وبتفسيرات غير مسيحية فلها أصول آرامية وخلفيات فلسطينية ويهودية وهللينية ويونانية .

٢ ـ ولقد نسبُت هذه الافكار والألقاب

الى المسيح ولم يدعيها المسيح لنفسه .
٣ - ومن المسح لدراسة المسيح في كتب العهد الجديد يمكن قول الآتي :
أ - أن الاناجيل لا توفر معلومات مباشرة من الوحي عن ألوهية المسيح .
ب - وفكرة التجسد بمعناها المقبول تقليديا لم توجد في رسائل بولس ، بل في أذهان قراء هذه الرسائل الذين فسروها على هذا النحو ، ويمكن تطبيق نفس هذا الجدل على بقية الأناجيل .
جـ - أن عملية التأليه للمسيح مستلهمة كليا من الوثنية .
د - وان امتداد الكنيسة في العالم غير اليهودي هو سبب ظهور فكرة دخول عبيل فوق مستوى البشر على شخص المسيح[١٨] .

ثالثا : ويقرر (دون كوبيت) عميد كلية عمانوئيل بجامعة كمبردج :

أن يوحنا الدمشقي الذي عاش الفترة من (٦٧٥م - ٧٤٩) وهو عالم شرقي من علماء اللاهوت أقر بأن كتب النصرانية المقدسة خالية من التثليث وثنائية الطبيعة للمسيح والتجسد وهذه الافكار انتقلت الى النصارى من آباء الكنيسة وينتهي (دون كوبيت) الى القول بأنه اذا كان الأمر في التجسد هو أن الله نفسه اتخذ بصورة دائمة طبيعة بشرية أمكن وصفه أنه إله في شكل إنسان ويمكن إذن إدراك الالوهية بهيئة تركيب بشرى وتعود هكذا فكرة الوثنيين عن الاله على أنه شخص ذو جنس معين فوق مستوى البشر وهذا ما حدث فعلا مع الوقت بمساعدة الصور التقليدية للأب والابن مما يقتضي ألا تصبح دراسة شخصية المسيح نوعا من مذهب عبادة الانسان للانسان بل يجب التركيز على الله وليس على المسيح[١٩] . ويعلق على ذلك الدكتور / محمد البهى بأن المسيحية الرومانية يوم غلب عليها الاتجاه المادي جسمت الالوهية فنقلت الى (ألوهية المسيحية) مادية الوثنية الرومانية والاغريقية قبلها وأنزلت السماء الى الارض وحولت الانسان عليها الى إله أو شبه إله في قداسته واحترامه والطاعة له[٢٠] .

الاسلام في عقيدته يرفض فكرة المشبهة والمجسمة للذات الالهية :

ففي الوقت الذي أضفي القرآن الكريم على حقيقة الذات الألهية من الصفات وأضاف اليها من النعوت ما يميزها عن سائر الموجودات ويجعلها في متناول الادراكات الانسانية وفي دائرة ما يعرف بالعقل والوجدان بل ويجعلها أجلى ما يعرف واسمى وأجل ما يعلم لذوى الفطر السليمة والعقول المستقيمة يرفض القرآن الكريم أيضا فكرة المشبهة والمجسمة كلية .
فالإله لا حاجة له أن يلبس جسد البشر كما وأنه منزّه عن صفات البشر وأخصها التجسد .

ويشير القرآن الكريم في سورة الاخلاص الى جانب التنزيه بقوله **(قل هو الله أحد)** فهذه الأحدية تقتضي التفرد والتنزيه عن المشابهة والمماثلة للحوادث كما يشير الى جانب الكمال والتأثير بقوله **(الله الصمد)** وهو المقصود للناس جميعا فهذه الصمدية تقتضي اتصافه عز وجل بكل صفات التأثير التي هي صفات الكمال ، ولم يكن أحد مكافئا ومماثلا له في شيء من صفاته كما يشير اليه قوله تعالى **(ولم يكن له كفوا أحد)** .

فالله في عقيدة الاسلام ليس الا الموجود الاسمى المنفرد بكل صفات الكمال الحائز لكل معاني العزة والجلال المهيمن على كل ما سواه ومن عداه اليه تستند وجودات الاشياء ومنه تنبثق ما فيها من قوة وحياة وعنه وبارادته تصدر كل ما فيها من حركات وكل ما يلحقها من تغيرات ، وهو القاهر للخلق جميعا بما له من مطلق الأمر والنهي .

قال تعالى **(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)** سورة الشورى ١١ .

ويقول جل شأنه « **قل هو الله أحد· الله الصمد·لم يلد ولم يولد·ولم يكن له كفوا أحد** » سورة الإخلاص .

المراجع :

(١) رسالة بولس الى اهل فيليبي في الاصحاح ٢ عدد ٥ ، ٦ من العهد الجديد بالكتاب المقدس .

(٢) رسالة بولس الى كولوسي في الاصحاح ١ عدد ١٥ من العهد الجديد بالكتاب المقدس .

(٣) رسالة بولس الثانية الى اهل كورنثوس في الاصحاح ٤ عدد ٤ من العهد الجديد بالكتاب المقدس .

(٤) رسالة بولس الاولى الى اهل كونثوس في الاصحاح ١١ عدد ٧ من المرجع السابق .

(٥) كتاب سلاسل للناظرة الاسلامية النصرانية للاستاذ / عبدالله العلمي الغزي الدمشقي استاذ دروس تفسير القرآن في الجامع الاموي بدمشق سابقا .

(٦) سفر التكوين في الاصحاح ٩ عدد ٦ من العهد القديم من الكتاب المقدس .

(٧) كتاب (الله) نشاة العقيدة الالهية للمرحوم عباس العقاد .

(٨) انجيل لوقا في الاصحاح الحادي عشر عدد ٣ ـ ٤ من العهد الجديد بالكتاب المقدس .

(٩) كتاب (الله) نشاة العقيدة الالهية للمرحوم عباس العقاد .

(١٠) سفر هوشع في الاصحاح ١١ عدد ٩ من العهد القديم بالكتاب المقدس .

(١١) سفر ايوب في الاصحاح ٩ عدد ٣٢ من العهد القديم بالكتاب المقدس .

(١٢) سفر صموئيل الاول في الاصحاح ١٥ عدد ٢٩ من المرجع السابق .

(١٣) سفر العدد في الاصحاح ٢٣ عدد ١٩ من المرجع السابق .

(١٤) سفر الخروج في الاصحاح ٣٣ عدد ٢٠ من المرجع السابق .

(١٥) رسالة يوحنا الرسول الاولى في الاصحاح الرابع عدد ١١ ـ ١٢ من العهد الجديد من الكتاب المقدس .

(١٦) كتاب اسطورة تجسد الله في المسيح تاليف البروفيسور جون هوك استاذ اللاهوت بجامعة برمنجهام في بريطانيا .

(١٧) المرجع السابق

(١٧) المرجع السابق .

(١٨) المرجع السابق .

(١٩) كتاب الدين والدولة للدكتور / محمد البهي .

(٢٠) كتاب العقيدة والاخلاق للدكتور محمد بيصار شيخ الازهر السابق .



للأستاذ / توفيق محمد سبع

منهج القرآن في تصوير الأخلاق :

من روائع المنهج القرآني ... أنه عندما يعرض صور الأخلاق الكريمة وآثارها في المجتمع ، أو الأخلاق الذميمة وأضرارها في البيئة .. يعمد إلى تجسيدها في شخص ، أو تحريكها في قصة ، أو تجسيمها في سلوك .. وبخاصة إذا كانت تلك الأخلاق تعبر عن اتجاه نفسي ، أو أمر معنوي .. فيكون ذلك أدعى إلى تمثلها ، والتعرف عليها ، والتماس القدوة منها واستيعاب الدروس المستفادة لها من غير عناء ولا مشقة !! يضاف إلى ذلك ما يتجلى في هذا المنهج من روح الواقعية التي تجعله أليفا إلى النفس أنيسا للقلب ، بما يلمح فيه من نتائج ترتبط بالأسباب ، وآثار تنشأ عن السلوك ، متمثلة في أشخاص يتحركون على أرض المجتمع ، ويمشون بين الناس .. وهذه الآثار وتلك النتائج لا تقتصر على نماذجها الخاصة ـ وإنما تتكرر في كل زمان ومكان ... وتتجدد في كل عصر وبيئة .. لأن آفات البشرية واحدة .. وفضائلها النفسية واحدة ... وما حدث في قديم التاريخ يحدث في حياتنا

الماثلة وظروفنا الحاصلة .. لأن تاريخ البشرية درس متكرر !!
والصور الأخلاقية التي يعرضها القرآن نماذج للقدوة ، لا تفقد واقعيتها على مر الأيام وكر العصور .. وإنما تظل على جدتها وجاذبيتها كأنما نراها اليوم بأعيننا ونلمسها بأيدينا .. لأنها تصوير العليم الخبير .... الذي خلق فسوى وقدر فهدى ...
والمنهج المقابل لذلك ـ الذي يرفضه القرآن ـ هو منهج العرض التقريري على شكل بحث منظم ... تصطنع له المقدمات .. وتساق الأدلة .. وتستخلص النتائج .. ويراعى فيه الترتيب ، والنظام .. ومثل ذلك المنهج لا يحرك النفس ، ولا يبعث الشوق ، ولا ينشيء الجاذبية .. بل هو لا يترك الأثر في النفس الانسانية ، لأنه مجرد كلام لا أكثر ولا أقل !! على أنه من قبل ومن بعد تجريد للمعاني لا يكاد يفهمه أو ينفذ إلى أعماقه إلا القلة من الناس !!

أما منهج التجسيد :

فانه يريك النتائج متمثلة في أشخاص ، سواء أكانت نتائج سارة أو سيئة ـ فتجد قلبك ينبض بالعاطفة ، ويجيش بالشعور تعاطفا مع أولئك الأشخاص وتأثرا بما يحدث لهم ..
والقرآن يتوخى هذه الغاية ما في ذلك ريب .. لأنه كتاب هداية يؤثر أن تنفعل النفوس من أعماقها بصور الخير لتتمثله .. وبصور الشر لتتجنبه .. وتلك هي القدوة في صورتها الواقعية !!
ويوم تصبح الأخلاق نظرية للبحث والدراسة تتحول إلى مقالات وخطب ـ ويكون حظ المجتمع منها بلاغة لفظية ، وفتنة كلامية ، إن أثرت في العقل والفكر .. فانها لا تؤثر في الشعور والوجدان !!
وويل لأمة تبتلى بكثرة الكلام .. وتحرم من ثمرة العمل .. ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤثر بفعاله أكثر مما يؤثر بكلامه .. ولهذا ربى أجيالا عملية تفعل أكثر مما تقول ، وتطبق أكثر مما تدرس !!
ولقد صعد عثمان بن عفان المنبر يوما .. فتعذر عليه القول ، وأرتج عليه وأخيرا فتح الله عليه بكلمات هن فصل الخطاب فقال : (أيها الناس : سيجعل الله بعد عسر يسرا ، وبعد ضيق فرجا وأنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال) فما سمعت خطبة في موضوعها أبلغ منها .. لأنها أعتمدت الأفعال منهاجا للحياة ورفضت الثرثرة والكلام .. وصيغت في أوجز عبارة وأحلى بيان !!
على أنه لا ثمرة لعقيدة لا تدفع إلى عبادة ولا لعبادة لا تنشيء مكارم الأخلاق وخير للفضائل أن تمارس ... وتصبح سلوكا يصطبغ به المجتمع من

أن تصبح شعارات وخطبا ودراسات . وإن ممارسة واحدة لفضيلة الصدق خير ألف مرة من قراءة ألف كتاب فيه ، وسماع ألف خطبة لأن ذلك لا يعدو أن يكون كلاما .

أمثلة خاطفة لهذا المنهج :

عندما أراد القرآن أن يحدثنا عن آفة السطو على الناس في منازلهم في غير أوقات الزيارة وبدون استئذان ومن غير رعاية لحرماتهم ومكانتهم الاجتماعية .. ويحذرنا من تلك الأخلاق السيئة ذكر قصة واقعية .. تحرك أشخاصها على أرض الوجود وتحركت معهم أخلاقهم الجافية الغليظة فأحدثت آثارها السيئة ، وانفعلت بها القلوب والمشاعر .. بل امتلأت سخطا على أولئك الجفاة الغلاظ ولم يذكر أسماء أولئك الاشخاص في ذلك المجال النقدي رعاية لجانب التربية الآلهية التي لا تشهر بالناس بقدر ما تتجه إلى إصلاحهم ، وعلاج أمراضهم الخلقية .. نجد ذلك ماثلا في قوله سبحانه : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون . ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم » الآيتان ٤ ، ٥ من سورة الحجرات .

لقد عالجت الآية مشكلة اجتماعية هى الجفوة والسطو على أوقات الناس وقلة الذوق في مخاطبة الرسول الكريم ومن كرمهم الله فعمدت إلى تصويرها في قصة واقعية تمثلت في وفد تميم .. فكان ذلك أدعى إلى الاتعاظ والانتفاع بثمراتها ..

وهذا النموذج الجافي الغليظ من الناس يتكرر عبر الازمنة المختلفة والأمكنة المتباينة .. ومن ثم فان القصة الواقعية تظل على عطائها المتجدد في كل بيئة وعصر وتلك خصائص رفيعة للنماذج القرآنية يبلى الزمن ولا تنفد جدتها .

وتستطيع كذلك أن تلمح هذا المنهج في العرض التصويري لصور الأخلاق في حديث الافك حيث قال جل جلاله : « إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم » . اية ١١ من سورة النور .

لقد حدثنا القرآن عن أشخاص تحركوا بالافك ، فأرانا الأخلاق السيئة متحركة نابضة في صورة عملية مؤثرة .. تنفر مما ارتكبوا ، وترغب في الصدق وتحرى الحق .

وخذ مثلا في تصوير آثار الصدق وبيان ثمراته .. إن القرآن لم يعطنا بحثا في تعريف الصدق وإقامة الأدلة على قيمته .. واستخلاص النتائج النافعة .. وإنما عمد إلى تجسيده في شخص وتجسيمه في سلوك وتحريكه في

قصة فقال : « والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المفلحون » إنه يربطنا بالصادقين من أمثال أبي بكر الصديق رضى الله عنه ـ وليس بالصدق المجرد .. ويعطينا ثمرة الصدق متمثلة في الأشخاص فيقول : « أولئك هم المفلحون » .

ومن هنا ندرك أن المنهج القرآني في تصوير الأخلاق منهج واقعي سواء في الجوانب السلبية أو الايجابية من الأخلاق وهذا درس ينبغي أن ينتفع به المربون والوعاظ والكتاب والخطباء . حتى تبرز فضائل السلوك في صورة عملية صالحة للقدوة والتأسي !!

إيمان المنفعة :

بعد أن سقنا طريقة القرآن ومنهجه في عرض الصور الاخلاقية .. وعززنا ذلك ببعض النماذج القرآنية .. نخلص إلى موضوع مقالنا وهو (إيمان المنفعة) ونبسط القول فيه والحديث عنه مستندين إلى ما مر من عرض سريع خاطف .

وسأقف عند هذا النموذج القرآني « إيمان المنفعة » وقفة خاصة أحلل بواعثه ـ وأحدد أهدافه وأوضح خطره على الفرد والجماعة ..

وهو نموذج لا يخرج عن النماذج السابقة في التجسيد .. لا في التقرير ..

يقول الله عز وجل في ذكر هذا النموذج النفعي .. (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) الآية رقم ١١ من سورة الحج

فقد عمد القرآن إلى طريقته الفذة في تصوير العقيدة التي يبتغى بها أصحابها جذب المنافع إليهم ... واجتناء الثمرات من ورائها .. دون أن يكلفهم ذلك عناء ولا مشقة .. أبرز القرآن ذلك في صورة حسية نابضة بالحياة والحس والحركة تتألق فيها معالم القدوة وتتجلى آثار الشر .. فهذا الفريق قلق في روحه مضطرب في ضميره ... منتهز للفرص التي تجر إليه المنفعة .. وتجلب له الخير .. إنه كمن يقف على طرف جبل أو نشز من الأرض يترقب المنفعة ويترصد الغنيمة وهو في وقفته تلك مضطرب النفس بأسباب الهوى ، قلق الوجدان بانتهاز الفرص معرض للسقوط في الهاوية والهبوط في الوادي السحيق ولهذا التصوير أثره الفذ في تشخيص البواعث ، واستبطان الدخائل ، والتعرف على روح الأنانية التي تحكم هذا الطراز من الناس ..

وإذا كان هذا النموذج قديما .. قد وجد في أول عصر الدعوة وواجه

بأطماعه الدفينة النفعية عقيدة الايمان .. فانه نموذج متكرر متجدد نلمحه في حياتنا الماثلة على شكل أناس يجعلون من العقيدة سلعة مادية إن جرت إليهم نفعا رضوا بها وعبدوا الله .. وإن أصابهم ضر صدفوا عنها ونسوا الله .. وهم بذلك يزنون الايمان بميزان المكسب والخسارة كأنه سلعة تباع وتشترى ..

ولا شك أن هذا التصوير أفعل في النفس مما لو جيىء به على شكل بحث تقريري يحدثنا عن النفعية والاتجار بالعقيدة ..

★ فيمن نزلت هذه الآية ؟ :

جاء في تفسير القرطبي : قال أبو سعيد الخدري إن الآية نزلت في رجل من اليهود أسلم فذهب بصره وماله فتشاءم بالاسلام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أقلني !! « أي اعفني من الاسلام » فقال له رسول الله : إن الاسلام لا يقال منه فقال اليهودي : إني لم أصب في ديني هذا خيرا .. ذهب بصرى ومالى وولدي فقال الرسول : يا يهودى : إن الاسلام يسبك الرجال كما تسبك النار خبث الحديد والفضة والذهب » .

لقد اتخذ اليهودى من العقيدة مغنما يعود عليه بالربح الوفير والمال الكثير ومادرى أنها قبل كل شيء تبعات ومسئوليات وابتلاء فمن أدى وصبر فله الأجر ومن تراجع ونكص فعليه الوزر .. وقد وضح له الرسول الكريم أن عقيدة الايمان تصهر الرجال .. فتنفى عنهم الشوائب وتزيل الأدران .. وتصقل معادنهم النفسية صقلا تتوهج منه الفضائل وتتألق المزايا والملكات بالضبط كما تصقل النار الذهب فيزداد بريقا ونفاسة وتألقا !!

وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في سبب نزول الآية الكريمة (ومن الناس من يعبد الله على حرف ... الخ) قال : كان الرجل يقدم المدينة فان ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله وزاد ربحه قال : هذا دين صالح فان لم يظفر بشيء من المغانم قال : هذا دين سوء !!

لقد غدا الدين عند هذا الفريق تجارة .. أو عملية استثمار ... إن جاء بالخير العاجل والمال الكثير .. وربح الربح الوفير فهو دين صالح وإلا فهو دين سوء فأية نظرة هذه ؟ إنها الأنتهازية الطامعة ، والأنانية المرذولة ، والمتاع الرخيص .

وقال المفسرون : نزلت في أعراب كانوا يقدمون على النبي فيسلمون فان نالوا رخاء أقاموا وان نالتهم شدة ارتدوا .. وكانوا يمنون على النبي بايمانهم ونسوا أن المنة لله وحده .. (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان) (ولكن الله حبب إليكم الايمان وزينه في قلوبكم) . آية ١٧ آية ٧ سورة الحجرات .

فالعقيدة ذات جوهر نفيس .. وهي فضل وكرم من الله يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم .

وقيل : ان شيبة بن ربيعة قال للنبي قبل أن يظهر أمره : ادع لي ربك أن يرزقني مالا وإبلا وغنما وولدا حتى أومن بك وأعدل إلى دينك .. فدعا له الرسول فرزقه الله عز وجل ما تمنى .. ثم أراد الله عز وجل فتنته واختباره ـ وهو أعلم به ـ فأخذ منه ما كان رزقه به بعد أن أسلم فارتد عن الاسلام فنزلت الآية . فكأنما هذا الرجل أسلم على شرط ... أي على (حرف) فلما زال المشروط عليه رجع إلى الكفر وإن الله لغني عن إيمان نفعي كهذا ... !!

وقال الزمخشري في الكشاف :

هذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم (وهو يشمل كل الفئات النفعية) لا على سكون وطمأنينة ـ كالذي يكون على حرف من العسكر فان أحس بظفر وغنيمة قر واطمأن ـ والا فر وطار ... !!

تحليل الموضوع :

هذا الذي سقناه من أسباب نزول هذه الآية يفسر لنا ما كان يختلج في نفوس أولئك النفعيين الطامعين من أغراض هابطة ، واهداف خسيسة فالمفروض أن العقيدة ثبات واطمئنان لا قلق واضطراب .. وهي نور في الضمائر يجعل أصحابها يرون الحق حقا والباطل باطلا .. فكيف عميت عليهم السبل إلى هذا الحد فصاروا لا يرون فيها إلا تجارة في سوق المساومات ؟ وهي سكينة وسلام .. فكيف تحولت الى أطماع تزعزع النفس وترهق الضمير ... « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم[1] بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » آية ٢٨ سورة الرعد .

وهي ملاذ وحمى .. مهما عصفت نوازع المادة وهبت رياح الشهوات ..

نعم : ما تزال العقيدة هي المعتصم القوى الذي تلوذ به الأفراد والجماعات فيجدون في حماها الأمن والانس . وراحة الضمير ..

الذين ينظرون إلى العالم من المؤمنين يدركون حقيقة ما أنعم الله به عليهم من نعمة الايمان حين يرون الحيارى والمتخبطين من أصحاب العقائد المادية تتحيفهم النظم وتتخطفهم المذاهب ، وتتقاذفهم الفتن والزوابع ،

وتستبد بهم الحيرة ، ويضنيهم القلق ـ مهما عاشوا في المتاع المادي الرخيص ـ (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق) . آية ٣١ من سورة الحج .

بل إن نفوسهم لتحترق من الداخل لحرمانهم من العقيدة التي ترطب جفاف القلوب برشحات من الايمان الندى الطهور .

ولابد أن يدرك أولئك الذين أعمى الله قلوبهم من تجار العقيدة .. أنها ابتلاء وامتحان قبل أن تكون عرضا قريبا أو غنى مأمولا (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) بل ان الابتلاء بالمحن والأرزاء سبيل عودة إلى الله وليس سبب تنصل من الايمان وتبعاته ولقد كان السلف الصالح يجدون في المحن والارزاء مصدرا لرضى الله عنهم لأن الابتلاء أساس التمحيص والتصفية من النقائص والعيوب ومن يرد الله به الخير يصب منه في الدنيا حتى ينقله إليه وما عليه خطيئة !!

ولقد حدثتنا كتب السيرة أن أعرابيا قريب عهد بالاسلام كان قد بايع رسول الله صلى الله على الجهاد والبذل في ذاته .. وقد حضر احدى الغزوات .. التى ربح فيها المسلمون غنائم كثيرة .. وأخذ رسول الله بعد أن عاد المسلمون يوزع الغنائم على أصحابها ... وإنه ليعطى ذلك الأعرابي نصيبه من الغنيمة فيتعجب الأعرابي .. كيف يتقاضى ثمنا أجرا على عقيدته ؟ وقد دخل الاسلام ليدفع روحه لا ليأخذ مالا أو عرضا زائلا .. ويقول لرسول الله : ما هذا يا رسول الله ؟ . ويرد عليه الرسول هذا نصيبك من الغنيمة فيقول الأعرابي كلا يا رسول الله فما على هذا اتبعتك ؟ إنما أمنت بك على أن أجاهد في سبيل الله فأرمى بسهم هنا وأشار إلى نحره ـ فأقتل فأدخل الجنة .

وأمام إصرار الأعرابي على رفض الغنيمة وافق رسول الله .

فلما كانت الغزوة المقبلة قاتل الأعرابي فيها فأصيب بسهم حيث أشار فلما رآه رسول الله بين القتلى ونظر إلى مكان السهم فوجده ، حيث أشار الأعرابي عرفه ثم قال : « صدق الله فصدقه » !!

فهذا موقف البذل والفداء ـ ورفض أي ثمن على العقيدة ـ وليس موقف التربص للكسب التافه والمتاع الرخيص .. وهكذا العقيدة لا يؤخذ عليها أجر ـ ولا ينتظر عليها ربح ـ إنما تعتنق لذاتها . لأنها في ذاتها أكرم ثواب وأعظم جزاء فهى الحمى والسند ، وهى الملاذ والأمن ، يعيش صاحبها مطمئن القلب ، هادىء البال رضى النفس ثابت القدم موصولا بربه .. واجدا في ذلك الأنس والعز والخير كله وهى لا تكون صفقة تجارية فتقاس بمقياس الكسب والخسارة فهذه عقيدة التجار وأصحاب المنافع والشهوات من الذين

أضلهم الله وأعمى أبصارهم .

يقول عز وجل : (ومن الناس من يعبد الله على حرف) فيبين أن بعض الناس يدخل في الايمان بهذا الشعور الخسيس .. ينتهز فرص الكسب ويترصد للمغانم .. فهو قلق مضطرب .. يؤدي العبادة لأهداف مادية إن تحققت له ثبت وأطمأن ـ وإن نفرت عنه فزع واضطرب ... إنه كالواقف على حرف جبل يقلب نظره هنا وهناك ، ليرى المغانم والاطماع ... فما يلبث أن يهوى في قرار سحيق .. فهذا قوله سبحانه : (فإن أصابه خير اطمأن به) أي أن جنى من وراء عبادته وفرة المال وكثرة المتاع وربح التجارة وصحة الجسم فرح واستبشر .. وتمكن من موقفه مطمئنا ، وتشبث به ملتصقا .. (وان أصابته فتنة) من مرض أو كساد أو فاقة أو أي بلاء عارض .. (انقلب على وجهه) بالتخلص من العقيدة ، والنكوص عن الدين ، والكف عن العبادة أو أخذ يتهم القدر ، ويسيء الظن بالله فيكون بذلك قد (خسر الدنيا) بضياع ما كان يترصده من المتاع الرخيص ـ وخسر (الآخرة) بحرمانه من ثواب الايمان وثمرة العقيدة .

ان الدرس المستفاد من هذا الموضوع هو أن نخلص إيماننا لله ، وأن نثق في العقيدة التي شرح الله بها صدورنا ، وأن نرتفع بها فوق المطامع والشهوات .. وأن نتقبل البلاء الوافد بنفوس راضية ، نزداد به صدقا ويقينا واستمساكا بالعقيدة . وأن ننعم بثمرات هذه العقيدة من رضى القلب واطمئنان النفس غير ناظرين إلى الأطماع والشهوات فتلك هى النظرة التجارية التي تهبط بالعقيدة الى درك السلعة الرخيصة المعروضة في الاسواق ـ وتأبى العقيدة الا أن ترتفع على مغريات الحياة ومطامع المال والجاه والمادة وانه لجدير بالمربين والكتاب والوعاظ أن يلجأوا في تصوير الرذائل و آثارها الوخيمة إلى تمثلها في أفراد ، أو تحركها في قصة ، أو تحققها في مجتمع ـ فذاك أدعى إلى تعرف عواقبها الوخيمة .. والابتعاد عن آثارها السيئة .

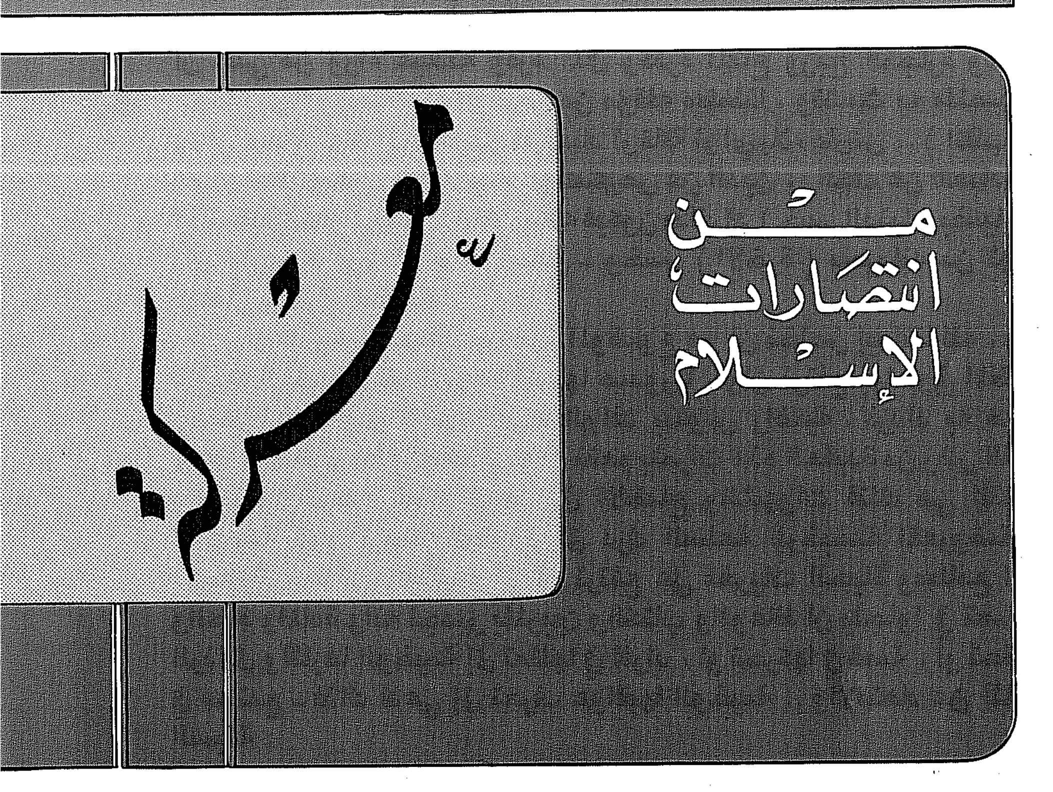
ولنا في القرآن أسوة حسنة .. فاننا مهما بالغنا في وصف آثار النفعية وما تتركه من آثار سيئة في الافراد والمجتمعات فلن نبلغ من ذلك بعض ما بلغه التصوير القرآني الذي مثل لنا المستشرف الى المنفعة عن طريق عقيدته بمن يقف على (حرف) جبل مثلا يترصد للمغنم ، ويترقب للكسب فهو زائغ البصر مختل الحركة قلق الشعور ـ فان لمح بارقة خير استقر في موقفه واطمأن ، وإلا اختل توازنه وسقط من حالق ... وذلك هو الخسران المبين .. الذي يسلب صاحبه الأمان ـ ويفقده مجد الدنيا ونعيم الآخرة .

(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب »

* معركة وادي المخازن أنهت أسطورة البرتغال الاستعمارية واظهر

* وحدة القوى الاسلامية رجحت كفة المسلمين على المحتلين الصليبيين ..

* الصراع بين البرتغال والأسبان لاحتلال المغرب من عوامل قيام الدولة



من انتصارات الإسلام

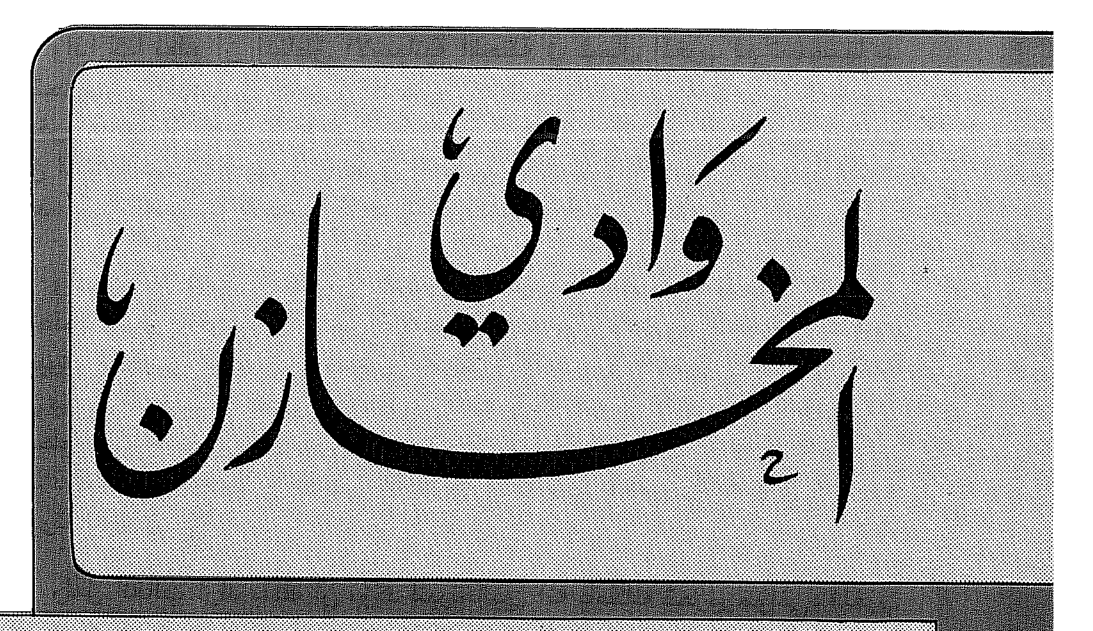
الاحتلال البرتغالي لجزر الكناريا في المحيط الاطلسي سنة ٦٩٥ هـ كان فاتحة لالتهام الثغور والمدن المغربية على المحيط الاطلسي وسواحل البحر المتوسط الغربية ، وقد استطاعت البرتغال في أقل من قرن أن تحتل معظم الثغور المغربية الشمالية والجنوبية وبعض سواحله ..

والحقيقة اذا تتبعنا جميع عمليات الاحتلال البرتغالي والاسباني ودوافعها ومؤثراتها على البلاد المغربية وشعوبها وقادتها لتبين لنا أن وجود البرتغاليين والاسبان بالمغرب كان من أبرز عوامل ظهور القيادة السعدية ، وكان طبيعيا أن يكون من أهم أهداف السعديين هو تحرير الموانىء المغربية والسواحل المحتلة من

افلاس الحملات الصليبية ..

نتائج المعركة أعطت للمغرب ثقلا دوليا وبعدا سياسيا وازدهارا حضاريا

السعدية ..



للاستاذ / عسر عسران أحمد طه

نير الاستعمار الصليبي ، وقد نجح الأمير القائم بأمر الله وابناه أحمد الاعرج ومحمد الشيخ في هذا الاتجاه نجاحا كبيرا وهذا الأمر هو الذي ثبّت أقدام الدولة الناشئة وأتاح لها الفرصة في ممارسة القيادة على بلاد المغرب الاقصى وتوحيد مناطقه تحت حكم السعديين .

ولقد استطاع محمد المهدي مؤسس الدولة السعدية الحقيقي الاجهاز على مطامع البرتغاليين وتحرير الغالبية العظمى من المراسي البرتغالية ، حتى لم يبق في نهاية عهد المهدي إلا سبتة وطنجة ومازكان بأيدي البرتغاليين ، ولقد حاول جان الثالث ملك البرتغال الاستنجاد بالامبراطور شارل الخامس ملك أسبانيا في ايقاف هجمات السعديين ، ولكن الملك الاسباني لم ينجده نتيجة انشغاله بالحرب مع

ممتلكاته بالأراضي المنخفضة .

وبعد أن قضى السعديون على حكم بني وطاس وخلص لهم أمر المغرب أخذت الدولة السعدية الجديدة تميل الى شيء من الاستقرار والعناية بمتطلبات الملك وفي مقدمتها الاهتمام بالعلاقات مع الدول المجاورة .. وبظهور العثمانيين بالمغرب الاوسط ومضايقتهم للسعديين بدأت تنتكس أهداف السعديين وهم لا يزالون في عهد مؤسس دولتهم في القضاء على قواعد الاحتلال الاجنبي بالبلاد بل انهم اتجهوا الى محالفة الصليبيين وفي مقدمتهم الاسبان .

واذا كنا نعلم أن المناطق الاسبانية المحتلة في شمال المغرب لم تمسسها يد التحرير فان المهدي في نفس الوقت كان لا يزال طامعا في الاستيلاء على كل الثغور المغربية الواقعة تحت الاحتلال البرتغالي ، وربما كان ذلك لان البرتغاليين هم أول من احتك السعديون بهم من القوى الصليبية وان كانت أهداف المهدي قد تأثرت بعد ذلك بالسياسة الجديدة ازاء القوى المسيحية .

وقد اندفع الغالب بالله بن المهدي في سياسة مهادنة المسيحيين الى أبعد الحدود ، وفي محاولة منه لتهدئة المشاعر المغربية الثائرة على سياسته تلك فقد هبت جيوشه لتحرير البريجة على ساحل المحيط الاطلسي ، وقد استطاع قائده ابن تودة أن يجعل البرتغاليين يقررون الرحيل من هذا الميناء الى أن تلقى القائد المغربي من الخليفة السعدي الأوامر بترك المحتلين حيث كانوا . وقد ذكر أن الغالب قد تقاضى في ذلك هدية جميلة وأموالا عظيمة الامر الذي يوحي وكأنه باع البريجة للبرتغاليين .

ولعل الغالب أراد بذلك أن يؤكد للبرتغاليين أنه بامكانه تحرير موانىء المغرب منهم الا أنه يفضل الاحتفاظ بصداقتهم ، خاصة وهو يواجه الدولة العثمانية ومن يسير في ركابها من الجزائريين ورجال الجهاد البحري .

ولعله من المناسب أن نذكر أن سياسة الغالب مع المسيحيين قد أثارت السخط عليه من طوائف الشعب المغربي ، حتى ان بعض المؤرخين وفي مقدمتهم صاحب تاريخ الدولة السعدية . يصب جام غضبه على الحاكم السعدي ويتهمه بالتواطؤ مع « الكفرة » وبخاصة بعد اعادته البريجة للبرتغاليين والتنازل عن ميناء بادس للاسبان وتخليه عن مساعدة الموريسكوس إبان ثورتهم على ملك أسبانيا والوشاية بهم عند فيليب الثاني .

ويعلق اليفرني على ما حدث من تقارب الغالب مع المسيحيين فيقول : « وهذه أمور شنيعة إن صح أنه فعلها ـ ولست أدخل في عهدتها لأني أنا رأيتها في أوراق مجهولة المؤلف اشتملت على ذم هذه الدولة السعدية ، وظني أنها من صنع

أعدائهم لحظة من قدرهم واخراجه اياهم من النسب الشريف ووصف دولتهم بالدولة الخبيثة » . ثم يضيف اليفرني : « الا أن الملوك لا يستغرب في حقهم أن يهدموا أساس الشريعة ليبنوا منار رياستهم ، ويستهينوا عظائم الأمور .. كيف لا وشراع افئدتهم تلعب به رايات الشهوات فتلقي سفينة قلوبهم على ساحل بحر القنوط من رحمة الله تعالى ، والله يسامح الجميع ويتجاوز عن عصاة هذه الأمة بمنه وفضله .

ولم تختلف سياسة المتوكل عن سياسة أبيه الغالب في التقارب مع المسيحيين ومعاداة الاتراك العثمانيين ، ولم تشهد سنوات حكمه القليلة أية بادرة لتحرير ما تبقى من الموانىء المحتلة بالبرتغاليين والاسبان ، وقد دخلت جيوش الاتراك الى المغرب الاقصى مع عمّه عبد الملك لإقصائه عن العرش . ومما هو جدير بالذكر أن الملك البرتغالي دون سبستيان قد ألحّ مرارا على فيليب الثاني ملك أسبانيا للتدخل في شئون المغرب والحيلولة دون احتلال العثمانيين له ، وفي بعض الرسائل اقترح دون سبستيان تكوين حملة مشتركة من أسبانيا والبرتغال للاستيلاء على بلاد المغرب مستغلا في ذلك اضطراب الاحوال الداخلية بالمغرب ، ولكن الملك الاسباني شغلته حروبه الدينية وممتلكاته الاوروبية عن الاستجابة لاقتراح الملك البرتغالي .

غير أن طموح الملك البرتغالي الشاب لم تتوقف وشراهته نحو الاستيلاء على المغرب لم تتراجع حتى . بعد أن استتب الأمر لعبد الملك المعتصم ، وقد كان ذلك ايذانا بقيام معركة من أخطر المعارك بين المغرب والبرتغال أثّرت الى حد كبير على سير العلاقات البرتغالية المغربية ، وعلى الأوضاع الدولية في شبه جزيرة ايبريا والشمال الافريقي وهي معركة وادي المخازن التي حدثت نتيجة للحملة البرتغالية على بلاد المغرب . وسنحاول فيما يلي أن نفصّل الحديث عن أسبابها ونتائجها وآثارها البعيدة على المعسكرين الاسلامي والمسيحي .

ومما يؤسف له أن الصراع بين الأجنحة والقوى الاسلامية تسبب في مهادنة المسيحيين وكان لذلك تأثيره الخطير على الجبهة الاسلامية .

* الحملة البرتغالية على بلاد المغرب :

بعد أن أُقصي المتوكل عن عرش المغرب حاول عن طريق أنصاره والقبائل المغربية استعادة عرشه ، ولكن باءت كل محاولاته بالفشل ، ولم تنصر له راية أمام جيوش عَمَيه عبد الملك المعتصم وأبي العباس أحمد الذي طارده وهزمه في مواقع كثيرة . فاتجه المتوكل الى شمال المغرب ووصل الى طنجة محاولا الاستعانة بحلفائه القدامى ، وقد حاول ذلك مع الاسبان أولا وقد امتنع فيليب الثاني عن مساعدته بسبب مشاغله وحروبه المتعددة ، وربما فضل ملك أسبانيا صداقة الجالس على العرش المغربي على مساعدة هذا الشريد الذي سوف يكلف تأييده جهدا كبيرا مع أن نتائج هذا التأييد غير مضمونة ، ثم طرح محمد المتوكل الأمر على دون

سبستيان الملك البرتغالي الطموح وكانت تلك فرصة العمر أمام ذلك الملك الذي أراد أن يستعيد هيبة البرتغال ببلاد المغرب . وكان سبستيان شابا في الثالثة والعشرين من عمره تربى في كنف اليسوعيين وكانت تجري في عروقه روح صليبية متعصبة .

ووجد دون سبستيان من طلب المساعدة الذي تقدم به المتوكل ضد عمه الخليفة مقابل التنازل للبرتغال عن سائر السواحل المغربية ، كما وجد أيضا في التجاء عبدالكريم بن تودة صهر المتوكل الى طنجة وتنازل البرتغال عن أصيلا سببين كافيين لأن يتدخل الملك البرتغالي في المغرب سعيا وراء أمنيته القديمة الغالية .

ويضاف إلى ما تقدم من أسباب ما ذكره صاحب تاريخ الدولة السعدية من أن البرتغاليين لما رأوا أن عبدالملك بدأ يهتم ببناء السفن خاصة بعد ما لمسه من قوة الأتراك البحرية ، فخشى البرتغاليون من أن يفكر المعتصم في العبور إلى أرض الأندلس ومساعدة الموريسكيين وتحرير شبه جزيرة ايبريا من القوى الصليبية ، ولذلك صمموا على الخروج إلى المغرب لأحتواء ثغوره وسواحله ومهاجمة المعتصم في أرضه .

ويذكر السلاوي أنه من المتواتر في تواريخ الافرنج أن كبار دولة سبستيان حذروه عاقبة خطته الرامية إلى غزو المغرب بدعوى مساعدة المتوكل لأن هذا توريط للبرتغال في بلاد المغرب ، ولكنه صَمّ أذنيه عن سماع أقوالهم وألح في رأيه الذي ملك الطمع قلبه وأبى الا الخروج .

غير أن تمادى ملك البرتغال في تصميمه على احتلال المغرب وحرصه على اغتنام الفرصة ، جعلت فيليب الثاني الذي كان مشغولا بأحداث أوروبا الغربية والنزاع مع انجلترا يبعث برسائله الى قريبه دون سبستيان مع عدد من السفراء محذرا له مغبة تصرفاته وأعماله ، ومن السفارات التي بعثها فيليب إلى لشبونة سفيرا فوق العادة في مارس سنة ١٥٧٧ ، هذا في نفس الوقت الذي تقدم عبدالملك بمشروع المعاهدة المغربية الاسبانية ، وقد باءت كل محاولات الملك الاسباني بالفشل ازاء أصرار ملك البرتغال الطموح للتدخل في المغرب وأستعادة نفوذ البرتغال به .

ويروى أن المعتصم وجّه رسالة إلى لشبونة يذكر فيها الملك البرتغالي بأن الحرب التي يسعى إليها غير عادلة ، وأنه يرمي من ورائها إلى أحتلال المغرب وليست بسبب تأييد مغربي ضد آخر ، ويؤكد المعتصم أن ذلك سوف يُعرّض الملك البرتغالي نفسه وجيشه للخطر ، وينبهه إلى أن دعوى المتوكل في العرش السعدي لا قيمة لها ، ولأن هذا الأخير أشد عداوة للمسيحيين ، ويعرض في رسالته أستعداده للتنازل عن منطقة تمتد ١٣ كيلو مترا وراء جميع المراكز البرتغالية ، وفي الختام يذكر المعتصم ملك البرتغال بأنه يجب ألا ينسى أن عبدالملك صديق حميم للسلطان العثماني .

خط سير الحملة :

تقدم دون سبستيان على رأس حملة كبيرة من بلاده في طريقه إلى المغرب ، ويروى السلاوي أن ملك أسبانيا قد أمد سبستيان بعشرين ألفا من الجنود ، كما أن الملك البرتغالي قد ساق معه اثني عشر ألفا من البرتغاليين ، وثلاثة آلاف من الايطاليين ومثلهم من الألمان ومن متطوعي اسبانيا وانجلترا ، كما بعث اليه البابا صاحب روما بأربعة آلاف أخرى وبألف وخمسمائة من الخيل واثني عشر مدفعا ، وجمع سبستيان نحو ألف مركب ، وفي هذا الجيش ظهر تعاون المسيحيين مع بعضهم البعض للهجوم على المسلمين وبهذا اكتملت معالم الغزوة الصليبية على بلاد المغرب .

تقدم سبستيان إلى المغرب ، ونزل طنجة وأنضم إليه المتوكل في حوالي ثلاثمائة من جنده ، وأخذت خيل البرتغال في الإغارة على أطراف البلاد فلجأ أصحابها إلى الجبال ، وكتب أصحابها إلى خليفة مراكش الذي كان على أهبة من ذلك الأمر ، ثم تحولت جيوش البرتغال إلى أصيلا حيث وصلتها في ١٢ يوليو سنة ١٥٧٨ وعسكرت بضواحيها وبقيت بها حتى يوم ٢٨ منه قبل أن تزحف إلى داخل البلاد المغربية ثم لتعسكر على الضفة اليسرى المطلة على وادي المخازن يوم ٨/٣ .

وبلغت أخبار نزول الحملة البرتغالية على المغرب إلى المولى عبدالملك فاستعد للجهاد وأرسل إلى كل البلاد والقبائل المغربية وإلى قواده لكي يتهيؤوا بالعتاد والمئونة وأن يتجهوا إلى القصر الكبير ويلحقوا بالجيش المغربي في سلا ، كما أرسل إلى أخيه أبي العباس أحمد ـ واليه على فاس ـ للخروج بجيش فاس وأحوازها ، وأن يتهيأ بمن معه للقتال ولملاقاة العدو البرتغالي .

واستجابت القبائل المغربية لنداءات خليفة السعديين المعتصم بعد تذمرهم منه لاستعانته بالأتراك على خلع السلطان الشرعي بالبلاد ، ولكن قلوبهم جميعا عادت وتعلقت به حينما ترامى إلى أسماعهم أن المتوكل المخلوع قد ارتمى في احضان الأعداء الصليبيين ، وكانت هذه القبائل تكره سبستيان كراهية شديدة بعد أن بلوا أساليبه القاسية في القتال الذي خاضه ضدهم في طنجة .

وهكذا لم يتخلف عن نداء الجهاد في سبيل الله أحد ممن يقدر عليه أمام هذه الغزوة الصليبية الشرسة ، وساهمت في هذا الجهاد جميع طوائف الشعب وفي مقدمتهم الشيخ أبو المحاسن الفاسي الذي شجع الناس على البقاء في بلادهم ومواجهة المغيرين ، وساهم أيضا في المعركة مع المغاربة بعض جنود الأتراك والجزائريين الذين أرسلهم باشا الجزائر لكي ينضموا إلى جيش عبدالملك .

ولم يكن من السهل تحديد أعداد القوات المغربية لأنها كانت تضم أعدادا كبيرة من الجماهير ، بالاضافة الى الجنود النظاميين وقوات الجزائر ، وان كان صاحب تاريخ الدولة السعدية يُقدّر عدد المسلمين بست وثلاثين ألفا والنصارى

مثلهم مرتين أو أكثر .

وغادر الخليفة السعدي عبدالملك مراكش حيث وصل سلا ، ثم اتجه بمن معه إلى القصر الكبير حيث اجتمعت عليه القبائل ، ثم عسكر في منطقة تسمى سوق الخميس على بعد ستة أميال جنوبي وادي المخازن .

معركة وادي المخازن :

ولما لم يكن بد من القتال والمناجزة بين جيوش الصليبيين بقيادة دون سبستيان مع ما انضم إليه من رجال المتوكل - وبين جيوش المغرب بقيادة المعتصم مع ما أنضم إليه من القوى الاسلامية وأبرزها قوة العثمانيين من الجزائريين والأتراك ، وقد حاول الخليفة السعدي أن يستثير خصمه أو يلقى الرعب في فؤاده فكتب إليه أولا : ان سطوتك قد ظهرت في خروجك من أرضك وجوازك البحر إلى العدوة ، فإن ثَبَتَّ إلى أن نقدم عليك فأنت نصراني حقيقي شجاع ، وان رحلت إلى بلادك قبل أن يقاتلك أمير مثلك فأنت كلب ابن كلب ..

فلما وصل الكتاب إلى سبستيان غضب لذلك وشاور أصحابه هل يبقى إلى أن يلحق به من خلفه من أصحابه ؟ أو يتقدم ويملك تطوان والقصر والعرائش ويتقوى بما فيها من الذخائر ، وأعجب الرأي الأخير أصحابه من أهل الديوان ، وكان ذلك رأي المتوكل خليفة السعدي ، ومع ذلك فان الملك البرتغالي لم يعجبه هذا الإقتراح وظل في مكانه .

ولما اكتملت عدة عبدالملك على المواجهة العسكرية بعث مرة أخرى إلى غريمه سبستيان : « إني رحلت إليك ست عشرة مرحلة ، أما ترحل إلى واحدة » .. فرحل الملك البرتغالي من موضع يقال له تهدارت ، ونزل على وادي المخازن بمقربة من منطقة قصر كتامة ، ولعل رسالة الخليفة المغربي الأخيرة كانت مكيدة منه حتى يستطيع محاصرة الجيوش البرتغالية .

وقامت الجيوش البرتغالية بعبور جسر الوادي فأمر أبو مروان بهدم القنطرة ، ووجه إليها كتيبة من أربعة آلاف من الخيل بقيادة أخيه المولى أحمد ومعه أهل منطقة الفحص حاملين فؤوسهم ومعاولهم فهدمت القنطرة ليلا ، وغدا وادي المخازن كله أجراف ومهاوى ولا طريق فيه من جميع الجهات سوى القنطرة ، وقد أكد عبدالملك المعتصم خطته البارعة تلك قائلا : إن النصارى اذا هزموا لم ينج منهم أحد . فكان الأمر كما قدر خليفة مراكش .

ولما غادر أبو مروان عبدالملك وادي وارور ونزل بأعلى وادي المخازن وصار النهر على يمين المسلمين يشربون منه نشبت المعركة بين الفريقين وحمى وطيسها ، غير أن عبدالملك توفى عند الصدمة الأولى في المعركة وكان مريضا في محفته ، ومن حسن حظ المغاربة أنه لم يطلع على وفاة الخليفة السعدي سوى حاجبه رضوان العلج الذي كتم موته وصار يتردد على خباء عبدالملك فيعلن أن الأمير يأمر فلانا أن

يذهب إلى موضع كذا ، وفلانا أن يلزم الراية ... الخ ، كما علم بموته أيضا أخوه أحمد فكتم ذلك أيضا ، ولم يزل الأمر كذلك والناس في النزال والقتال إلى أن هبت ريح النصر على معسكر المسلمين وأرتفعت راياتهم بالظفر فولى البرتغاليون الأدبار .

وانجلت المعركة عن مصرع سبستيان حيث وجد غريقا في الوادي ، وقصد الصليبيون المنهزمون للقنطرة فلم يجدوا لها أثرا فكان ذلك أكبر الأسباب في هلاكهم واقتناصهم وأكتمال النصر للمغاربة ، ولم ينج من القوة الصليبية غير عدد قليل ، وبحث أيضا في القتلى عن المتوكل فوجد غريقا في وادي لكس فاستخرجه الغطاسون ، وأمر المولى أحمد المنصور - الذي خلف المعتصم - بسلخ جلده وحشى تبنا وطيف به في مراكش وغيرها من البلاد المغربية .

وهكذا لم تخلف المعركة ظن أبى مروان حينما أمر بهدم قنطرة وادي المخازن فقتل من قتل وغرق من غرق وأسر من أسر ولم ينج من الصليبيين أو يفلت منهم أحد .

ومن العجيب أن هذه المعركة قد أسفرت عن موت الملوك الثلاثة الذين أشتركوا فيها . فعبد الملك مات مسموما أول المعركة ولما يجن ثمرة جهوده وتخطيطه وراح ضحية أعدائه الأتراك كما يروى عنه أنه مات مسموما بدسيسة من غريمه المتوكل ، الذي كان يهدف إلى اعلان موته قبل بداية المعركة ، فيفت في عضد المغاربة ويبعث الأضطراب في نفوسهم ، كما أسفرت المعركة عن مصرع الملك المغامر سبستيان ، الذي لقى مع جنده عاقبة حمقه وتسرعه ، ولم يفلت من هذه المعركة محمد بن عبدالله المتوكل المسلوخ الذي مات غريقا ، فانتهت حياته بهذه الخيانة المخزية من جراء انضمامه لأعداء الاسلام ، ولقى عاقبة ذلك القتل والخسران .

وكان تاريخ التقاء القوتين الاسلامية والصليبية يوم الأثنين آخر جمادى أول سنة ٩٨٦ هـ ، ٤ أغسطس سنة ١٥٧٨م .

نتائج معركة وادي المخازن :

كانت معركة « وادي المخازن » أو « القصر الكبير » أو « الملوك الثلاثة » بالنسبة للمسلمين في المغرب وفي أفريقية بمثابة معركة بواتيه أو بلاط الشهداء في أوروبا ، وهى أيضا كمعركتي عين جالوت وحطين في المشرق ، ولقد أسفرت المعركة عن نتائج مباشرة وأخرى عميقة الأثر سوف نعرض لها فيما يلي :

فمن الناحية العسكرية :

لم تكن هناك ظروف محيطة بالملك دون سبستيان تدعو إلى الفشل الا وهى

متوفرة ، ولكن عظم النكبة فاق كل الاحتمالات ، ففي مدى ست ساعات في يوم من أيام أغسطس الحارة أبيدت قوة برتغالية بلغت ستة وعشرين ألف رجل بين قتيل ومفقود وأسير ، ولم ينج من الموت أو الأسر الا أقل من مائة .

وفي تقدير المؤرخ المغربي المعاصر أبي فارس عبدالعزيز الفشتالي أن عدد قتلى المعركة وأسراها يبلغ نحو ثمانين ألفا ، ويذكر ذلك بقوله : « ناهيك عن يوم أجلي عن ثمانين ألفا من المشركين بين قتيل وأسير ، ويكفي دلالة على ذلك أن كل مغربي قد عاد ومع كل منهم أسير أو أسيران ، فأكثر ومعظم هؤلاء الأسرى من أكابر دولتهم » .

وأنهت معركة وادي المخازن أسطورة دولة البرتغال القوية وأبرزت افلاس الحملات الصليبية التي كان البرتغاليون يقومون بها في بلاد المغرب وغيرها من البلاد .

وأدت هذه المعركة إلى تدهور مكانة البرتغال كدولة كان لها وزنها الدولي في مجال الاستعمار وقهر الشعوب ، لترتد إلى حضيض الدول الصغرى بحجمها الذي تعرف به الآن بعد أن فقدت مستعمراتها في الخارج ، ولم يعد لها شأن دولي ثم لتتقلص داخل حدودها الحالية . ولا شك أن الفضل في ذلك يرجع إلى السعديين الذين حفظوا للاسلام هيبته وللعالم العربي كيانه وللمغرب قوته ، كما كان الفضل لعبدالملك المعتصم بحسن تخطيطه وفي تحييده لموقف أسبانيا التي سبق أن قدم لها مشروعا للتحالف ، ولكن ملك أسبانيا فيليب الثاني لم ينفذ هذا التحالف انتظارا لما يؤول إليه أمر المعركة بين القوى المسيحية والاسلامية في المغرب .

ومن الناحية السياسية :

لم تكن مصيبة البرتغال في فقد زهرة شبابها وجيشها الكبير المسلح بأحدث أنواع العتاد ، بل انها فقدت بعد قليل سيادتها وكيانها السياسي ، وانتقلت دولتها وأمبراطوريتها الضخمة إلى اسبانيا ومليكها فيليب الثاني لتظل هذه التبعية حوالي ستين عاما من سنة ١٥٨٠ إلى ١٦٤٠م .

ومن جهة أخرى فلقد وطدت المعركة سياسيا دعائم حكم السعديين ، وقوت شعبيتهم في المغرب ، وأبرزت أكثر من ذي قبل القيادة الشعبية للسعديين ، الذين يحرصون على وحدة البلاد واستقلالها ، كما أظهرتهم المعركة كحكام أقوياء يمكن الاعتماد عليهم وعلى تحالفهم ، مما جعل للمغرب دورا هاما في السياسة الخارجية وفي حفظ التوازن بين قوى الشرق والغرب من جهة وبين القوى الكاثوليكية والبروتستانتية من جهة أخرى ، ولقد عادت المعركة على المنصور بالدرجة الأولى بالغنى والشهرة والمجد في الداخل والخارج ، فاستغل ذلك في تأسيس أمبراطوريته بغربي أفريقية لتنافس أكبر أمبراطوريتين معاصرتين له في أستنبول ومدريد .

وقفة تأمل

اول من هبط على القمر

○ قدمنا في زاويتنا تلك « روجيه جارودي » أو « رجاء جارودي » المسلم ، والذي تقاذفته أمواج الفكر البشري حتى رسا على الجانب الآمن في ظل الدين الخالد ..

○ واليوم مع نجم آخر شاء الله له أن يتلألأ في سماء الاسلام ، ليؤكد أن المسيرة مباركة وأن الله سبحانه يتولى حفظ دينه ونشره برجال لهم شهرتهم في دنيا الناس ، فهم إعلاميون وأصوات عالية تحكي خلود الدين الاسلامي على مرّ الزمن .. رغم الغربة التي يعيشها المسلمون في أوطانهم .

○ بلا حكومات تنفق على الدعوة إلى الله ، وبلا هيئة عالمية تعمل على نشره ، وبلا جمعيات تبشيرية .. يحقق الاسلام انتصارا يعجزعن تحقيق مثله المبشرون والكهنة

○ أعلن نيل أرمسترونغ - أول من هبط على سطح القمر - إسلامه في ماليزيا .. وهذا في حدّ ذاته أمر نسعد به ونسر ! وقد أراد الله بصاحبنا خيرا حيث شرح صدره للاسلام .

○ وقد قال رائد الفضاء الأمريكي : « **لقد فقدت وظيفتي .. ولكني وجدت الله** » .

وهكذا الغرب الذي يدعي الحرية ، ويؤمن بأنها حق مطلق لكل إنسان .. إنه يؤمن بالحرية إلى درجة الفوضى .. إلا أن تؤدي هذه الحرية إلى اعتناق الاسلام ، عندها يظهر الاضطهاد في أبشع صوره ، يطرد المسلم الجديد من وظيفته ، ويلجأ إلى الزوايا المظلمة

○ ولم يكتف الغرب بطرده من وظيفته بل لجأ إلى النيل منه وتشويه صورته أمام الرأي العام حيث قالت صحافة الغرب عنه : زار نيل أرمسترونغ القاهرة وتجول في أحياء مصر القديمة وسمع الأذان .. **فأصابه مسّ** من الذهول ، فسأله مرافقوه عن **الحالة التي أصابته** ، فقال **ودقات قلبه تتسارع : لقد سمعت هذا الصوت فوق سطح القمر** .

○ وهكذا يصورون الرجل بأنه أصابه مسّ ، وأن حالة أصابته ، وأن دقات قلبه تسارعت ، وأنه سمع الأذان فوق سطح القمر ، وهذه العبارات توحي بأنه لم يعد في حالته الطبيعية ، وهذا هو هدف الحاقدين على المسلم الجديد . والرجل باختصار :

○ شاهد ما لم يشاهده الانسان العادي فامن بآن لهذا الكون خالقا عظيما .

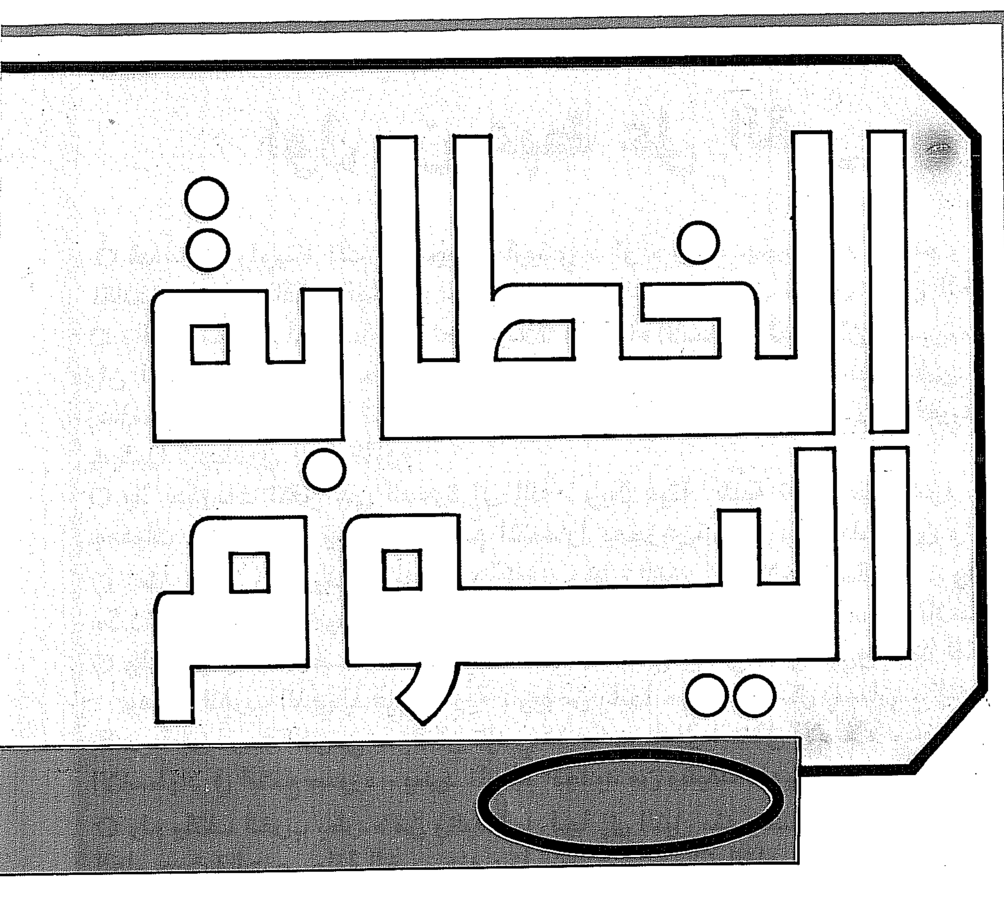
○ وأعاد دراسته للأديان ، فآمن بالاسلام دينا ، ولا دين سواه ؛ وأعلن إسلامه

○ فطرده مركز الفضاء الأمريكي من عمله . فقال : « لقد فقدت وظيفتي .. ولكني وجدت الله» .

○ ومن نتائج إيمانه : أداؤه الصلاة في أوقاتها ، نبذه تعاطي الخمور ، دراسته للدين الاسلامي ولقضاياه ، وكما يقول أصدقاؤه : أصبح إنسانا آخر غير الذي كنا نعرفه .

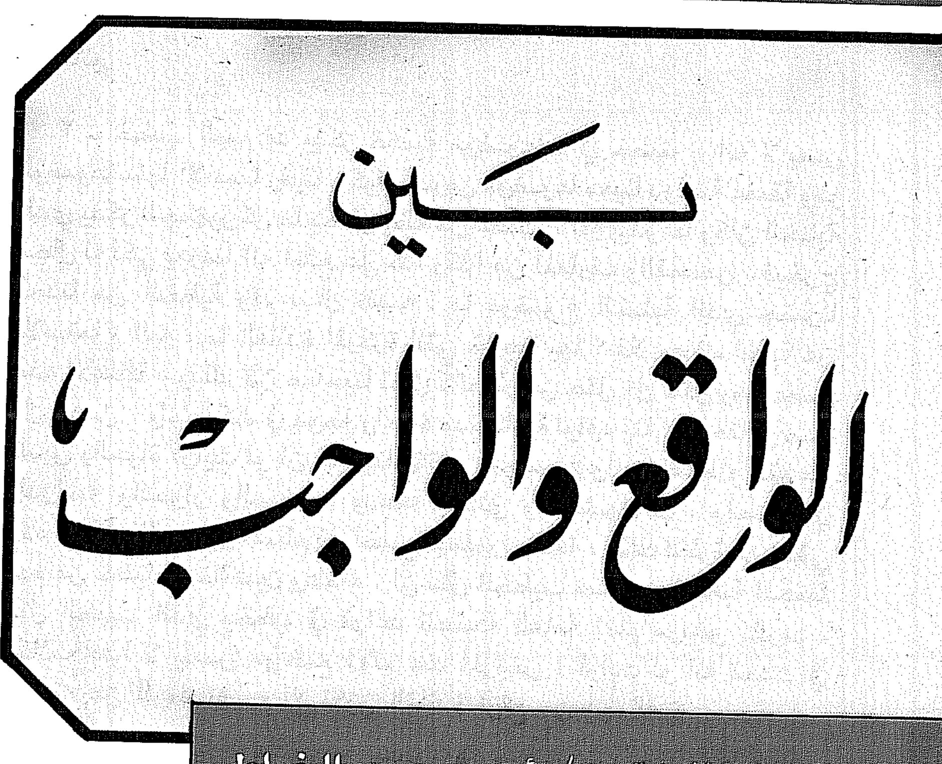
○ افبعد هذا تنشر صحافتنا : أنه أصابه مسّ ، وحالة أصابته ، وسمع صوتا فوق القمر هو الأذان .

يجب أن ندقق تماما فيما نقرأ لنميز الخبيث من الطيب ، وهذا يتطلب منا وقفة تأمل ..



حبذا لو فكر الدعاة الى الله بين الوقت والآخر في تقويم الجهود المبدوله في هذا الطريق الشاق الطويل ليتعرفوا على الثغرات تعرفا مباشرا ، وليتسنى لهم استدراكها في قادمات الأيام . وليس من شك أن الخطابة سلاح من أسلحتهم الحية التي تستحق منهم المراجعة والحوار حول ما يدفع بها لتحقيق أغراضها التي يرتجيها كل مخلص غيور . فاذا عكفنا على دراسة الخطابة اليوم وما يعتريها من ضعف وفتور وتأثير قريب لا يدنو الى شغاف القلوب فيستميلها وينتزعها من وهدتها واخلادها الى الأرض لتتحرك وفق ما يرسمه الخطيب ، اذا عكفنا على ذلك التقويم الهادف تبين لنا أنها لا تحقق ما نرنو اليه وذلك في رأينا للأسباب التالية :

١ ـ يقف خطيب اليوم ليبدأ خطبته بقوله : « والله لا أدري ماذا أقول لكم » « خطر ببالي وأنا أصعد المنبر » ولم يخطر بباله أن يخصص ساعتين من وقته ليحضر مراحل الخطبة والوثائق التي ينبغي أن يدعم خطبته بها



للدكتور / أحمد محمد الخراط

حين قرر الارتجال أو الكتابة أو الجمع بينهما لم يفكر في بيته تفكيرا جادا : كيف يبدأ موضوعه ، وكيف يعرضه وما عناصره ، وكيف ينتقل الى الفقرة الثانية ، ومتى يظهر انفعاله ، ومتى يروض نفسه على العبارة الهادئة ؟ ان كتاب كذا يفيده فلماذا لا يطلع عليه قبل الخطبة ويفيد منه ؟ إن الرجال الذين يجلسون من حوله قدموا عليه من كل حدب وصوب ، وإنها لمناسبة طيبة أن يجتمع بهم ، لعله لا يلقاهم بعد أسبوع أو شهر أو سنة فلماذا لا يعي دوره ؟ إنه بذلك يعمق الفكرة الشائعة التي تقول : إن لقاءنا بالخطيب تقليدي رتيب وينبغي أن أخلد الى غفوة في أثناء الخطبة أستريح بها من عناء يومي حتى ينتهي خطيبنا ، أو هي فرصة سانحة لأحاور نفسي فيما صح عزمي عليه ، أما اذا كان الخطيب قد احترم نفسه ووثق بدوره ودور هذا السلاح الماضي وأعد للأمر عدته فقدم مادة مرتبة أشبعها نقاشا علميا لا انشائيا فان لسان الحال والمقال سيضع الحق في نصابه في الحكم على التأثر

والتأثير .

٢ - خطيب اليوم قد يذكر خمسة موضوعات في خطبته ، انه لا يمس موضوعا منها الا مسا رفيقا ، كيف يدرس موضوعا معينا دراسة عميقة وهو الذي يذكر للجمهور كل ما يخطر بباله من شتات ، انه يبدو لنا وكأن الخطبة مجال له لكي يعرفنا أنه اطلع على كذا وكذا من المعارف والقصص ، فيخرج أحدنا من الخطبة وقد سأل نفسه : ما موضوع الخطبة الذي حضرنا للاستماع اليه ، ما الفائدة المركزة التي خرجنا بها ؟ فلا يعرف أجابة عن هذه الأسئلة ، وذلك لأن صاحبنا تنقل كالطائر من حقل الى حقل ومن غصن الى غصن ، ولم يمكث في دوحة واحدة مدة كافية ليقف بنا على حقائق صلة الدين بالحياة أرأيت لو أن خطيبنا اكتفى بموضوع واحد فأعطاه حقه من الدراسة والحوار والعرض ، ودعمه بوثائق واستشهادات ، وأحسن في الأداء لكان الجمهور المسلم قد أصبح جمهورا مثقفا ، وذلك لكثرة من يلتقي بهم من خطباء ومناقشين وعلماء . ان مثل الخطيب صاحب الخطبة المجملة مثل الطبيب الذي يخطب في قواعد الصحة العامة أمام مريض بالرمد ، فكلامه هذا لا يلمس مواضع الألم عند المريض ، أرأيت لو أنه تحدث في خطبته عن الرمد نفسه ألا تكون الفائدة أوقع من إجماله ؟

٣ - خطيب اليوم لا يراعي مقتضى الحال وما ينفع الناس في الأرض ليمكث ، انه قبل أن يختار الموضوع ينبغي أن يركز اختياره حول مشكلات الجمهور من حوله ، ومشكلات المجتمع الذي ينطلقون منه . يروي الدكتور عبد الجليل شلبي أنه استمع في احدى القرى المصرية الى خطبة شيخ عن مضار الخمر وأخطارها ، وهذه القرية لا تعرف الخمر لا من قريب ولا من بعيد ، وانما تعرف التدخين والمخدرات ، أرأيت لو أن الرجل ناقش حال هؤلاء الذين أزعجه سعالهم من جراء ادمانهم هذه السموم ، ويروي لي أحد الفضلاء أنه استمع في قرية تقع شمال سوريا الى خطبة يقرأ فيها الخطيب من كتاب قديم فيوصي مستمعيه ألا يركبوا في نهر النيل لأن عائلة كذا غرقت أمس . إن الخطيب اليوم وهو لا يراعي مشكلات مجتمعه يفقد الخطبة هدفها الأساسي ، لله دره هل انتهت قضايا عصرنا وهل خلت أسرنا ومدارسنا من موضوعات مناسبة للخطبة ؟

٤ - النفس الانسانية غالبا تتوق الى الجديد وتمل من التكرار الذي استمعت اليه ، ويلجأ بعض الخطباء الى القراءة في خطبة كانوا قد ألقوها منذ شهور على المنبر نفسه ، إن جمهورهم في هذه الحالة سوف ينصرفون عن

المتابعة ، فيفقد الخطيب بذلك عنصر الاستمالة اللازم في الخطبة ، يستطيع الخطيب ان أراد أن يعود الى الموضوع أن يعيده في قالب جديد وبدعم جديد من الاستشهادات والحجج ، وذلك ليحس المستمع أن الخطيب مهتم بهم مراع لاستماعهم السابق .

٥ ـ ان الحديث عن الزهد وذم الدنيا ونعيم الآخرة أمر طيب وهو من العناصر التي ينبغي للخطيب دائما أن يسعى الى التنبيه اليها فان الذكرى تنفع المؤمنين ، وإن معظم بلائنا من اخلادنا الى الأرض ، غير أن هذه المقولة ينبغي ألا تجعل الخطيب غافلا عن موضوعات الحياة التي تهم الناس ، واذا أراد أن يتحدث عن الزهد والحياة الدنيا الفانية فان عليه أن يختار من العبارات اللفظ المناسب ومن القصص ما يؤثر ومن المواقف الحية ما يجعل حديثه واقعا في القلوب ، أما اذا اختار لحديثه تعبيرا تقليديا رتيباً مكرراً طالما طرق الاسماع لفظه فانه بذلك يضعف من قيمة حديثه ، وإن للخطيب من كتب السنة الصحيحة ومن اختياراته من مقروئه ما ينفعه في تجديد الروح وضمان التأثير .

٦ ـ القائمون على الخطابة اليوم لا يهتمون بتجديد معارفهم واغناء خطبهم بما يجعل عنصر التشويق واردا في خطبهم ، ناهيك عن جهل كثير منهم بالعلوم الشرعية الضرورية ، إن الخطيب اليوم على ثغرة كبيرة فلا يظن أن مستمعيه على بساطة وجهل فلا بأس عليه إن حدثهم بما يخطر بباله ، إن أمامه من المثقفين والمطلعين ، وان أمامه من لا يملك وضوح الرؤية ، فحمل في ذهنه أخطاء في التصور وأخطاء في العقيدة والمنهج ، وقد يكون أمام الخطيب من يعيشون انحرافا ما في بيوتهم أو أدمغتهم فماذا أعد لهذا الركام ؟، واذا كان قد أعد عبارة انشائية وصوتا جهوريا ومعلومات مكررة قريبة فليتق الله في هذا الخير الذي يمكنه أن يحمله وفي هذه الأمانة التي هو عليها مهيمن ، والا فان سلاح الخطابة سيكون أقرب الى مباشرة الشكل والصورة من غير روح وحياة .

هذه هي أهم أسباب تعثر الدور الذي تقوم به الخطابة اليوم واذا أردنا أن نعالج الأمر باخلاص وجدية كان علينا أن نلحظ هذه الأسباب ونتلافاها حتى لا يكون خطباؤنا في واد مثالي وبرج عاجي رفيع في حين يمضي المسلمون من حولهم في طريق أخرى .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



للأستاذ / عبدالحفيظ فرغلي علي القرني

تطلق كلمة العصامي على معنى بعيد جدا عن مدلولها اللغوي ، فالعصام في اللغة ما تعصم به القربة من حبل ونحوه ، يقال : عصم القربة شدها بالعصام ، أما المعنى الذي اعتاده الناس من كلمة عصامي فهو الانسان الذي يشرف بنفسه لا بآبائه .

وأصل هذا المعنى مثل يضرب وأوردته كتب الأدب واللغة مرده الى عصام حاجب النعمان وقالوا في ذلك : كن عصاميا ولا تكن عظاميا اي كن مثل عصام حاجب النعمان بن المنذر والذي سود نفسه بنفسه حتى صار ملكا دون ان يكون أحد في آبائه وأجداده ورثه وانشدوا في هذا المعنى .

نفس عصام سودت عصاما

وعلمته الكر والاقداما

وصيرته ملكا هماما

ونقيض العصامي العظامي وهو الذي ورث الشرف عن أسلافه ، نسبة الى العظام اي عظام اجداده .

ولاشك ان الذي يشرف بنفسه ويعظم بهمته اجل من الذي وجد له سلما من الآباء يرتقى به ومجدا من الاسلاف ينتمي اليه ، وقد لا يكون في نفسه ما يؤهله لذلك او يوصله الى المنزلة التي صار اليها ، اما الذي سمت به مواهبه وارتفعت به همته فهو اولى بان يستحق ما نال وان يحافظ على ما اكتسب .

أثر البيئة :

والبيئة تترك أثرا في ابنائها ما من شك في ذلك ، وقد ورد في الامثال ، الانسان ابن بيئته ، والناشىء يتأثر بما حوله وبمن حوله ، واذا درج الطفل في بيت علم الف رؤية الكتاب وحببه ذلك في تقليبه والاطلاع عليه ، واكتسب حب العلم من والده وورث ذلك منه ـ هذا في الغالب ـ وكثيرا ما رأينا العلم يتوارث كابرا عن كابر ، والمثل في ذلك اللقب (الشحنة) الذي يطلق على عبدالبر بن محمد بن الشحنة المتوفي سنة ٩٢١ هـ وهو فقيه حنفي ولد وتوفى في حلب ، وتعلم في القاهرة وولى قضاءها ، وكان مقربا من السلطان الغوري ، ومن تآليفه الذخائر الأشرفية في ألغاز الحنفية » .

كما يطلق على جده محب الدين ابي الوليد المتوفي سنة ٨١٥ هـ وكان قاضي قضاة الحنفية في حلب ودمشق ومصر والشام ولد وتوفى في حلب وله « روضة الناظر في أخبار الأوائل والأواخر » .
ويطلق على أخيه أحمد بن محمد المتوفى سنة ٨٨٢ هـ وهو فقيه حنفى ولد في حلب وتولى قضاءها وتوفى شابا ومن مؤلفاته « لسان الحكام في معرفة الأحكام » .
ويطلق على أبيه أبي الفضل محمد بن الشحنة المتوفي سنة ٨٩٠ هـ ، وقد عرف بابن الشحنة الصغير . وكان قاضيا حنفيا نشأ في حلب وقدم الى القاهرة حيث عمل في كتابة سر السلطنة ، وينسب اليه كتاب « الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب » .
فهذا مثال يتحدث عن أن العلم يتوارثه الصغير عن الكبير . يجيء ذلك من تأثير البيئة في أبنائها ويساعد عليه ... الاستعداد والطبع ؛ وتصقله الهمة القوية والعزيمة الصادقة والتشجيع المستمر .
والأمثلة على ذلك كثيرة ، فابن تيمية الجد هو الذي ورث ابن تيمية الحفيد حب العلم والاقبال عليه ، والجد هو عبدالسلام مجد الدين المتوفى سنة ٦٥٢ هـ وكان عالما حنبليا ولد بحران وتوفى فيها ومن مؤلفاته « الوصية الجامعة لخير الدين والآخرة » والمنتقى من احاديث الاحكام » .
أما الحفيد فهو تقي الدين أحمد المتوفي سنة ٧٢٨ هـ ، وقد جدد المذهب الحنبلي وتعرض لكثير من المحن وبز جده في التأليف .
ولابد ان يبز اللاحق السابق مادام قد وهبه الله النبوغ والغيرة والحماس ، ومادامت الظروف المواتية قد تهيأت له ، فهو يأخذ الخبرة ويضيف اليها ببحوثه

ودراساته واطلاعاته واجتهاداته ، وقديما قالوا (رب فرع فاق الأصل) .
واذا كنا قد ضربنا المثل بابناء القرون الماضية فان الحاضر المشاهد يصدق ذلك ولا يكذبه ، فالأسرة تتوارث ما تتعاطاه من علم أو صناعة وقد تكون الصناعة علما دقيقا له أسراره وخباياه ، فيصبح ذلك وقفا على أبناء هذه الأسرة التي تتقنها ، وكم من صناعات دقيقة بادت أو كادت تبيد ـ بكل أسف ـ لأن العلم بها ظل مضنونا به على غير الأبناء ، وانقرض الكبار الملقنون وضاق به ذرعا الأبناء المحدثون .

ويدخل في مجال العلم الأدب الذي يتلقن الاقبال عليه الصغير من الكبير ، ففي القديم كانت اسرة زهير ... الشاعر يروي بعضهم عن بعض فكان زهير راوية لخاله بشامة بن الغدير ولزوج أمه أوس بن حجر وأخذ عنه ابناه كعب وبجير ، وكان عبدالرحمن بن حسان وارثا لشاعرية أبيه حسان بن ثابت الأنصارى ، وهؤلاء كلهم شعراء مجيدون .. وتسير العصور تلو العصور على هذا المنوال ، والشاهد على ذلك في العصر الحديث الأسرة التيمورية التي بدأت مع نهاية القرن السابق ومطلع هذا القرن نشاطا أدبيا علميا ملحوظا بدأه أحمد بن اسماعيل تيمور ١٨٧١ ـ ١٩٣٠ م صاحب الخزانة التيمورية الشهيرة بمحتوياتها المطبوعة والمخطوطة وقد أهداها قبيل وفاته لدار الكتب المصرية ، وكان له نتاج علمي وأدبي قيم أهمه « تصحيح لسان العرب » « وتصحيح القاموس المحيط وناهيك بهذا العمل الضخم الذي يدل على احاطة واسعة باللغة العربية ومعرفة كبيرة بدقائقها ، أما الكتاب الذي يدل على دقة ملاحظته واحكام نقده وقدرته على التمييز بين المعاني وعلى السليقة الأدبية الممتازة فهو كتاب « أوهام شعراء العرب في المعاني » .
لقد ورث عنهم هذه الحاسة الأدبية أبناؤه من بعده فكان ابنه محمد ١٨٩٢ ـ ١٩٢١ م أديبا اتجه بنتاجه الأدبي نحو المسرح ، ووقف ابنه محمود ١٨٩٤ ـ ١٩٧٣ م جهوده على القصة الأدبية الحديثة حتى أطلق عليه لقب عميد القصة العربية .

البيئة العامة :

وفي كل هذه الأمثلة السابقة عرض للتأثير المباشر من البيئة القريبة التي تظهر في الأسرة الواحدة ، ولاشك أن تأثير ذلك واضح ملحوظ ، ولكن البيئة العامة لها تأثيرها أيضا في أبنائها ، ولا ينكر منكر أن أبناء العصر الجاهلي كانوا مصبوغين بصبغته مفطورين بفطرته ، وحظهم من العلم هو ذلك العلم الذي كان منتشرا في ذلك العصر ومستفادا من فطرتهم القريبة وتجربتهم المختلفة ويكاد ينحصر عند بعضهم في الفراسة القيافة والكهانة والزجر وكانت لهم حكم وأمثال من وحي التجارب . يصدق بعضها ويتأثر بعضها بما يدينون به من عادات وتقاليد . فلما جاء الاسلام دان الناس به وانطبعوا بما فيه من مثل عليا ومبادىء كريمة ،

وظهر أثر ذلك واضحا في تفكير المسلمين وسلوكهم ، لقد نشر الدين رواقه على الجميع وأصبحت البيئة كلها اسلامية خالصة وكان للقرآن الكريم ودعوته الصريحة للعلم أثر كبير في توجه الناس الى الانتفاع بثمرةالعقل ونعمة التفكير .
ومع تقدم العصر بالأمة الأسلامية واتساع أرضها وتقارب أبنائها على اختلاف أجناسهم ونضـج العقلية العربية ازدهرت العلوم واتسعت آفاق المعرفة ودانت قطوفها للجميع . أقبل الناس على العلم وأنواعه والأدب وفنونه حتى اصبح من لا يأخذ بحظ من الادب أو العلم أو الفن فاسد القريحة سيىء الطبع بليد الفهم ، ومن أجل ذلك . رأينا العلماء والأدباء يكثرون ويجلون عن الحصر ، وتعددت منافذ العلم وروافده ففي كل مسجد مدرسة وفي كل قصر من قصور الخلفاء والأمراء والأعيان مجلس معقود للعلم والأدب وبدأت المدارس المنتظمة تعرف طريقها الى الظهور وينتظم فيها الطلاب والمدرسون .
كان الخلفاء في العصور الاسلامية الزاهية حماة للعلم وكانت قصورهم منتديات له تشع النور والعرفان وتحلق العلماء حول الخلفاء والأمراء يفيدون ويستفيدون ، وأصبح العلم وسيلة يتقرب بها الناس الى الخلفاء والولاة وينالون بذلك سنى الجوائز وأعظم الصلات ، ولقد بلغ من ذلك ان العالم كان يحصل بكلمة واحدة ما تشرئب له الأعناق وما يرسم الطريق نحو التنافس في تحصيل العلم لينالوا به ما نال ، ومثل واحد يغني عن كثير فقد أورد الرواة أن المأمون نطق في مجلس فيه النضر بن شميل كلمة سداد بالفتح في الحديث الشريف الذي رواه ابن عباس « أيما رجل تزوج امرأة لدينها وجمالها كان ذلك سدادا من عوز « فقال له النضر بل سداد بالكسر فقال المأمون هل معك شاهد من ذلك ؟ قال أجل قول العرجي الشاعر .

أضاعوني وأي فتى اضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

وبين له الفرق بين سداد وسداد فقال : السداد بالفتح القصد في الدين والسبيل والطريق ، وبالكسر السداد للثلمة وكل ما سددت به فهو بالكسر ، فأثنى عليه المأمون وأجازه بخمسين ألف درهم وقال : قبح الله من لا أدب له .
ليس غريبا أن ينتج مثل هذا العصر أئمة اللغة والدين والأدب والعلم من أمثال أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل ومن أمثلة الكسائي سيبويه والخليل بن أحمد والمبرد وثعلب وابن المقفع والجاحظ وابن قتيبة والحسن بن الهيثم وجابر بن حيان ومئات غيرهم ممن عاصرهم وسبقهم وجاء بعدهم ممن طبقوا الأرض علما وأدبا وشعرا وفنا .
فقد تأثر العلماء المجيدون بالبيئة العامة المزدهرة ، وتأثر الناس بهؤلاء العلماء الذين ازدانت بهم الحياة وأصبحت هناك مدائن عامرة مشهورة بالعلم في مختلف

الأقطار .
فالمدينة بمسجدها النبوي وبغداد بقصور خلفائها وأمرائها ودور كتبها وبيت الحكمة فيها والقاهرة بمدارسها ومساجدها الجامعة كجامع عمرو والجامع الأزهر ودار الحكمة فيها والموصل ودمشق والقيروان والمغرب وقرطبة والأندلس وصنعاء وزبيد في اليمن وغيرها ، كل هذه العواصم والمدن كانت عامرة بالعلم والعلماء تستقبل الوافدين من كل صوب لينهلوا من العلم ويتخرجوا علماء أجلاء .
ليس غريبا بعد ذلك ان نسمع نسبة كثير من العلماء الى مكان واحد بعينه مع افتقاد صلة النسب بينهم ، فالاصفهاني مثلا نجده لقبا لعشرات من العلماء ، والأزهري أيضا والبغدادي والقيرواني والجرجاني والطبري كذلك وهكذا ، ما ذلك الا لأن المنسوب اليه في ذلك كله كان منبعا فياضا من منابع العلم تخرج في ظله الكثيرون واقتطف من ثماره العديد من العلماء المشهورين .

التأثر بالبيئة أمر طبيعي ولكن يمكن الخروج عليه :

والتأثر بالبيئة أمر طبيعي يتمشى مع منطق الحياة وفطرتها ، ولكنه ليس من الحتم أن تؤثر البيئة في الانسان فقد ينشق الانسان على بيئته ويخرج عليها ، وقد ينشق على أسرته ويضيق بها ، وليس من الحتم أن ابن العالم يكون عالما او ابن الجاهل جاهلا وعلى ذلك فقول الشاعر .

وهل ينبت الخطيَّ الا وشيجه ... وتنبت الا في منابتها النخل ؟

ان صدق في كثير من الاحيان فقد يتخلف في بعض الأحيان .
وعلى هذا الفهم رفض الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله أن يتحدث عن البيئة في التعريف ببعض من ترجم لهم من الأعلام الفضلاء ، لأنه رأى أن البيئة ليست هي كل شيء في حياة الأعلام ، قد يكون للموجهين أثر ولكنه الى حد ما ، والنابغة في فنه وعلمه له شخصيته المتميزة الفريدة والا كان صورة طبق الأصل من موجهه ، وقال في مقدمة كتابه عن أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه « ومن أجل ما تقدم لم أكتب عن مصادر أبي الحسن واذا كنت قد كتبت عن سيدي عبد السلام بن مشيش فانما كتبت عنه كموجه فقط ، والموجه ليس هو الموحي وليس هو الملهم » .
ان مهمة الموجه كما يرى هي أن يدل تلميذه على الطريق فاذا عرفها التلميذ انطلق في قدم ثابتة الى غايته لا يلوى على شيء .
والذي يستطيع أن يشق طريقه بين الصخور بعزم صادق هو العصامي ، وهو الذي يعنينا في هذه السطور التي تتحدث عن العلماء العصاميين الذين لم تكن هناك بيئة قريبة أو بعيدة يتأثرون بها .
أو كانت هناك بيئة ولكنهم خرجوا على نظامها المتبع الى التحليق في أجواء أخرى برزوا فيها وأثبتوا فيها قدرتهم الفائقة وشخصيتهم المتميزة .

أو كانت هناك ظروف معوقة ولكنهم استطاعوا أن يطوعوها أو يخضعوها وينتصروا عليها .
والتاريخ العلمي للعرب يمتلىء بصفحات مشرقة من هذه الشخصيات . التي استطاعت أن تقدم الكثير من المبتكرات والمؤلفات والأعمال العظيمة وأن تجبر التاريخ أن يحني لها قامته اجلالا واعظاما .

صور مشرقة من العصاميين :

والأمثلة التي نقدمها من هؤلاء ليست هي كل شيء في تاريخ العلماء ، ولكنها نماذج فقط يستطيع القارىء أن يأخذ منها جوانب مختلفة من العبرة والعظة والقدوة الحسنة التي يمكنه الانتفاع بها في حياته وسلوكه .
ففقدان البصر كثيراً ما يقف عقبة في طريق من امتحنهم الله بذلك ، وهي عاهة كفيلة عند الانسان العادي بأن تعوقه ، وقد رفع الله عن الأعمى مئونة الجهاد مثلا وقال في محكم كتابه « **ليس على الأعمى حرج** ... » سورة الفتح (الآية ١٧) . ولكن هذا الشعور بالنقص قد يولد الكمال عند من وهبهم الله الشعور بلذة الكفاح والانتصار على المعوقات ، فلا يجد هؤلاء في هذه العاهة عائقا بقدر ما يجدون فيها حافزا على بلوغ القمة ، وقد رسم الله امام هؤلاء ـ الطريق بقوله تعالى : « **فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** » سورة الحج ـ الآية ٤٦ . كأنه يريد أن يقول لنا ان العاهات ليست نقمة ولكنها نعمة ، وقد أبت حكمة الله العليا الا أن تعوض المصاب بما هو خير ، فهو ان كان قد أخذ البصر فقد منح البصيرة .
ونجتزىء عن كثير من الأمثلة في ذلك بالأعلام الآتية .

السهيلي :

حسبك من السهيلي أنه مؤلف كتاب « الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام » وقد جلى كثيرا من مواقفها وأبان مزيدا من أسرارها .
والسهيلي هو عبدالرحمن بن عبدالله المتوفي سنة ٥٨١ هـ ، ونبغ في كثير من فنون العلم ، نبغ في التاريخ ، والحديث واللغة . وتميز في روايته للحديث بالحفظ والاجادة .
ولد السهيلي في الأندلس . في قرية سهيل القريبة من اقليم مالقة ، وهي مرفأ في جنوب آسبانيا على البحر المتوسط .
وابتلى السهيلي بفقد بصره مبكرا ولكن ذلك لم يعقه عن تلقي العلم والنبوغ فيه حتى شهد له بالتفوق ، وقارىء كتاب الروض الأنف يؤخذ بما فيه من جمال

الأسلوب وغزارة العلم وسعة الأفق وكثرة الرواية ودقتها ، وله الى جانب ذلك مؤلفات أخرى منها التعريف والاعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام .

الانطاكي :

وداوود الانطاكي ـ المنسوب الى انطاكية الشهيرة وقد ولد بها ، ثم هاجر منها الى مصر حيث أقام بالقاهرة وتوفر على طلب العلم ولم يعقه فقد بصره عن ذلك وظل يطلب العلم راحلا في سبيله وانتهى به المطاف في مكة حيث توفى بها سنة ١٥٩٩ م = ٩٤٩ هـ تقريبا .
وعبقرية الانطاكي تظهر في براعته في الطب وتفوقه فيه الى درجة أنه وضع في ذلك كتابا مشهورا وله كتاب في الأدب والجامع للعجب العجاب وهو معروف بتذكرة داوود ـ وله كتاب في الأدب اسمه « تزيين الأسواق » .

المعري :

والمعري هو ابو العلاء ، الذي ولد في معرة النعمان . وقد فقد بصره في الرابعة من عمره ـ ولكن هذا كان حافزا له على تعويضه بالدرس والتحصيل ، فأقبل على ذلك متنقلا بين حلب وطرابلس وانطاكية وبغداد وعاد الى المعرة زاهدا راضيا بالكفاف . وأطلق عليه رهين المحبسين العمى والمنزل وقد وهبه الله شاعرية ملهمة أملت عليه ديوانين من الشعر هما « سقط الزند واللزوميات ضمنهما فلسفته وآراء في الحياة ، كما أملى رسالة الغفران وهي رسالة طريفة انتقادية تعرض فيها لكثير من الشعراء والادباء ، و شبيهة بها الكوميديا الألهية للشاعر الايطالي « دانتي » .

العكبري

ومن العلماء المكفوفين الذين تحدوا العمى عبدالله بن الحسن العكبري المتوفي في حدود العقد السابع من القرن السادس الهجري ، وحياته صورة مثالية للتحدي واجتياز العقبات ، فعلى الرغم من كف بصره برع في النحو براعة فائقة حتى لقب بالنحوي ، ولم يعقه توفره على تعلم النحو الذي تلقاه على ابن الخشاب من أن يقبل على غيره من فنون العلم والأدب ، فقد ترك من بعده كتابا في التفسير هو « التبيان في إيضاح القرآن » وكتابا في الأدب لا يشق له غبار وهو شرح ديوان المتنبي ، وحسبك بهذا العمل الأدبي دليلا على ألمعية هذا الرجل ومقدرته في النقد .

معوقات أخرى :

واليتم من أكبر المعوقات عن الوصول ، ولكن كثيرا من العلماء استطاعوا ان يرتفعوا فوق مستوى الشعور به وأن يحولوا الاحساس الأليم بفقد الأب أو الأم الى قوة دافعة نحو الكمال وتمكنوا من أن يجدوا في حمى العلم وحمايته ما يعوضهم عن حمى الأب ورعايته .

وكأن الله جلت حكمته يعلمنا بأن رحمته التي وسعت كل شيء لا تعجز عن أن تبسط لليتيم أكف الرعاية وتفتح أمامه أبواب الأمل وتسكب في نفسه دوافع العمل حتى يوقن بأن حماية الله فوق كل حماية ورعايته فوق كل رعاية ، وما كان الوالدان الا سببا من أسباب الحياة وفوق هذا السبب بل فوقه مسبب الأسباب ، واليتم لو أمعنا الفكر نجده نعمة لمن تولاهم الله برحمته فقد قطعهم من كل سبب الا منه ، ومن قطعه الله عن غيره ليوصله به فقد بلغ منزلة لا تدانيها منزلة ، والقدوة في ذلك نبي الهدى صلى الله عليه وسلم الذي يمن الله عليه بقوله « **ألم يجدك يتيما فآوى** » ثم يوصيه بعد ذلك باليتيم فيقول له « **وأما اليتيم فلا تقهر** » سورة الضحى .

السيوطي :

وأمامنا أمثلة ممن لم يقف اليتم عقبة في طريق طموحهم ، نقدم منها السيوطي الملقب بجلال الدين وهو عبدالرحمن ابن أبي بكر ، ولد بالقاهرة وتوفى فيها سنة ٩١١ هـ ، ولعل نسبة السيوطي جاءته من أسرته التي كانت تعيش في أسيوط احدى عواصم الصعيد في مصر .

ونشأ السيوطي يتيما ولكن ذلك لم يحل بينه وبين الاقبال على العلم والتزود منه بأقصى ما يمكنه في مختلف الأقطار فرحل اليه في جميع مظانه ، ولم يترك عاصمة عربية دون أن يحط رحاله فيها مستفيدا من علمائها ، بل رحل الى الهند حينما بدا له أن فيها علماء أجلاء يمكن أن يستفيد منهم وتفرغ للتأليف حينما بلغ الأربعين من عمره وضمن كتبه المفيدة ثمار علمه ، وستظل هذه الكتب كما كانت منبعا فياضا بالعلم والمعرفة وقد زادت مؤلفاته على خمسمائة كتاب تنوعت بين التاريخ والفقه والتفسير والحديث واللغة وغيرها ، ومن مؤلفاته التي ذاعت واشتهرت « الاتقان في علوم القرآن ، والدر المنثور في التفسير المأثور ، وبغية الوعاة في طبقات النحاة ، وحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة والمزهر في فلسفة اللغة » .

الشعراني :

والشعراني من العلماء الذين ذاقوا اليتم صغارا ، وهو أبو المواهب عبد الوهاب الشعراني المتوفي ٩٧٣ هـ وهو منسوب الى ساقيه ابي شعره من أعمال المنوفية في مصر ، فقد والده وهو دون العاشرة من عمره ولكن ذلك لم يحل بينه وبين التوجه الى القاهرة ليلتحق بالأزهر صابرا على شظف العيش وقسوة الحياة ، وعلى الرغم من ذلك فقد رزقه الله عفة منقطعة النظير ، يحدث عن نفسه قائلا . كنت اذا جعت ولم أستطع الصبر على مغالبة الجوع أيمم وجهي نحو شاطىء بولاق وألتقط من النهر ما يتبقى من أوراق الخضر التي يتركها الباعة بعد غسلها وأسد بها رمقي .

فانظر الى غلام في مثل هذه الحالة من الفقر ومع ذلك يستطيع أن يقهر هذا المعوق الشديد ويثابر على طلب العلم حتى يصل الى أعلى درجة في الاجتهاد وحتى تربو مؤلفاته على الثلاثمائة .

ويكفي في ذلك أنه أول من فكر من العلماء في التوفيق بين المذاهب المختلفة بكتابه المشهور الميزان . وفي التوفيق بين علماء الظاهر والباطن بكتابه كشف الغمة عن هذه الأمة ..

وقد تناولت مؤلفاته فنونا شتى من التاريخ والفقه والطب والتصوف وغيرها ، وقد ارتفعت منزلة الشعراني في عصره حتى كان يقصده الولاة ـ وكان الى جانب علمه وعمله مصلحا اجتماعيا لا يبارى .

الغزالي :

ولعلنا لا نغفل في هذا المجال عن حجة الاسلام الغزالي المتوفي سنة ٥٠٥ هـ ،

تركه ابوه وأخاه يتيمين ، وأقبلا معا على تلقي العلم حتى نبغا فيه . ولكن حجة الاسلام ابا حامد ما كان يقف عند حد في الطلب فلم يقنعه ما اقنع أخاه فيه ولكنه ظل مثابرا راحلا في طلبه . لا يعبأ بما يعترضه في طريقه من مشقات يروى عن نفسه أنه في أثناء عودته من احدى رحلاته في طلب للعلم وقد علق تعليقات كثيرة وضعها في مخلاة خاصة به ، قطع اللصوص الطريق على القافلة التي كان فيها وأخذوا أمتعة المسافرين ومن بينها مخلاة الغزالي فأقبل الغزالي على زعيم العصابة يناشده أن يرد اليه مخلاته فقط ولا يطلب شيئا من أمتعته سواها . فقال له الزعيم ماذا في هذه المخلاة ؟ فقال له : انها أوراق فيها تعليقات سمعتها من العلماء

سافرت من أجل تحصيلها فضحك اللص ساخرا وقال في تهكم : متعلم يزعم أنه فقد علمه الذي قيده في تعليقاته وقد أخذناها منه فأصبح الآن متجردا من علمه .

قال الغزالي : هذا ناطق أنطقه الله ليعلمني ، فعزمت من هذه اللحظة ألا أقيد شيئا حتى أحفظه وأستظهره . فاذا فقدت أوراقي لا أفقد علمي .

هذه همة عصامية لاشك فيها تشهد بالكفاح والصدق في الطلب ، ولقد أثمرت ثمارا يانعة من العلم والمعرفة وترك الغزالي مؤلفات لا تكاد تحصى ، يكفي أن يكون منها احياء علوم الدين الذي جمع فيه بين الفقه والتربية والاجتماع والتصوف ، ان كثيرا من العلماء يعتبرونه من السابقين في وضع أصول علم التربية وعلم النفس الذي يباهي المحدثون بمعرفتهما ويزعمون أن مبتكرهما علماء الغرب .

وشبيه باليتم عدم الرعاية للابن وقصور الأب أو الأم أو كليهما معا عن التوجيه السليم ، وذلك القصور قد يكون فطريا أو ناشئا من استعباد العادات والتقاليد السيئة للمجتمع وقد أحسن شوقي في تصوير ذلك اليتم بقوله .

ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحياة وخلفاه ذليلا
ان اليتيم هو الذي تلقى له أما تخلت أو أبا مشغولا

وتحدى الناشيء لهذه الظروف عصامية لاشك فيها .
ويمكن ضرب المثل في ذلك بجرير الشاعر الأموى المشهور ، فقد استطاع أن يتبوأ مكانه في عالم الشعر والأدب وان ينتزع اعجاب الخلفاء والأمراء في عصره دون أن يكون له ما يؤهله لذلك من نسب مرموق .

ولقد سئل مرة من أشعر الناس ؟ فقال لسائله : قم معي حتى أريك ، واقتاده الى خباء فيه شيخ يرضع عنزا ، ثم قال له : أتدري من هذا الشيخ ؟ قال لا . قال : انه أبي . أتدري لم يصنع ذلك ؟ قال السائل : لا . ، قال جرير : انه يصنع ذلك حتى لا يسمع جاره صوت الحلب فيطلب منه اللبن ، أتدري من هو أشعر الناس بعد ذلك ؟ ان أشعر الناس من يفاخر بهذا الأب ثمانين شاعرا فيخطهم .
لقد أدرك جرير أن المجد يمكن أن يصنعه صاحبه بنفسه دون اتكال على الآباء والأجداد . وكذلك كان ..

وأراد المتنبي أن يتحدى شانئيه الذين عيروه بالافتقار الى النسب فقال لهم : -

أنا ابن من بعضه يفوق أبا البا حث والنجل بعض من نجله
وانما يذكر الجدود لهم من نفروه وأنفدوا حيله

كما يقول لهم :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي   وبنفسي فخرت لا بجدودي
وبهم فخر كل من نطق الضاد   وعوذ الجاني وغوث الطريد

انه يفخر بنفسه وعمله وينتسب الى معنى بعضه يغني عن كل غيره . بل انه يقول : ان قومه هم الذين يشرفون به وان كانوا هم مثار شرف العرب اجمعين . ان العصامية هي التي جعلت المتنبي الذي ثار شك الناس في نسبه ملء سمع الزمن وبصره .

الفضيل بن عياض :

ومن الأمثلة الحيه لعصامية العلماء ما ترويه كتب التاريخ والطبقات عن الفضيل بن عياض .

وهو من علماء العصر العباسي كان معاصرا لهارون الرشيد الذي كان يقصده للانتفاع بعلمه .
كيف كانت حياة الفضيل في أول أمره ؟

كان قاطع طريق بين أبيورد (من أقاليم خراسان) وسرخس (على الحدود الايرانية الروسية وكان يتعشق جارية . وبينما هو في الطريق اليها ذات يوم اذا به يسمع قارئا يقرأ قوله تعالى (**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله**) وأخذ القول بمجامع قلبه وسد عليه منافذ الطريق فهتف صارخا : قد آن يارب ..

قد آن يارب ويكر عائدا أدراجه حتى آوته خربة للمبيت ، فوجد فيها رفقة قد لجأوا اليها حتى الصباح خوفا من الفضيل .. فأمنهم على أنفسهم ، وعزم على سلوك طريق التوبة ، الخالصة ، وأراد أن ييمم شطر مكة المكرمة ، ولكنه أراد أن يهيىء نفسه أولا لضيافة الله ، لابد لجوار الكعبة من زاد وهذا الزاد هو العلم ، لأن العلم هو أعظم وسيلة للمعرفة فولى وجهه شطر الكوفة وعكف هناك على علمائها يرتوى من مناهلهم الثرة ، أعانه على ذلك قريحة وقادة وذهن متفتح وعزيمة صادقة ورغبة جامحة في التكفير عما سلف وشوق جارف الى المعرفة .

وظل على هذه الحال فترة طويلة حتى أصبح علما من الأعلام يشار اليه بالبنان لقد برع في شتى الفنون العلمية ولا سيما الحديث الذي حفظه ورواه وعلم طرقه وأسانيده وأعلامه ورواته . وحين أنس من نفسه الصلاحية لجوار بيت الله المحرم

توجه الى مكة حيث أقام بها بقية حياته رضي الله عنه .

رفاعة الطهطاوي :

واذا اردنا ان نقدم نموذجا للعالم العصامي في العصر الحديث فأمامنا رفاعة رافع الطهطاوي الأزهري الذي قاد نهضة الأمة العربية الحديثة ، فقد اختير اماما ومرشدا لأول بعثة تعليمية مصرية الى فرنسا ، ولم يكن دوره بالنسبة لها يتعدى الاشراف وامامة الصلاة ، ولكنه تجاوز بنفسه هذا الدور وأبت عليه همته الا أن يتعلم الفرنسية على حسابه الخاص ، ومهر فيها وقام بترجمة عدة مؤلفات فرنسية ، وضمن خلاصة تجربته في فرنسا كتابا طريفا أسماه « تخليص الابريز في تلخيص باريس » وحين عاد الى القاهرة بعد خمس سنوات أنشأ مدرسة الألسن التي كان ثمار جهودها ما ينيف على ألف كتاب مترجم يتناول مختلف التخصصات وأشرف على تحرير الوقائع المصرية ، وعلى يديه تخرج الأدباء والعلماء الذين قادوا حركة التقدم في مصر والبلاد العربية .

العقاد :

ولعلنا لا نغفل في حديثنا عن العقاد عملاق القرن العشرين في العلم والأدب وسائر فنون المعرفة وكتبه ناطقة بفضله وأدبه ، والعهد قريب على وفاته ولا أحد ينسى أنه صنع نفسه ووصل الى منزلة لا يدانيها غيره ممن أتيحت لهم الفرص المهيأة والتوجيهات السديدة والحوافز المختلفة .

ميراث العلم وحده لا يكفي :

هذه امثلة من عصامية العلماء الناجحين ، ولكن لا يفوتنا أن ندرك أن العلماء النافعين جميعهم عصاميون ، سواء منهم من تأثر ببيئة أو لم يتأثر فان ميراث العلم غير ميراث المال وغير ميراث السلطان ، ميراث العلم لا يكون للوارث الا اذا أقبل عليه بهمة نفس وشغف قلب ليستوعب ويفهم ويجدد ولا يمكن أن يطلق على من يرث كتب ابيه انه عالم ، فالعالم له مقوماته وخصائصه من اقبال النفس وتفريغ القلب وبذل الهمة في الموازنة والاستنتاج . وغير ذلك من الأدوات ، والذي يفعل ذلك من أبناء العلماء يضيف شرفا الى شرف وجاها الى جاه ، والذي لا يفعل ذلك انما هو ميت أشبه بالأحياء ويحق لمورثه أن يرثى نفسه كما رثاها حفني ناصف بقوله .

أتقضي معي إن حان حيني تجاربي   وما حصلتها الا بطول عناء ؟

ربنا

قال تعالى واصفا أولى الألباب بأنهم الذين يقولون : « ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد » آل عمران .

دعاء

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعو ربه سبحانه بهذا الدعاء : « اللهم إني أسألك الجنة ، وما قرّب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار ، وما قرّب إليها من قول أو عمل ، وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرا » .

واخوان حسبتهم دروعا
فكانوها ..... ولكن للأعادي
وخلتهم سهاما صائبات
فكانوها ..... ولكن في فؤادي
وقالوا قد سعينا كل سعي
فقلت نعم ..... ولكن في فسادي
وقالوا قد صفت منا قلوب
لقد صدقوا ..... ولكن عن ودادي

حالة المضطر

قال رجل : يا أمير المؤمنين ، إن المضطر يركب الصعب من الأمور وهو عالم بركوبه ، ويتجاوز الأدب وهو كاره لتجاوزه ، ولو أحسنت الأيام مطالبتي لأحسنت مطالبتك ، ولأنت على ردّ ما لم تفعل أقد رمن ردّ ما قد فعلت .

حكمة

اجعل العلم مالك ، والأدب حيلتك .

تاجر ..

يروى أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سمع سائلا يسأل بعد المغرب ، فقال لواحد من قومه : عَشِّ الرجل ، فعشاه .

ثم سمعه - ثانيا - يسأل ، فقال لصاحبه : ألم أقل لك عشّ الرجل ؟ فقال : قد عشيته .

فنظر عمر فإذا تحت يد السائل مخلاة مملوءة خبزا ، فقال : لست سائلا لكنك تاجر ، ثم أخذ المخلاة ، ونثرها بين يدي إبل الصدقة ، وضربه بالدّرة ، وقال : لا تعد .

نعم الأنيس

نعم الأنيس إذا خلوت كتاب
تلهو به إن خانك الأحباب
لا مفشيا سرا إذا استودعته
وتفاد حكمة وصواب

الحرص على العلم

قال المبرد : نظر أعرابي إلى رجل وهو لا يسمع شيئا إلا كتبه .

فقال : ما تترك نقارة إلا انتقرتها ، ولا نماصة إلا انتمصتها .

وإنك لملقفة الكلمة الشرود .

أحق الناس

قال ابن المقفع في « الأدب الصغير » :

أحق الناس بالسلطان أهل المعرفة (أي أهل المعرفة بسياسة الحكم) ،

وأحقهم بالتدبير العلماء ، وأحقهم بالفضل أعوَدُهم على الناس بفضله ،

وأحقهم بالعلم أحسنهم تأديبا ، وأحقهم بالغنى أهل الجود ، وأحقهم بالنعم أشكرهم لما أوتي منها .



للأستاذ / محمد علم الدين

اداة العدل الميزان على اختلاف انواعه ، ولأهميته في نظام الكون والمعاملات كرر الله تعالى ذكره في اوائل سورة الرحمن عندما قال : (**والسماء رفعها ووضع الميزان . ألا تطغوا في الميزان. وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان**) . وما بعدها ، فالله تعالى وضع الميزان وجعله قاعدة التعامل بين الناس ، بحيث يقوم بينهم بالقسط ، ويعطي كل ذي حق حقه ، فلا طغيان كما يفعل المطففون عندما يشترون يستوفون حقهم وزيادة ، ولا يخسرون كما يفعلون عندما يبيعون ، ان ما اخذوه زيادة عن حقهم ظلم لمن باع وان ما انقصوه ظلم لمن اشترى وويل لهم من الامرين

وَنَظْمُ الآيات في اوائل سورة الرحمن عجيب ، فنلحظ ان المولى جل وعلا قدّم تعليم القرآن على خلق الانسان عندما قال : (**الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان**) الرحمن / ١ ـ ٤ . وكان النظم في نظرنا أن خلق الإنسان يتقدم على ما خلق من أجله والقرآن مخلوق للانسان ، ولكن المولى جلّ وعلا خلق برحمته أداة إسعاد البشر قبل ان يخلق البشر ، وخلق له ما يهديه الى الصراط

المستقيم ، وما يحميه من اعدائه : الشياطين والنفس الأمّارة بالسوء والجهل والظلمات ألا وهو القرآن الكريم ، خلقه الله تعالى وجعله في أم الكتاب علياً حكيماً ، وجعل جميع الشرائع السابقة على دين الختام بعضا منه وصحفا من صحفه ، ذلك لأن البشرية لم تتقدم طفرة ، ولكنها تدرجت في الاجتماع والحضارة تدرج طلبة العلم في مراحل الدراسات الابتدائية والاعدادية والثانوية والعالية والدراسات العليا ، وناسب ذلك تدرج التشريعات الدينية ، فهي تزداد عمقا وسعة كلما تقدمت البشرية في الحضارة والاجتماع ، حتى اذا اوفت على الغاية التي علم الله انها تناسب القرآن الكريم أنزله على خاتم النبيين محمد الأمين كاملاً في ثلاثة وعشرين عاما بلسان عربي مبين ، بعد أن أنزل بعضا منه على الأنبياء السابقين بلسان اقوامهم ، فالقرآن الكريم أول في الخلق وآخر في كمال النزول ولذلك جاء في القرآن الكريم : (**وإنه لفي زبر الأولين**) الشعراء / ١٩٦ . و:(**إن هذا لفي الصحف الأولى . صحف إبراهيم وموسى**) ختام سورة الاعلى . و:(**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك**) الشورى / ١٣ .

ومن رحمة الله بالإنسان انه علمه البيان كي يستطيع ان يستفيد بهذا القرآن العظيم تلاوة وفهما وعلما وهو الكون المقروء الموجه للكون المنظور .

وكما اقتضت رحمة الله خلق القرآن قبل خلق الانسان ، اقتضت رحمته أن يجعل وضع الميزان بين رفع السماء ووضع الارض ، وكان الوضع في نظرنا تأخير الميزان وجعل وضع الارض عقب رفع السماء ، ثم وضع الميزان ، ولكن الله الرحمن أعلى شأن العدل المثل في الميزان فجعله بين رفع السماء ووضع الارض في قوله تعالى : (**والسماء رفعها ووضع الميزان . ألا تطغوا في الميزان . وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان . والأرض وضعها للأنام**) اشعارا للناس ان الارض بدون عدل لن تقوم لها قائمة وانما قيامها به ، فالعدل ميزان الله وضعه للخلق ونصبه للحق وهو من قواعد الدنيا ولا انتظام لها إلا به .

ادوات الميزان :

١ ـ الآلة المعروفة **باسم الميزان** وهي الدائرة في معاملات البيع والشراء وتعطي كل ذي حق حقه ، والله يريد من هذا الميزان ان يكون قسطاساً مستقيماً ، وان آفة قوم شعيب انهم كانوا مع كفرهم يبخسون الناس اشياءهم ويعيثون بذلك في الارض فسادا ، ولما دعاهم نبيهم لعبادة الله وحده ، وايفاء الكيل والميزان حقه ، قالوا له مستهزئين : (**أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد**) هود / ٨٧ . ولما تمادوا في الكفر والإفساد لم يكن بد من أن تأخذهم الصيحة،ومن قبيل هذه الادوات المقاييس

للنسيج وللارض كبرت أو صغرت .

٢ ـ **التوازن بين الاجر والعمل** : وقد اشار الله اليه في قوله : (**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلاّ أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما**) النساء / ٢٩ . ولما كانت التجارة بيع سلعة بثمن عن تراض بين البائع والمشتري فقياسا على ذلك تكون سائر المعاملات التي فيها ثمن وأجر لقاء عمل وخدمة ، فينبغي لتكون سليمة ان يكون هناك تكافؤ بين الأجر والخدمة حسب المتعارف عليه .

الطبيب يأخذ ما يسمى بالكشف نقدا وينبغي ان تكافئه جودة الفحص والتشخيص للداء ووصف الدواء الناجع . والمدرّس يأخذ مرتبه ازاء التحضير والتدريس والتصحيح والتربية ، وما لم يفعل ذلك فقد أنقص التلاميذ وأولياء أمورهم حقهم ، واستحل مرتبه حراما ، وكذلك الشأن في المقاولات يجب ان يكون تكافؤ بين الثمن واداء المواصفات كاملة ، واي نقص او غش فيها يجعل المقاول أكلا للسحت عليه الوزر في الدنيا والآخرة .

ومن اكبر الخطأ ما يقوله بعض الموظفين : (نعمل قدر ما نؤجر) ويتخذون ذلك مبررا للتقصير واداء نصف العمل او ربعه ، وهذا أكل لاموال الناس بالباطل ، فما دام هناك تعاقد بين الحكومات او الشركات مع الافراد او بين الافراد والافراد فيجب ان يؤدي المتعاقد العمل كاملا غير منقوص مهما كلفه من جهد ، وبهذا يبارك الله له في ماله وولده وصحته ، وما لم يفعل ذلك فليأذن بحرب من الله ومحق للبركة من كل ذلك .

٣ ـ **التكافؤ بين الحقوق والواجبات** : عقود العمل ينبغي ان يكون فيها تكافؤ بين الحقوق والواجبات والمواصفات واضحة محددة ، والاجر يتكافأ مع ذلك تحت شعار قوله : (**لاتظلمون ولا تظلمون**) البقرة/٢٧٩ . واي استغلال من جانب صاحب العمل للعامل ظلم وحرام ، وفي ذلك يقول الحديث الشريف في حقوق العبيد التي كانت مهدرة قبل الاسلام:« لاتكلفوهم ما لا يطيقون وان كلفتموهم فأعينوهم » رواه البخاري ومسلم . كما لا ينبغي للعامل ان يغش رب العمل فينقص من وقت العمل او كميته او جودته او آلته فكل ذلك حرام ومحاسب عليه ، وما من عامل يعمل عملاً وهو يستطيع أن يُجوِّده اكثر مما عمل إلا حوسب عليه والله يحب المحسنين أعمالا .

ميزان النفس : هو أعظم الموازين وأكثرها اعتلالا ، واعتلاله هو السبب في سوء المعاملات . ونقصد بميزان النفس ما ذكره الرسول الكريم : « أحب للناس ما تحب لنفسك » رواه البخاري والطبراني . وميزان النفس يعني ان يجعل المرء نفسه ميزانا فيما بينه وبين الناس فما أحبه لنفسه احبه لهم وما كرهه لنفسه كرهه لهم ، ونحن لو عمدنا الى أفجر خلق الله فعلا للمنكرات من اعتداء على الانفس والاعراض والاموال وسألناه : أتحب ان يقتلك احد او يشوه وجهك ؟ . لأجاب :

لا . ولو سألناه اتحب ان يرتكب احد الفاحشة مع امك او اختك أو ابنتك ؟ لقال : لا . ولو سألناه اتحب احدا ان يسلبك مالك أو يبني لك بيتا اليوم وينهدم غدا ، أو يغشك في مكيال أو ميزان ؟ قال : لا .. لا .. ، فهو يحب ان يكون المجتمع بالغا أفراده ما بلغوا كلهم يحافظون على نفسه وعرضه وماله ، وهذا نصف الميزان ولكن النصف المعتل انه هو لا يحب لهم ذلك ولذلك فهو يعتدي على النفس والعرض والمال لاعتلال ميزان نفسه وهذا هو الذي اهتم به الاسلام ونبه اليه حديث خير الأنام ، ولو صح هذا الميزان النفسي لقضى على جميع المظالم ولما كانت هناك جناية ولا جنحة ..

ان هذا الميزان لو ركزت دولة ما على ان يتضح في الافراد عملا وفي السلوك تطبيقا في المعاملات لاستقامت امورها ، وليت الدول تركز على توجيه جميع الجهود في فترة ما لتصحيح هذا الميزان بحيث تتناوله جميع القوى المؤثرة في الإعلام والتربية والتدريس والخطابة والتأليف حتى يشعر كل بنعمة العدل .

ان الموظف الذي لا ينجز عمله ويدعو المواطن الى الحضور غدا أو بعده مدة طالت أو قصرت ، لو وضع نفسه موضع هذا المواطن لأنجز عمله ولما استدعاه مرة اخرى ، لانه لا يحب ان يضيع وقته ويتعطل عمله في الذهاب والاياب . والمقاول الذي يستحل لنفسه السحت من انقاص الحديد والاسمنت والمواصفات لو وضع نفسه محل المالك لبنى له بيتا كالحصن كما لو كان يبني لنفسه .. وهكذا .. هل هناك أولى بالرعاية من هذا الميزان ؟ أنه بمفرده سيمنع الغش من جميع الموازين والمماطلات عند سداد الحقوق والتهرب من أداء الواجبات ومما يعين عليه استشعار رقابة الله وأن الانسان مجزي بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

اطمئنان قلب القاضي : اذا كان العدل مطلوبا في كل الامور فهو اكثر طلبا في القضاء والحكم بين الناس ، لان قلوب المتقاضين تكون واجفة معلقة بكلمة تخرج من فمه ، تحق الحق وتبطل الباطل ، والاسلام يأمر القاضي بالحكم بالعدل وعلى رأس ذلك قول الله تعالى : (**وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**) النساء / ٥٨ .

لقد كان الرومان يرمزون للعدل بإمرأة معصوبة العينين ممسكة باحدى يديها ميزانا وبالاخرى سيفا والرمزية واضحة ، فتعصيب العينين يرمز للنزاهة المطلقة في الحكم ، بحيث لا يتأثر القاضي بأي من الطرفين ، والميزان واضح في العدالة والسيف قاطع في تنفيذ العدل .

ونحن بحمد الله عندنا في الاسلام اكثر من هذا في سورة الحديد / ٢٥ . نقرأ قول المولى جل وعلا : (**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس**

وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب) .
فرسل الله الذين بعثهم برسالة الدين تؤيدهم المعجزات معهم مناهج الدين وما يفعل البشر وما يذر ، وفيها العدل بين الناس وترك المظالم فانها ظلمات يوم القيامة ، ومعهم الحديد ومن منافعه السلاح الذي يؤيد الحق ويزهق الباطل ، يستعمله الحكام العدول مع القوم الظالمين ، وفي سورة النساء : (**يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تُعْرِضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا**) ١٣٥ . فالمؤمنون مخاطبون من المولى جَلّ وعلا أن يكونوا على الدوام قائمين بالعدل ومنه الشهادة على النفس والوالدين والاقربين ، كالشهادة على غيرهم دون اعتبار للغنى والفقر بحيث لا يؤثر ذلك على الشهادة الحقة العادلة المضيئة بالحق أمام القاضي والمعينة على الحكم بما انزل الله ، وظاهر هذا النص الكريم ان المسلمين عدول بعضهم على بعض وشهادتهم مقبولة دون تهمة بين الوالد وولده والقريب وقريبه ، كما هي مقبولة بين الأباعد وهم لا يراعون في الحق إلا الله فالعبرة للحق وحده والله ينهاهم أن يتبعوا الهوى وميل النفس الى القريب او الغنى فينحرفوا عن الحق والله خبير بهم ومجازيهم على أعمالهم .

- وإلى جواز شهادة الأصول والفروع بعضهم على بعض ذهب فريق من العلماء اتباعا لنص الآية ، ومنعه بعضهم خشية التهمة وبخاصة في هذه الأزمان .

وفي سورة المائدة في الآية الثامنة : (**يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله**) . وفي هذه الآية يصل العدل الى اعلى مستوى ، فهو العدل مع الخصوم حيث الفرصة سانحة للتنكيل بهم وليس في اي تشريع ارضى ما يرفع القاضي الى هذا المستوى في العدل وانما هو عدل السماء .

أنواع العدل مع النفس ومع الله ومع الناس

العدل مع النفس ـ ان من لم يكن عادلا مع نفسه فهو لغيره أظلم ، والعدل مع النفس قوامه حملها على ما فيه المصالح ، وكفّها عما فيه القبائح ، والوقوف في جميع الاحوال على أعدل الطرفين لا تجاوز ولا تقصير ولا افراط ولا تفريط .

وان من اظلم الظلم للنفس ان تشرك بالله وفي ذلك يقول الله تعالى : (**إن الشرك لظلم عظيم**) لقمان / ١٣ . و : (**إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار**) المائدة / ٧٢ . و : (**ومن يشرك بالله فكأنما خر من**

السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق) الحج / ٣١ . ومن ظلم النفس تجاوز حدود الله وفي ذلك النص الكريم : **(ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه)** الطلاق / ١ . و : **(ومن يَعْصِ الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها)** النساء / ١٤ . ويكون ذلك بالعدوان على الأنفس والأعراض والاموال وافتراء الكذب على الله ، وادعاء الوحي ، ومن ظُلْم النفس الالقاء بها الى التهلكة والانتحار وكل ما يعصف بالصحة من الخمور والمخدرات وكذلك اهدار الاموال في الملاهي والميسر والشح بها في الخير .

ومن ظلم النفس ما يسمى بقتل الوقت واضاعته في المقاهي ولعب النرد ونحو ذلك ، فالوقت هو الحياة ، وهو الفرصة التي لا تعوض فكل يوم ينشق فجره ينادي : يابن آدم ، إني يوم جديد وعلى عملك شهيد فاغتنمني فإني لا أعود الى يوم الوعيد .

العمر محدود والحساب عسير على اداء الواجبات نحو النفس ونحو الله والناس ، والعمر رأس مال الانسان ، من اضاعه فقد بدد رأس ماله ، ومن عجب ان بعض الناس يجدون الوقت اضيق مما لديهم من اعمال وبعضهم يملئونه فراغا ويقتلونه بالتافه من الامور ... !!

جدير بالعاقل ان يعمر وقته بما يفيده في الدنيا والآخرة ، ويشغل وقت الفراغ في الهوايات النافعة والرحلات المفيدة والرياضات المنشطة والاطلاع على الحديث في العلوم والفنون والآداب ومن ظلم النفس اعانة الظالم على ظلمه ، يقول المولى عز وجل : **(ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار)** هود/ ١١٣ . ومن ظلم النفس ان يحيا المرء مستضعفا في ارض الاعداء وهو قادر على الهجرة يقول الله تعالى : **(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا)** النساء / ٩٧ .

ومن ظلم النفس ترك الفضيلة وهي غالبا اوساط بين اطراف هي رذائل ، كالشجاعة بين التهور والجبن ، والكرم بين الاسراف والبخل ، وقد تكون الفضيلة طرفا والثاني هو الرذيلة كالصدق فالقول إما صدق وإما كذب ، وكالحكم إما عدل وإما ظلم .

العدل مع الله: وليكون المرء عادلا مع ربه يجب ان يوفيه حقه من الإجلال والمراقبة والخشية والاستقامة على المنهج الذي شرعه ، وعلى رأسها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ثم العمل الصالح ، وقد فصّله القرآن الكريم

والسنة الشريفة ، ومناهج عباد الرحمن كثيرة في القرآن فرادى ومجتمعة ، ومما اجتمعت فيه ما جاء في سورة الاسراء من قوله تعالى : (**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه**) ٢٣ . الى قوله : (**ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا**) ٣٩ . وما جاء في سورة الفرقان من : (**وعباد الرحمن**) من ٦٣ الى آخر السورة - ٧٧ . ومن العدل مع الله ان يكون المرء على المستوى الذي وضعه الله تعالى فيه ، عندما صوره فاحسن صوره وعندما كرمه وفضله على كثير ممن خلق ، وعندما جعله خليفة له في الارض ، وارسل له الرسل والكتب ، وعندما طلب منه أعالي الامور والبعد عن سفسافها ، طلب اليه ان يقول احسن ما يقال ، ويرد باحسن رد ويدفع بالتي هي احسن ، ويجادل بالتي هي احسن ، ويستمع القول فيتبع احسنه ، وعندما اعلنه انه يصلي عليه هو وملائكته ليخرجه من الظلمات الى النور مع تمييزه بالعقل والنطق ، وطلب اليه ان يقتبس من صفاته في العدل والعفو وان يتأسى بخاتم الرسل فله فيه اسوة حسنة .

ومن العدل ان يرضى الانسان لنفسه صورته فلا ينقم منها لونه او نحافته او سمنته او طوله او قصره فكل ذلك للتعارف بسرعة ولو كان الناس كنسخ كتاب واحد ما تعارفوا وليست العبرة بالصورة انما العبرة بالخُلقِ وحسن العمل ذلك هو المعتبر عند الله .

كما ينبغي الا ينقم موقعه الاجتماعي من ناحية الفقر او الخدمة فهذه بحكمة المولى واتخاذ الناس بعضهم بعضا سخريا ، ومن الخير للجيش ان يكون فيه قادة ومساعدون وجنود ، وليجتهد في عبور الحياة وامتحاناتها على خير ، فكل هذه الاوضاع اختبارات وابتلاءات وتحميص للناس : (**ونبلوكم بالشر والخير فتنة**) الأنبياء / ٣٥ .

لا يحقر انسان الا الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق ، ومن النجاح في اختبارات الحياة شكر الغنى والصبر في البأساء والضراء وحين البأس والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، ومن العدل مع الله تذكر نعمه التي لا تعد وشكره عليها ، والشكر على النعمة يضاعفها ويزيدها : (**لئن شكرتم لأزيدنكم**) ابراهيم / ٧ .

العدل مع الناس ، في الحديث الشريف : « ان احبكم الى مجالس، احاسنكم اخلاقا ، الموطئون اكنافا،الذين يألفون ويؤلفون » رواه الطبراني والبزار . والمرء مرآة أخيه ان رأى فيه عيبا اصلحه بالنصح الخالص واللفظ المهذب والاسلوب السليم ، مع ترك العجب والخيلاء والاستعلاء والفخر بالحسب والنسب ، وليعلم ان المرء ليس بحسبه او طبقته او دمه ، فكلنا لآدم وآدم من

تراب ، واكرم الناس عند الله اتقاهم ، ومن العدل مع الاصدقاء اغتفار الزلات والهفوات :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

واذا كان العدل واجبا مع الناس عامة فهو مع اسرة المرء وزوجته واولاده أولى حتى لا يهضمهم حقهم ولا يخل بواجباته عليهم من حيث الانفاق والتربية والمساواة والقدوة الحسنة ليكونوا كذلك مع الناس ، لقد خلقنا الله ضعفاء عاجزين ليشعر كل منا بحاجته الى اخيه ، والمرء قليل بنفسه كثير باخوانه وهو يتكامل بهم ، والله تعالى يحب ان يرى اثر نعمته على عبده شكرا له واشراكا للناس فيها ، ان كان علما فبالتعليم وان كانت صحة فبالمساعدة والجندية والانتاج ، وان كانت مالا فبالانفاق والصدقات والمساهمة في خير الجماعة ، وان كانت جاها فباعانة من لا جاه له ، وليعلم انه يحب ان كان محتاجا الى اي نوع من المساعدة ان يساعده الناس ، فليساعد هو الناس قدر ما يستطيع وأحق الناس بهذا من تعلم العلم الديني فهو خليق بنشره ، وملعون عند كتمانه حتى يبين .

واذا كان العدل مطلوبا من كل فرد فهو من الحاكم اكثر طلبا واوجب عملا ، فهو امانته ، وهو مسئول عنها امام احكم الحاكمين الذي خاطبهم بقوله : (**وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**) وقال لهم : (**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**) وامانة الحاكم هي العدالة المطلقة بين المحكومين ، سواء اكان ذلك مباشرة منه ام بوساطة اعوانه واعوان اعوانه من الوزراء وحكام الاقاليم والعمد والصيارفة وكل من يحتك بالجماهير وله عليهم سلطان مستمد منه ، وعليه ان يولى في كل هذه المناصب اصلح من يصلح لها بغض النظر عن القرابة والمنافع الشخصية وعلى كل حاكم ان يقرأ كتاب الحسن البصري لامير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز في وصف الامام العادل وان يعمل بما فيه خروجا من المسئولية الضخمة امام رب العالمين كما ان عليه ان ينفذ العقوبات والحدود ولو في اقرب الناس اليه كما قال سيد البشر : « وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » رواه البخارى ومسلم .

وسائل العدل واهدافه :

وسائل العدل عموما تهدف الى ايصال الحقوق لاربابها دون مطالبة ودون إلحاح ووساطة ، وتهدف الى المساواة بين الناس وتكافؤ الفرص ، وان شعور الناس بالعدل والامن ،كبر حافز لهم على التفرغ والانتاج والاجادة .

واهم وسائل العدل العلم بالدين فهو والعقل متلازمان . العلم بالقرآن يزيد المرء نورا ويضيء له فيميز الحلال والحرام ويطبق العلم على العمل ، ولا جدال فان المنهج الديني في القرآن الكريم يحقق العلم النافع ويستتبعه العمل الصالح ، والايمان والعمل الصالح من رزقهما غَنِمَ ، ومن حرمهما حُرِمَ ونَدِمَ .

وسبيل العلم النافع التلقي عن المعصوم الصادق الامين ، فانه تلقى الوحي من امين الوحي جبريل الذي تلقّاه من رب العالمين ، وهذا هو الصراط المستقيم من اتبعه اعتدل وعدل ، والعلماء ورثة الانبياء وهم لم يورثوا درهما ولا دينارا ، وانما ورثوا العلم . ومصدر العلم في الاسلام الكتاب الكريم والسنة الشريفة ، فمن اراد العدل استجاب لله والرسول بالاطلاع عليهما والتفقه بما فيهما ، وبعُد عن آفة العدل ، وآفة العدل هي آفة التعصب والتقليد ، كلاهما يحمل على الجور وصاحبهما يتبع تأويل المبطلين ، والذين يظلمون كتاب الله بالتكلم في المتشابه ويخدعون الجهلة من الناس . بالكتاب والسنة يستطيع العالم ان يتصدر للناس تفقيها بالدين ، وحكما بالحوادث وفتيا في المشاكل شريطة ان يكون حسن الطريق مرضى السريرة متشاكل السر والعلن .
في الحديث الشريف « القضاة ثلاثة : اثنان في النار وواحد في الجنة : رجل عَلِمَ الحق فقضى به فهو في الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار » رواه ابو داود والترمذي .
واثر عن سيدنا عمر بن الخطاب انه قال : ويل لمن قضى بغير الحق لقرابة أو هوى أو رغبة . ومن الظلم ان يتصدر الانسان للحكم والفتوى بغير علم او بسوء نية فالحق يقول : (**ولا تقف ما ليس لك به علم**) الاسراء/٣٦ . كما يقول (**ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون**) النحل / ١١٦ . ويقول : (**قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**) الاعراف / ٣٣ ، ويقول : (**فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين**) القصص / ٥٠ . واذا كان الله قد أمر بطاعته ورسوله وأولى الأمر ، فإن طاعة الله ورسوله واجبة رأسا ، وطاعة أولى الأمر واجبة تبعا لطاعتهما ، فمَن أمَرَ من أولى الأمْر بما يوافق طاعة الله ورسوله وجبت طاعته ، ومن أمَرَ بما يخالف وجبت معصيته ، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

كيف العدل فيما يجدّ وليس في كتاب ولا سنة ؟

هناك أمور تجد وليس لها حكم في الكتاب أو السنة ، فماذا يفعل الحكام او

القضاة او المفتون ؟ هنا يوجب الاسلام على علماء الدين ان يجتهدوا ويفتوا بما هو اقرب الى الله ورسوله ، ومن قصّر في البحث والردّ الى الله ورسوله بجهل أو سوء نية فهو رد عليه وهو ضلال وميل الى الطاغوت ولا بأس باختلاف وجهات نظر العلماء بعد الاجتهاد ، فان من اجتهد واصاب فله اجران ومن اجتهد ولم يصب فله أجر . ورحم الله الامام مالكا كان يقول : إنما أنا بشر أخطىء وأصيب فانظروا في قولي ، فما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وما خالفهما فاتركوه .

وقد قال الرسول الكريم لمعاذ عندما ارسله الى اليمن : كيف تصنع اذا عرض لك قضاء ؟ قال اقضي بما في كتاب الله ، فان لم اجد فبسنة رسول الله ، فان لم اجد اجتهد برأيي ولا آلو . فضرب الرسول على صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسول الله الى ما يرضى الله ورسوله . وعندما ولى امير المؤمنين عمر بن الخطاب ابا موسى الاشعري القضاء كتب له الكتاب الذي يعتبر دستور القضاء ، ومما جاء فيه : آس بين الناس في وجهك ومجلسك وقضائك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك . والكتاب بنصه في كتاب أعلام الموقعين لمؤلفه الامام ابن قيم الجوزية وقد شرحه شرحا وافيا .

على العدل فطر الله الخلق

ركز الله في فطرة الناس وعقولهم التسوية بين المتماثلين وانكار التفرقة بينهما ، والتفرقة بين المختلفين وانكار الجمع بينهما ، ولذلك كان الجزاء من جنس العمل ان خيرا فخير وان شرا فشر . فاذا عذّب الله قوما كفروا وكذّبوا نبيهم فلا شك ان هذا الحكم يشمل كل قوم كفروا وكذبوا نبيهم ، ولذلك قال الله تعالى عقب إخباره عن عقوبات امم كذبت رسلها وذكر ما حاق بها : (**أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر**) القمر / ٤٣ . ومما يوافق الفطرة : من ستر مسلما ستره الله ، من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كربات الآخرة ، ومن تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ومن خذل مسلما في وقت تجب فيه نصرته خذله الله . وهكذا شرع الله يتعلق بهذا الاصل ، وهو إلحاق النظير بالنظير واعتبار المثل بالمثل ، ولهذا فالشارع يذكر العلل والاوصاف المؤثرة فتقر النفوس بالعدل الالهي .

ونفي الله عن حكمه وحكمته التسوية بين المختلفين في الحكم فقال : (**أفنجعل المسلمين كالمجرمين . ما لكم كيف تحكمون**) القلم / ٣٥و ٣٦ . فأخبر ان هذا الحكم باطل في الفطرة وفي العقول لا يليق نسبته الى الله سبحانه ، وقال : (**أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون**) الجاثية / ٢١ . وهذا الذي ركزه الله تعالى في عقول وفطرة الناس من اعطاء النظير حكم النظير وعدم

التسوية بين المتخالفين هو من الميزان الذي انزله الله تعالى مع كتابه حيث يقول : **(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)** .
وتأسيسا على هذا فالذين يجتهدون برأيهم فيما لا نص فيه في الكتاب او السنة يستعملون القياس شريطة ان يكون القياس عدلا ليكون صحيحا والا كان فاسدا باطلا كالذين قاسوا البيع على الربا وقالوا : **(إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا)** البقرة / ٢٧٥ . ومن اراد ان يكون عدلا في قياسه وميزانه فليرجع الى ما كتبه العلماء الاجلاء كابن قيم في كتابه الذي سبق اعلام الموقعين فقد وفى هذا الباب وبين قياس العلة والشبه والدلالة ، وليس هذا مقام للافاضة في هذا ولكن نجتزئ بمثال واحد لكل .

قياس العلة يتألف من اصل وفرع وعلة مؤثرة وحكم ، يقول الحق جل وعلا : **(قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)** آل عمران / ١٣٧ . فالأمم الاصل ، وأنتم الفرع ، والعلة الجامعة هي التكذيب ، والحكم الهلاك .

قياس الشبه ذكره الله تعالى عن المبطلين الذين لم يجمعوا بين الاصل والفرع بعلة او دليل العلة بل بمجرد الشبه وفي ذلك يقول اخوة يوسف : **(قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل)** يوسف / ٧٧ . وقوله من قالوا :**(ما نراك إلا بشرا مثلنا)** هود / ٢٧ .

أما اذا وجدت العلة المؤثرة والوصف المقتضى للحكم فقد صح القياس ووجب الاخذ به ، وذلك مثل قوله تعالى وله المثل الاعلى : **(مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون)** هود / ٢٤ . فهذان فريقان فريق عمى عن رؤية الحق وأصم اذنيه عن سماعه ، وفريق فتح للحق قلبه وعقله فكان الاول كالاعمى حقيقة وكان الثاني كالسميع البصير وبعد هذا نفى الله التماثل بينهما بقوله هل يستويان مثلا ؟ .

اللهم يامن هديتنا ادم علينا هداك ، حتى توصلنا الى رضوانك وجنتك ، ونقول فيها مع القائلين : **(الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله)** الأعراف / ٤٣ .



ميكروبات اللبن وكيفية التخلص منها

للدكتور عزت أبو الفتوح

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الصادق الامين سيدنا محمد عليه افضل الصلوات واتم التسليم . وبعد :

يعتبر اللبن من اكمل الاغذية التي وهبها الله عز وجل للانسان ، حيث يحتوي على معظم العناصر الغذائية الهامة ، والتي لا غنى للجسم عنها . الا انه يعتبر من اخطر مصادر نقل ونشر الأمراض .

لذلك يلزم اتخاذ كافة الاجراءات الكفيلة لضمان خلوه من ميكروبات الامراض عند استهلاكه ...

ومن المعروف ان اهم مصادر تلوث اللبن بصورة عامة تتلخص في :

١ ـ تلوث عن طريق الحيوان الحلوب
٢ ـ تلوث عن طريق الحلاب
٣ ـ تلوث عن طريق الآلات والأدوات
٤ ـ تلوث عن طريق الذباب والحشرات
٥ ـ تلوث عن طريق الحظائر .

اولا : تلوث عن طريق الحيوان الحلوب :ـ

(أ) ميكروبات داخل الضرع : هناك اعداد كبيرة من المجاميع الميكروبية المختلفة توجد داخل ضرع الحيوان السليم . ومثل هذه الكائنات

اما ان تعمل على زيادة المحتويات الميكروبية الكلية في اللبن الخام الناتج . او قد تكون مصدرا هاما لزيادة مجاميع ميكروبية معينة تسبب الكثير من المشاكل .

وعندما نتعرض لمعرفة ما هي الميكروبات الموجودة أصلا في الضرع ؟

فلقد اثبتت الأبحاث العديدة دون ادنى شك وجود مجاميع معينة من الميكروبات داخل الضرع السليم ولكن باعداد قليلة جدا .

فمنها التابعة للجنس Micro coccus والجنس ، Streptococcus وبعض البكتريا العضوية السالبة لصيغة الجرام ، علاوة على القليل من افراد الجنس Coryisbacterium ولكن اكثر هذه الكائنات شيوعا هي التابعة للجنس Micrococcus وقد ذكر العالم دورنر منذ عام ١٩٣٠ م وجود اختلافات اساسية في المجاميع الميكروبية الموجودة طبيعيا في الضرع ، وذلك حسب الظروف البيئية التي توجد فيها الحيوانات الحلوب وخاصة الظروف الجوية ...

(ب) ميكروبات خارج الضرع :

نظرا لتعرض الضرع من الخارج للتلوث بالكثير من ميكروبات الهواء والروث والتربة مما يسهل وصول هذه الكائنات الى اللبن المحلوب . لذلك يلزم العناية التامة لتطهير وتنظيف الضرع بالمنظفات الصناعية ، وتجرى عملية التطهير بواسطة محاليل الهيبوكلوريت او مركبات الامونيوم الرباعية ...

(جـ) ميكروبات عالقة بجلد الحيوان الحلوب :

يعتبر جلد الحيوان مصدرا من مصادر تلوث اللبن المحلوب ، ويرجع ذلك الى سقوط الاقذار التي توجد على جلد الحيوان اثناء عملية الحليب . وكل هذه الاقذار تحتوي على مجاميع هائلة من الميكروبات . لذلك كان من الضروري العناية الكاملة بنظافة جلد الحيوان وقص شعر الأفخاذ والأرداف مع التطهير المستمر للجلد ...

هذا وتعتبر العناية بنظافة الحيوان الحلوب عاملا هاما لمنع العديد من الامراض الخطيرة التي تصيب الانسان مثل السل ، الحمى المالطية ، الحمى القلاعية .

وهنا يجدر بنا الاشارة الى اهم انواع البكتريا المسببة لاصابة الضرع بالحمى وكلها تنتشر في بيئة الحيوان الحلوب . ولكن لحسن الحظ ان الميكروبات المسببة لحمى الضرع تباد بسهولة بالكثير من المطهرات . ومن اكثر المطهرات شيوعا في القضاء على هذه الميكروبات هي محاليل الهيبو كلوريت وذلك بسبب رخص ثمنها علاوة على انها لا تكسب اللبن أي رائحة غريبة . وقوة فعاليتها في التخفيفات العالية ، وذلك كان هذا النوع من المطهرات أصلح وأنسب مطهرٍ لمزارع الألبان .

كذلك توجد بعض المطهرات الاخرى الاقل استعمالا في مزارع الالبان مثل برمنجانات البوتاسيوم إلا

انها اقل فاعلية في إبادة الميكروبات عن الهيبو كلوريت ...

ثانيا : تلوث عن طريق الحلاب :

ذكر العالم برايس أن عدد البكتريا الموجودة طبيعيا على ايدي الحلابين قد تبلغ حوالي عشرة آلاف للسنتيمتر المربع ، وان اغلب البكتريا الهوائية الموجودة تتبع الجنس Micrococcus اما من الناحية الصحية فانه يهمنا معرفة الميكروبات التي تلوث الأيدي من حين لآخر . فمن المعروف أن في حالة إصابة القطيع بحمى الضرع يمكن عزل بكتريا Strepococcus Ago-lacti من ايدي الحلابين حتى بعد غسلها بالماء والصابون وغمسها في محلول قوي من الهيبوكلوريت ...

علاوة على ذلك فان اصابة ايدي الحلابين بالخرجان ، تسبب اصابة الضروع ومنها تنتقل البكتريا المرضية الى اللبن . كذلك قد يكون الحلاب حاملا للتيفوئيد او مصابا بالدفتريا او الكوليرا ، فتصل هذه الميكروبات الى البن وتسبب اصابة مهلكة بها ...

من هنا يجب العناية بنظافة الحلاب واجراء الكشف الصحي الدوري للتأكد من خلوه من الامراض المعدية ..

ثالثا : تلوث عن طريق الآلات والأدوات :

تلعب الآلات والأدوات المستعملة في انتاج اللبن بالمزرعة دورا هاما في صفات اللبن الميكروبية . فاذا لم يهتم بتنظيف وتطهير الاجهزة ادى ذلك الى زيادة الميكروبات زيادة واضحة عند ملامسة اللبن لها ، اما اذا اعطيناها العناية الكافية فانها قد تساعد على انتاج لبن نظيف جدا .

اما عن الميكروبات التي قد تصل الى اللبن عن طريق الادوات فهي متعددة الا ان اكثرها انتشارا هي سلالات

Microbacterium Lacticum, Streptococcus Lactis, Micro coccus Sarcina, Micro Bacterium Flovum

هذا وتعتبر عملية التنظيف والتطهير اليومي للآلات والأدوات داخل مزرعة انتاج الالبان عملية هامة جدا .

وتتم عملية التنظيف بواسطة المنظفات الصناعية وتتم عملية التطهير بواسطة استعمال الكيماويات او استعمال الحرارة حيث يعمل كل منها على ابادة البكتريا .

(أ) استعمال الكيماويات :

تلعب الكيماويات دورا هاما وسريعا في عمليات التطهير .. وهناك العديد من المركبات الكيماوية شائعة الاستعمال في عمليات التطهير والتي لها القدرة على ابادة البكتريا .. ومن هذه المركبات الكيماوية . مركبات الكلور . وقد قامت بعض المعامل الكيماوية بالولايات المتحدة بتكوين مادة

1, 3-di-chloro-55 dimithyl hydarition

من الكلور اساسا وهذه المادة تستعمل.

كباعث للكلور ولكن بسرعة ابطأ مما ينطلق من محاليل الهيبوكلوريت .

كذلك تستعمل مركبات اليود في مزارع الالبان وخاصة مركبات الايودفور وهي مركبات معقدة تنتج من اتحاد اليود مع بعض المنظفات التخليقية غير الأيونية ، وتعمل المنظفات كحوامل لليود علاوة على انها تسبب زيادة ثبات المركبات المذكورة .

كذلك تستعمل مركبات الامونيوم الرباعية في عمليات التطهير ، ولكن على نطاق اوسع نظرا لانها لا تسبب تآكل سطح المعدن الذي تلامسه ، كما انها لا تسبب تهيج جلد ايدي العمال ، وايضا فإنها لا تضعف بسبب وجود المواد العضوية .

رابعا : تلوث عن طريق الذباب والحشرات :

يعتبر وصول الذباب دون غيره من الحشرات من اخطر العوامل التي تساعد على زيادة المحتويات الميكروبية للبن علاوة على احتمال وصول الكثير من الميكروبات المرضية عن طريقه ، فمن المعروف ان الذبابة الواحدة تحمل ما لا يقل عن مليون خلية ميكروبية على جسمها وعلى ذلك فوصول ذبابة واحدة الى حوالي لتر من اللبن تعمل على زيادة قدرها ١٠٠٠ بكتريا في الليمتر الواحد . واغلب الانواع البكترية تكون مصدرا للعديد من الامراض التيفوئيد وغيره من الميكروبات المرضية المعوية .

ومن هنا يجدر بنا الاشارة الى ضرورة الاهتمام بتغطية اواني اللبن باحكام ومنع نزول الحشرات بها حتى لا تكون مصدرا لنشر الامراض ...

خامسا : تلوث عن طريق الحظائر :

يجب ان نولي الحظائر عناية كبيرة خاصة عند انشائها لما لها من اثر كبير على صحة الحيوانات وعلى صفات اللبن الناتج . بحيث ان تكون الحظائر نظيفة دائما ومبنية على ارض مرتفعة لتكون سهلة الصرف . وكذلك يجب ان تكون جيدة التهوية من اجل تجديد الهواء باستمرار ، كذلك يجب ان تسمح بدخول اكبر كمية ممكنة من اشعة الشمس لكي تطهر الحظيرة . كذلك يجب ان تخلو الحظيرة من كافة انواع الحشرات حتى لا تؤدي الى اصابة الحيوانات وتهيجها ..

وأخيرا يجدر بنا الإشارة الى كيفية حفظ اللبن من الميكروبات ؟

(أ) عن طريق التعقيم :

يقصد بتعقيم اللبن في المجال الصناعي معاملته حراريا على درجة اعلى من درجة ٩٣,٣ م أو « ٢٠٠ درجة ف » وعادة تكون هذه المعاملة الحرارية لمدة تزيد عن عشرين دقيقة . والطريقة المستخدمة الآن في تعقيم اللبن تسمى بالتسخين فوق العالي وهي تقسم الى طرازين اساسيين الاول يحدث فيه التسخين والتبريد السريع للبن بواسطة مبادرت الحرارة السطحية . والثاني يحدث فيه تسخين اللبن بالاتصال المباشر بالبخار وتحت ضغط . ثم التبريد نتيجة البخار المكثف .

(ب) عن طريق البسترة :

تعتبر البسترة اكثر المعاملات الحرارية للبن انتشارا من اجل ابادة الميكروبات غير المرغوبة في اللبن .

وهناك نظامين للبسترة . بسترة بالطريقة البطيئة وبسترة بالطريقة السريعة .

وفي حالة البسترة بالطريقة البطيئة فان اللبن ينقل الى حوض البسترة حيث يحفظ مدة نصف ساعة تحت درجة حرارة ٦١,٧ درجة م « ١٤٣ درجة ف » مع التقليب . ولمنع حدوث بسترة ناقصة فان التوقيت يجب الا يبدأ حتى يتم نقل كل كمية اللبن الى حوض البسترة . كذلك يجب عدم سحب أي كمية من اللبن قبل مرور نصف ساعة . هذا ويلزم وجود وحدات خاصة لتسخين الرغوة التي تتكون نتيجة التقليب ومثل هذه الوحدات تسمى Space heaters

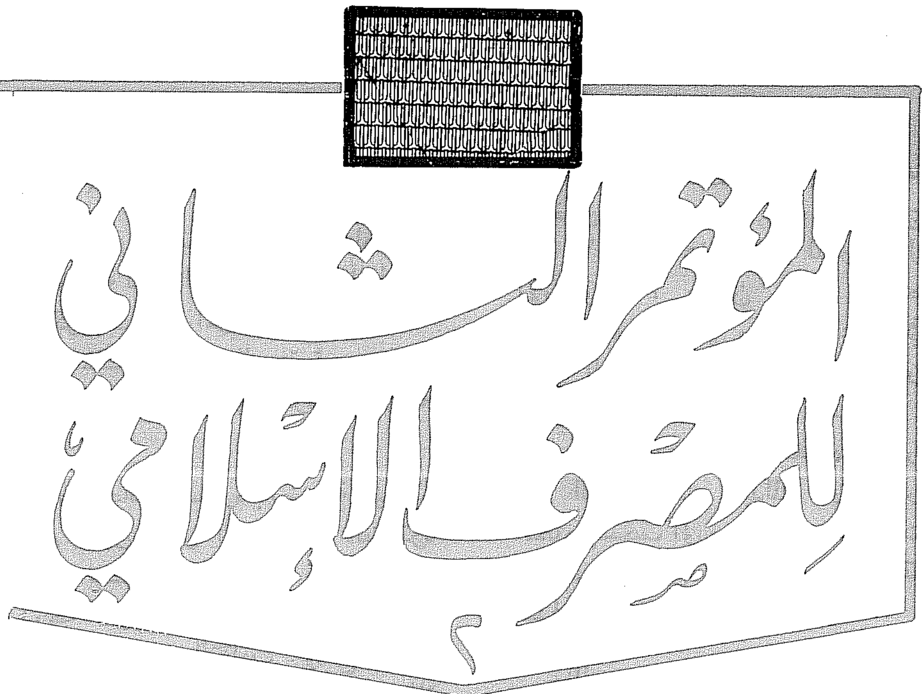
اما في حالة البسترة بالطريقة السريعة فان اللبن ينقل بواسطة مضخة الى جهاز البسترة حيث يعامل بحرارة لا تقل عن ٧١,٦ درجة م « ١٦١ درجة ف » حيث يظل على هذه الدرجة مدة خمس عشرة ثانية على الاقل . وعملية التسخين تكون في انبوبة الحفظ ويلزم جدا وضع الجهاز الهام والمسمى بصمام تحويل اللبن عند نهاية انبوبة الحفظ ، وهذا الجهاز يعمل على ارجاع أي لبن لم يسخن للدرجة المطلوبة . ونحصل على التوقيت المضبوط للبسترة بجعل طول انبوبة الحفظ وقطرها بدرجة معينة ، بحيث تسمح بمرور اللبن بها بسرعة معينة وبذلك يجعل كل جزء منه يحتاج الى ١٥ ثانية على الاقل ليمر خلال الانبوبة ، ومن اهم النقط البكتريولوجية التي يجب مراعاتها في عملية البسترة ، هو منع اختلاط اللبن البارد الخام مع اللبن المسخّن ، ويكون ذلك باستعمال ضغط منخفض على اللبن الخام وبذلك فان اللبن الخام يسحب الى وحدة البسترة تحت ضغط منخفض . اما اللبن المبستر فيدفع تحت ضغط مرتفع نوعا ..

واللبن المبستر يجب تبريده في اجهزة خاصة تمنع تلوثه من اي مصادر خارجية . واللبن المبستر يجب تخزينه في احواض تبريد قبل بدء عملية التعبئة ، وتتم عملية التعبئة اما في زجاجات معدة لذلك الغرض ومعقمة او في علب من ورق الكرتون المقوى والمعقم .

(جـ) عن طريق الغلي :

يعتبر غلي اللبن في المنازل من اكثر الطرق انتشارا في المناطق الحارة وشبه الحارة لاطالة فترة حفظ اللبن والتخلص مما يوجد به من ميكروبات مرضية ..

هذا وفي نهاية مقالي هذا فانني أتوجه الى القارىء العزيز بان يضع في الاعتبار ضرورة الحصول على ما يستهلكه من اللبن من مصدر نظيف موثوق به ، حتى لا يكون اللبن عاملا لنقل الامراض بين افراد اسرته .



كنا قد أشرنا في عددنا السابق من « الوعي الاسلامي » إلى « المؤتمر الثاني للمصرف الاسلامي » والذي انعقد في الكويت في الفترة الواقعة بين ٦ ـ ٨ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ .

وقد أنعقد المؤتمر تحت رعاية سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح والذي أناب عن سموه السيد الأستاذ / أحمد سعد الجاسر وزير الأوقاف والشئون الاسلامية حيث ألقى كلمة الافتتاح ، ورحب بالحضور .

وفي عددنا هذا نستعرض التقرير المتضمن التوصيات والفتاوي الصادرة عن لجنة العلماء في المؤتمر . كما جاءنا من السيد / أحمد بزيع الياسين ـ رئيس اللجنة التحضيرية .

● الداعون الى المؤتمر :

تم بعون الله خلال الفترة الواقعة بين ٦ ـ ٨ جمادى الاخرة عام ١٤٠٣هـ الموافق ٢١ ـ ٢٣ مارس عام ١٩٨٣م عقد المؤتمر الثاني للمصرف الاسلامي في دولة الكويت بدعوة مشتركة من البنوك الاسلامية التالية :

١ ـ بيت التمويل الكويتي ـ الكويت .
٢ ـ بنك دبي الاسلامي ـ دبي .
٣ ـ بنك البحرين الاسلامي ـ البحرين .
٤ ـ شركة البحرين الاسلامية للاستثمار ـ البحرين .

وقد رأت اللجنة التحضيرية المشكلة من البنوك الداعية بالاضافة الى مشاركة البنك الاسلامي الدولي ـ بالقاهرة ـ والبنك الاسلامي للتنمية في جدة أن تكون ابحاث المؤتمر الثاني للمصرف الاسلامي مكملة لابحاث المؤتمر الأول للمصرف الاسلامي الذي عقد في دبي في الفترة من ٢٣ ـ ٢٥ جمادى الاخرة عام ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٠ ـ ٢٢ مايو ١٩٧٩م .

● المساهمون في المؤتمر :

كما حرصت اللجنة التحضيرية على دعوة عدد من علماء الفقه الاسلامي ليبينوا رأي الفقه الاسلامي فيما يتم عرضه من ابحاث ، وما تقوم به البنوك الاسلامية من أعمال ، وقد تكرم بتلبية الدعوة مشكورا كل من الاساتذة الفقهاء :

١ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ عبدالحميد السائح .
٢ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ بدر المتولي عبدالباسط .
٣ ـ فضيلة الشيخ محمد الصديق الضرير .
٤ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ زكي الدين شعبان .
٥ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ زكريا البري .
٦ ـ فضيلة الاستاذ الدكتور يوسف القرضاوي .
٧ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم المحمود .
٨ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ محمد سليمان الاشقر .
٩ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ محمد الحبيب الخوجه .
١٠ ـ فضيلة الاستاذ الدكتور حسن عبدالله الامين .

● الأبحاث التي تمت مناقشتها :

وشملت الابحاث التي تم عرضها في هذا المؤتمر المواضيع التالية :

١ ـ الربا وأثره على المجتمع الانساني ـ للباحث الدكتور عمر الاشقر .
٢ ـ منهج الدعوة الى مفاهيم المصارف الاسلامية ـ للباحث الدكتور حسين شحاته .
٣ ـ اسلوب المضاربة الشرعية تطبيقاته المعاصرة ـ للباحث الدكتور عبدالستار أبو غدّه .
٤ ـ أعمال الصرف وتبادل العملات ـ للباحث الدكتور سامي حمود .
٥ ـ البيوع في الشريعة الاسلامية ـ للباحث الشيخ عبدالحميد السائح .
٦ ـ التعامل في أسواق السلع والأسهم للباحث الدكتور معبد علي الجارحي .

من أجل العمل الحلال :

كما قدمت البنوك الاسلامية المبينة تاليا ، صورا عن أعمالها على لجنة العلماء للنظر في وجوه التوافق أو ما يتطلب التصحيح من اجراءات وهذه البنوك هى :

١ ـ بيت التمويل الكويتي .

٢ ـ بنك دبي الاسلامي .
٣ ـ البنك الاسلامي الاردني للتمويل والاستثمار .
٤ ـ المصرف الاسلامي الدولي ـ لوكسمبورغ .
٥ ـ بنك البحرين الاسلامي ـ البحرين .

وقد جرى عرض الابحاث والتعقيب عليها والرد على الاسئلة المطروحة وذلك في جو علمي هادف للوصول الى أقرب ما يكون من الحق .

وختم المؤتمر أعماله في نهاية اليوم الثالث بعد اتمام المناقشة في المواضيع المدرجة على جدول الاعمال وقد اتخذت لجنة العلماء والفتاوي والتوصيات المرفقة .

وأن اللجنة التحضيرية لتسجل شكرها وتقديرها للرعاية الكريمة التي لقيها المؤتمر الثاني للمصرف الاسلامي من حكومة دولة الكويت وتخص بالشكر سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح ومعالي وزير الاوقاف والشئون الاسلامية أحمد سعد الجاسر وجميع الذين أسهموا في نجاح هذا المؤتمر .

كما تشكر اللجنة التحضيرية العلماء الاجلاء والباحثين الذين كان لمساهمتهم جميعا بالرأي والمناقشة والتدقيق الفقهي المستفيض أثر واضح في اقرار الفتاوي والتوصيات التي ستكون نبراسا للمصارف الاسلامية في توضيح الطريق أمامها لاكمال المسيرة في طريق العمل الحلال .

★الفتاوي والتوصيات من لجنة العلماء :

١ ـ يؤكد المؤتمر أن ما يسمى بالفائدة في اصطلاح الاقتصاديين الغربيين ومن تابعهم هو من الربا المحرّم شرعا .

٢ ـ يوصي المؤتمر اصحاب الاموال من المسلمين بتوجيه أموالهم أولا الى المصارف والمؤسسات والشركات الاسلامية داخل البلاد العربية والبلاد الاسلامية ثم في خارجها والى أن يتم ذلك تكون الفائدة التي يحصلون عليها كسبا خبيثا وعليهم استيفاؤها والتخلص منها بصرفها في مصالح المسلمين العامة ويعتبر الاستمرار في ايداع الاموال في البنوك والمؤسسات الربوية مع امكان تفادي ذلك عملا محرّما شرعا .

٣ ـ يوصي المؤتمر بتشجيع المصارف الاسلامية القائمة ودعم انشاء المزيد من هذه المصارف لتعم منافعها على جميع المستويات .

٤ ـ يوصي المؤتمر المصارف الاسلامية تعميق التعاون فيما بينها على كل المستويات ولا سيما في مجال التعاون لانشاء مصرف اسلامي دولي ينسهل ابتعادها عن التعامل مع البنوك الربوية كلما أمكن ذلك .

٥ ـ يؤكد المؤتمر وجوب اتفاق المصارف والمؤسسات والشركات الاسلامية ابتداء مع اصحاب أموال الاستثمار على نسبة الربح لكل طرف ولا يجوز تأجيل هذا الاتفاق الى ما

بعد .

٦ ـ يجوز الاتفاق بين المصارف الاسلامية والمستثمرين والعاملين في المال على اشتراط مبلغ معين يستحقه المصرف أو المستثمر أو العامل اذا زاد الربح عن حد معين ، فان هذا الاشتراط لا يؤدي الى قطع الاشتراك في الربح .

٧ ـ لا يحل تبايع الذهب والفضة والنقود بعضها ببعض الا بالتقابض الفوري ويكون التبايع في هذه الاصناف على أساس التسليم الآجل هو من الربا المحرم شرعا .

٨ ـ يقرر المؤتمر ان المواعدة على بيع المرابحة للامر بالشراء بعد تملك السلعة المشتراة وحيازتها ثم بيعها لمن أمر بشرائها بالربح المذكور في الموعد السابق هو أمر جائز شرعا طالما كانت تقع على المصرف الاسلامي مسئولية الهلاك قبل التسليم وتبعة الرد فيما يستوجب الرد بعيب خفي .

وأما بالنسبة للوعد وكونه ملزما للامر أو المصرف أو كليهما فان الاخذ بالالزام هو الاحفظ لمصلحة التعامل واستقرار المعاملات وفيه مراعاة لمصلحة المصرف والعميل وأن الاخذ بالالزام أمر مقبول شرعا وكل مصرف مخيّر في الاخذ بما يراه في مسألة القول بالالزام حسب ما تراه هيئة الرقابة الشرعية لديه .

٩ ـ يرى المؤتمر أن أخذ العربون في عمليات المرابحة وغيرها جائز بشرط أن لا يحق للمصرف أن يستقطع من العربون المقدم الا بمقدار الضرر الفعلي المتحقق عليه من جراء النكول .

١٠ ـ لتغطية الحساب المخصص لمواجهة مخاطر الاستثمار يجوز أن يقتطع المصرف الاسلامي سنويا نسبة معلنة من صافي أرباح الاستثمار المتحققة من مختلف العمليات الجارية خلال السنة المعينة .. وتبقى هذه المبالغ المقتطعة محفوظة في حساب مخصص لمواجهة أية خسائر تزيد عن مجموع أرباح الاستثمار في تلك السنة .

١١ ـ يوصي المؤتمر تأسيس مؤسسات اسلامية للتأمين التعاوني للقيام بأعمال التأمين واعادة التأمين .

١٢ ـ يوصي المؤتمر الجامعات العربية والاسلامية بضرورة الاهتمام بتدريس الاقتصاد الاسلامي بفروعه ونظمه التطبيقية المختلفة كما يوصي بضرورة انشاء المزيد من مراكز ابحاث الاقتصاد الاسلامي .

١٣ ـ يوصي المؤتمر بانشاء المزيد من مراكز اعداد وتدريب العناصر العاملة في الوحدات الاقتصادية الاسلامية مع الاهتمام بالجوانب العقائدية والخلقية .

١٤ ـ يوصي المؤتمر بالاهتمام بالدعوة الى مفاهيم المصارف الاسلامية باستخدام جميع الوسائل المختلفة الحديثة .

١٥ ـ يقرر المؤتمر أن التعامل في أسواق السلع والاسهم في الاسواق المالية أمر يحتاج الى دراسة مفصّلة وأن المطلوب هو التحضير لبحث هذا الموضوع في مؤتمر علمي خاص بذلك .



روى مسلم عن جابر رضى الله عنه :

« خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة . فأبطأ بي جملي وأعيا ، فلا يكاد يسير .

ومر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فضربه . ودعا له . فمشى مشية ما مشى مثلها قبل ذلك .

وقال صلى الله عليه وسلم لجابر ـ وكان يعلم أنه يمر بأزمة مالية ـ : بعنى جملك يا جابر .

قال : هو لك هبة يا رسول الله .

قال : لا .. بعنه بأوقية من ذهب .

وكان الجمل لا يساوي نصف أوقية .

قال : لا .. بل اهبه لك يا رسول الله .

قال الرسول : لا .. اشتريته منك بأوقية .

قال : على أن يحملني الى أهلي بالمدينة .

قال : وعلى أن أدفع الثمن بالمدينة .

ولما رجعا الى المدينة قال لبلال : أعطه أوقية وزده .

فأعطاه أوقية وقيراطا .

فلما ربط الجمل وانصرف . ناداه : يا جابر !

فقال : لبيك يا رسول الله .

قال : خذ جملك هبة منى .

ولما أخبر جابر يهوديا بذلك ضرب كفا على كف وقال :

اشترى منك البعير .. ودفع اليك الثمن .. ثم وهبه لك ؟ !

قلت : نعم » .

* * *

عندما يشرق الايمان في قلب المسلم



ضياء . وفي عقله ذكاء .. فان الإرادة تنبعث منطلقة الى أهدافها بلا تردد .. ومهما كانت العقبة كئودا .. فانه يقتحمها .

ومهما كان الثمن غاليا .. فانه يدفعه .

فاذا كان هذا المسلم جنديا في معركة .. فان ذلك يعنى أن الكيان المسبوك بالايمان حقق النصر في معركته مع نوازع نفسه .. واكتسب صلاحية التفوق في كل موقع ..

فاذا وجد هذا الجندي قيادة حكيمة تعيش آلامه وآماله .. تعينه على أمر الله تعالى . كان ذلك دليلا على أن المجتمع قد بلغ رشده الواصل به حتما الى النصر المبين في معركته الثانية .. مع العدو الخارجي .. ولقد كان جابر رضى الله عنه .. ذلك الجندي ..

وكان صلى الله عليه وسلم .. هذا القائد الحكيم .

وكيف ؟

لقد قرر جابر رضى الله عنه أن يشترك في الغزوة استجابة لله ورسوله .. رغم بعد الشقة .. وقلة الزاد .. ووحشة الطريق .. وانه ليرتحل ببعيره الهزيل في سفر طويل ..

ولا يحس جابر بأنه وحده في الميدان يعاني من قسوة الواقع وقسوة الواجب معا .. وما يترتب على ذلك من تأثر دوره العسكري بقسوة الحياة من حوله ..

ذلك بأن القائد الحكيم صلى الله عليه وسلم يقدره قدره .. بل يقف إلى جانبه في أزمته .. عن طريق خطة .. لها هدف معلوم :

أما الهدف :

أن يحصل جابر على قدر من المال يعف به نفسه وأهله .
وأما الخطة :

أن يتم ذلك بطريقة لا تجرح كرامته .

وفي محاولة تنفيذ الفكرة تبدو للمتأملين دروس وعبر .. تتكشف من خلال الممارسة النبوية الكريمة .. تبصرة وذكرى :
وبادىء ذي بدء :
يضع الرسول الكريم أدبا من آداب الطريق .. يستلهمه « أرباب المهنة الواحدة » اليوم .. حين لا ينطلق السائق مارا بزميله المتعثر قبل أن يعرض عليه خدماته !
بل انه صلى الله عليه وسلم يعلمنا ـ وهو الذي أرسل رحمة للعالمين ـ درسا في الرفق بالحيوان حين لا يصب غضبه عليه ليمضي على الطريق .. بيد أنه يضبط نوازعه داعيا له بالعافية دعاء من يلتمس العذر حتى للحيوان .. فيندفع الى أمام .
ومن الرفق بالحيوان .. الى الرفق بالانسان على نحو يؤكد دائما أنه حقا : الرحمة المهداة :

تنفيذ الخطة

لابد من عملية بيع وشراء تأخذ حدودها وشرائطها .. تتوج في النهاية بثمن مناسب يظفر به جابر حقا معلوما له .. بلا مَنٍّ أو أذى :
* ـ ايجاب وقبول .. تم بعد محاورة بين الاثنين ..
* ـ لم يحدد الرسول الثمن ابتداء .. ولم يفرضه .
* ـ بعد أن وافق جابر . حدد الرسول الثمن .
* ـ يشترط جابر ـ من موطن العزة ـ ألا يُسلِّم الصفقة إلا في المدينة .
* ـ وبالمقابل .. يرجىء الرسول تسليم الثمن أيضا ليتم في المدينة !
وهكذا تواجهنا عملية بيع وشراء لا غبار عليها .. وينجح القائد الحكيم في تنفيذ الخطة المرسومة المبقية على كرامة الجندي الذاهب الى المعركة .
وحين قال الرسول لبلال :
« أعطه أوقية .. وزده » فان ذلك يعنى أولا :
● أن الزيادة تتم في ظل من الصفقة يراد بها تحسين وضعه الأقتصادي . بحيث لا يشم منها عندئذ رائحة الصدقة !
ويعنى ثانيا :
أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يملك أوقية .. وزيادة .. وكان يعلم أن جابرا في حاجة الى المال .. فلماذا لم يهبه الأوقية ابتداءً .. ولا داعي لهذا البيع الذي بدا صوريا ؟ !!
ان الرسول صلى الله عليه وسلم يتيح للرجل أن يظل محتفظا بكرامته :
فلا يدفع إليه المال ابتداء حتى لا يخدش حياءه
واذا جاءه المال فمن عرق جبينه .. ومن أشرف مصادره وهو عمله .. بلامِنَّة من أحد .
وتلك هى التربية الاستقلالية

المحمدية .. التي صار بها جابر وأمثاله رجالا .

* * *

وتأخذ البهجة على قلب جابر أقطاره فيخبر يهوديا قابله بما حدث !

فماذا قال اليهودي ؟

لو أن جابرا رضى الله عنه قابل في الطريق أبا بكر مثلا وأخبره بما حدث لما كان هناك داع للتعجب لأن هذا مَعْدِنُ الرسول في نظره والشيء من معدنه لا يستغرب .

لكن اليهودى وقد علم ذلك .

« ضرب كفا على كف وقال :

اشترى منك البعير ..

ودفع اليك الثمن ..

ثم وهبه لك ؟ !!

قلت : نعم » !!

فالمفروض في منطق اليهودى أن يستغل القائد موقعه ليأخذ البعير اغتصابا .. أما ما حدث فهو شيء ما سمع به في آبائه الأولين !

وكان تعجب اليهودى أمارة البعد الشاسع بين منهجين ومجتمعين :

- المجتمع المؤمن : والمؤمنون فيه والمؤمنات بعضهم أولياء بعض .. بكل ما تفرضه الولاية من نجدة وتضحية وتعاون .

والمجتمع المنافق : والمنافقون فيه والمنافقات بعضهم من بعض : كلهم صورة للجبن .. والتمزق والأنانية !

وبعد :

فاذا كان القائد هنا حقق بالمواجهة العسكرية شطر مضمون العبودية لله تعالى حين جاهد الكفار تعظيما له .

فقد حقق بهذه الشفقة نصفها الباقي .. من حيث كانت العبادة :

تعظيم الخالق ..

والشفقة على الخلق .

والأمة

على نفس الطريق

وقد مضت الأمة ـ في شخص روادها الأوائل ـ على ذات الطريق الذي مضى عليه صلى الله عليه وسلم .. فكانت لهم في رسولهم الأسوة الحسنة .. تعظيما لله الخالق .. وحنانا ومودة لخلقه :

وقصة : « عبدالله بن عامر » مع جاره « خالد بن عقبة » شاهد على ما نقول :

ففي محاولة الخروج من الضائقة المالية كان أمام « خالد بن عقبة » مجموعة من الفروض :

أن يحصل على المال المطلوب خديعة واحتيالا ..

وأن يصل اليه قرضا من صاحبه أو سؤالا ..

وأما أن يبيع داره وهى آخر معقل في حياته !

ولقد كان له من دينه ما يمنعه من الخديعة والاحتيال ..

وله من عزّته ما يكفه عن تبديد كرامته بين يدى أمثاله من الرجال ..

وما قيمة المال تفتح له الباب .. لتخرج الكرامة من النافذة ؟ ! ذلك بعينه هو الفقر .. على ما يقول الشاعر :

وقالوا توصل بالخضوع إلى الغنى
وما علموا أن الخضوع هو الفقر
وبيني وبين المال شيئان حرما
على الغنى : نفسي الأبية والدهر
اذا قيل هذا اليسر أبصرت دونه
مواقف .. خير من وقوفي بها العسر

ولم يبق الا أن يبيع داره على ما في القرار من مرارة يحسها أهله وولده .
وليكن .. فليبق للرجل دينه ..
ولتبق له كرامته .. وان فقد الدار وحرم بفقدها القرار وباعها لجاره « عبدالله بن عامر » بتسعين ألف درهم .
وفي الليل اذا سجى .. حدثت المفاجأة :
سمع عبدالله بن عامر نشيجا وبكاء .. فلما سأل أهله عن سره قالوا :
صاحبة الدار تبكي دارها !
وأنت خبير بقلب زوجة .. وقلوب صغار يكتب عليهم الجلاء من مهد الصبا .. وموطن الذكريات ؟ !
وهذا الموقف أريحية الجار الصديق :
وفي محاولة الخروج من الضائقة النفسية . كان أمام « عبدالله بن عامر » أيضا مجموعة من الفروض :
أن يبرم العقد متجاهلا بكاء الجار . والأسى يعتصر قلوب الصغار ..
أو أن يرد الدار على أن يسترد الثمن .. أو يبقى في عنق جاره « خالد » قرضا حسنا ..
واما أن يهب الدار .. والثمن .. معا ..
وكان هذا هو قراره الأخير حين نادى غلامه قائلا :
يا غلام :
أخبرهم أن الدار والمال لهم !
ولم يكن هناك من جزاء « لخالد بن عقبة » المستمسك بدينه وعزته .. إلا هذا الذي فعله صديقه وجاره .. جزاء كريما من جنس عمل كريم تبقى به المودة . ويستمر الإخاء .
ولم يكن هناك أجمل من « خالد » في إبائه « الا » عبدالله .. في إيثاره ..
وبهذا الإباء . وهذا الإيثار بقيت الصداقة قائمة على أصولها من الدين القويم . والخلق الكريم .

ثم ..

ماذا عن ثمرة هذا الموقف في دنيا الطفولة .. وفي علاقات الزوجات هنا ؟ :
إن رجلا كخالد بن عقبة لم يتاجر بدينه . ولم يساوم على كرامته .. لن يترك الجميل يمر . دون أن يعقد العزم على رده مضاعفا ..
وليس كمثله رجل يرضى أن يظل عبدا لجميل .
وفي ظل من هذا الاحساس . سوف يحدث الآتي :
سيظل شاكرا ذاكرا ـ مع أهله وولده ـ للجميل ذكرا تنعكس آثاره صلة طيبة بين الزوج والزوج .. والزوجة والزوجة .. والأطفال وأقرانهم من الأطفال ..
ويختفي تلقائيا ما يسمى بمشاكل الجيران ..
وغدا يرتد الجميل مشفوعا بمشاعر

الاعتزاز بجار لم يقتل في جاره نوازع الطموح .. وأبقى عليه الكرامة فيه .. واذا كان بعض الجيران يتعالى على كومة من المال .. أو قبسا من الجمال .. ولا يحسب له وجودا إلا بالزهو على جيرانه بهذا وذاك .. فإن « عبد الله بن عامر » استبقى ما هو أغلى من المال .. وأبقى من الجمال .. وهو مَودَّة صاحبه وحسن علاقات الأسرتين ..

ورغم ضخامة الثمن البالغ تسعين ألفا .. إلا أنه استرخصه ليبقى الودُّ قائما .

انها لصورة من التعاون على البر والتقوى . يبقى بها المجتمع قويا متماسكا ..

تعاون لا يستهدف المال أخذا وعطاء ..

بيد أنه أيضا يحفظ العرض أن يهون في دوامة الشجون في هجمة الفقر الشرسة ..

تعاون محكوم بقيم الخير :

يفتح الجار عينيه على مأساة جاره ليتحمل تبعتها معه .. وبنفس القوة يغمض هذه العين عن عرض جاره وشرعته قول الشاعر :

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي
حتى يوارى جارتي مأواها

انها ليلة خير من ألف ليلة في حياة العابثين الهازلين .. بل خير من زهو المناصب الذاهبة بأهلها الى المعاطب ! هؤلاء الذين ألهتهم مناصبهم وأموالهم . فأصمتهم وأعمت أبصارهم فلم يسمعوا نداء ولا بكاء !

ولعمرى .. ان فلاحا بسيطا في قرية نائية يخف لنجدة زميله في محنته لأسعد بكثير من هؤلاء الناس ..

ولأن يكون الرجل فلاحا ينطلق الى الفلاح .. خير ألف مرة من « مدير » يدير ظهره للناس !

وما أكثر الذين يبالغون اليوم في التسبيح تعظيما لله تعالى ثم لا يثمر فيهم التسبيح شفقة أو حنانا يتم لهم به معنى العبادة ..

ألا وان الثوب الوسخ في حاجة الى الصابون أكثر من حاجته الى البخور !

وما أحوج الناس اليوم الى الحنان يجتمع به الشمل ويلم به الشعث ..

وما أصدق القائل :

« الحنان » هو ميراثنا العظيم .

وهو المادة الأولية الوحيدة التي نصدرها الى العالم .

« الحنان » شجرة عربية الجذور .

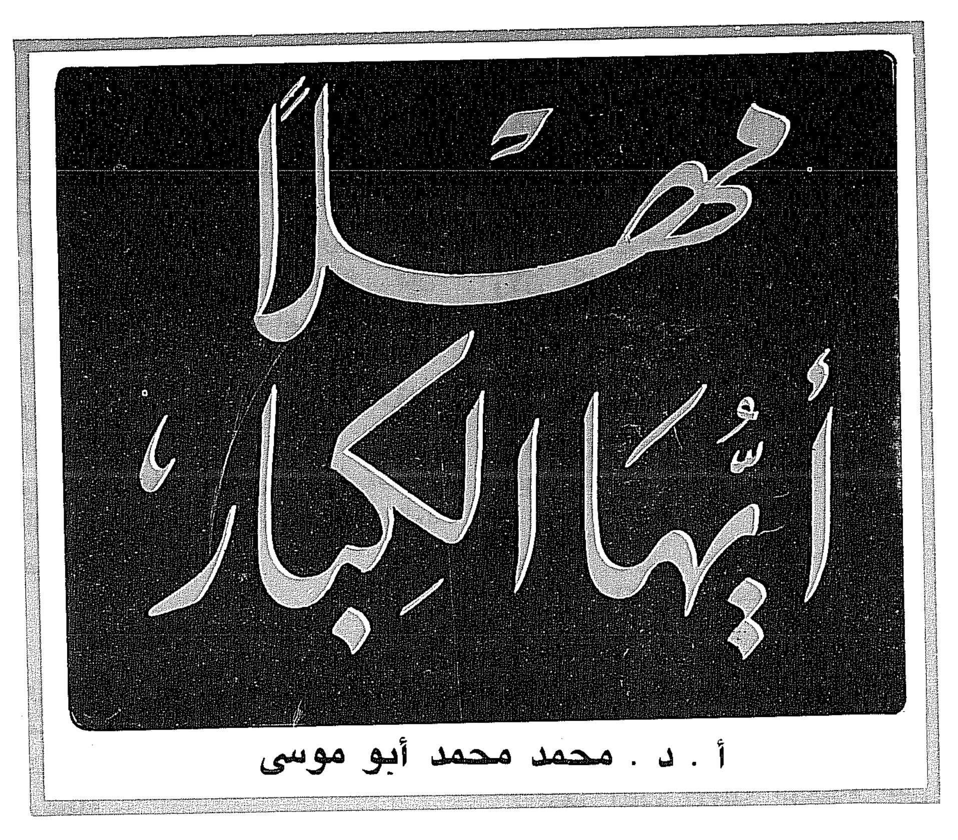
وهى تكبر .. تترعرع . وتعطي ثمرا سكرى المذاق . طيب الرائحة . رغم ملوحة الأرض . وقسوة الطقس . وشح المياه . وخصام المزارعين .

وأكثر التلاميذ يسقطون في الامتحان لافتقارهم الى وسادة الحنان ينامون عليها ..

وأكثر العمال العرب .. والصحافيين أيضا يهربون . لأن الأمة لا تحسب حساب القلب ..

ان الحنان هو أكبر مفاخرنا .. وأغلى عطورنا . وأجمل مناقبنا الباقية »

وما أجمل أن نعود .. الى هذا الفردوس المفقود !



لاشك أنه من المضار التي تثقل حياتنا فقدان الطريقة المثمرة حين نغضب أو نختلف .

مع أن اختلاف أهل العلم يكون دائما أخصب وأثرى ، لأنه موقف تستثار فيه الطاقات ، ويسطع وهج الفكر ، فيستخرج من الحقائق خوافيها ، ويجلى خوافيها ، وليس أمتع من أن ترى العقول الفذة تتحاور حوارا ممتعا سديدا .

ونحن الآن إذا اختلفنا تخاصمنا وتنابذنا ، وطلب كل منا الظفر على من يخالفه ، ولا يهم أن يطأ بقدمه وهو غاضب ثائر حقيقة وحقيقة مادام يصل إلى ما يوهم الآخرين أنه الغالب .

ومن بيننا رجال حملوا أقلامهم لتبرئة الأمة من الأدواء التي منها هذا ، وشخصوا آثاره الوبيلة ، ودعوا قومهم ـ مخلصين ـ إلى ضرورة التفكير الهادىء مهما كانت المشاعر المحيطة بالموقف ، لأن التفكير الهادئ هو وحده الذي تستطيع به أن تضع الشيء في نصابه ، ثم لما شاء القدر أن يختصموا صاروا في حاجة إلى من يذكرهم بمقالتهم .

وليس هناك ما يدعونا إلى أن نشير إلى مكانة رجال يختصمون الآن على الساحة وهم الشيخ الشعراوي والدكتور زكي نجيب محمود والدكتور يوسف إدريس ، والاستاذ توفيق الحكيم ، وان كان الاستاذ الحكيم نفض يده ورجع في صمت . وكنا ننتظر صورة زاكية للخلاف في الرأي ، نرى فيها المختلفين متعاونين في الكشف عن الحقيقة التي هى أجل من الكل ، وأخلد من الكل ، ولكننا وجدنا تراميا كالترامى الذي ألفناه في ساحات أخرى ، ولم تبرأ ساحة الفكر والأدب حتى عند الكبار من هذا الوبال ، وكان أول ما يجب في هذا الموضوع أن يضع فضيلة الشيخ الشعراوي يد القارىء أو السامع على الحقائق التي لا تحتمل إلا وجها واحدا والتي بنى عليها القول الذي قاله في هؤلاء الرجال ، والشيخ الشعراوي يعلم أن الرمى بهذه الكبيرة ـ إذا لم يكن مؤسسا على حقيقة لا يتطرق إليها الاحتمال ـ كان ذلك عند الله حوبا كبيرا ، وقد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الغضب لما نالت سيوف المسلمين دم رجل قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وظن من رماه أنه يقولها تقية .

ثم إن الدكتور زكي نجيب وهو الذي كابد ويكابد نحو غاية سامية نبيلة وهى تحريك العقل العربي حتى ينطلق من القمقم الذي حبس فيه وطال حبسه حتى ألف الضباب ، يقع هو فيما كان يجب أن يتحاماه رغم تماسكه ولواذه بالحكمة ، وذلك في النقاط الآتية :

١ ـ كان موقف الدكتور زكي نجيب من حديث الذبابة موقفا غير سديد وذلك لأنه سخر منه ، والحديث مروى في البخاري ، ومادام كذلك فلابد من التوقف ودراسة الحديث بالوسائل التي أسسها العلماء في هذا الباب فاذا قوى الحديث ، وعلت درجة صحته كان ملزما لكل مسلم أدركنا حكمته أو لم ندرك لأننا نأخذ ديننا عن هذا النبي الذي قال هذا الحديث صلوات الله وسلامه عليه . يستوى في ذلك الحكم المعلل ، والحكم غير المعلل ، ومن غير شك أننا لا نعرف الحكمة في كون الصبح ركعتين ، والظهر أربعا ، والمغرب ثلاثا ، كما لا تعرف الحكمة في كون الطواف سبعا ، ولا في تقبيل الحجر الأسود ، ومقالة عمر بن الخطاب وهو يقبل الحجر مقالة مشهورة ومهمة ، قال .. والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك » فالأمر أمر إذعان ، مادام قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا ولم تناقش هنا مضمون حديث الذبابة ، مع أن فيه كلاما وأخصره أن رسول الله إنما أرشد إلى طريقة التوقي ولم يأمر بشربه ، وإنما ترك ذلك ليتصرف كل طبقا لظروفه ، وفي الأحوال أحوال لا يجد المرء فيها مناصا من شربه .

٢ ـ وصف الدكتور زكي الشيخ الشعراوي بوصفين ينقض أحدهما الآخر فقد ذكر أنه يحسن فهم القرآن ، ثم ذكر أنه يعادي العلم ، وهذان لا يلتقيان لأن من أهم مقاصد القرآن هو تحريك العقل الأنساني وتوجيهه إلى النظر في هذا الكون ، وفي سنن الله فيه ، ودراستها ، وتحليلها ، وتسخيرها ، واستمداد القوة من ذلك حتى تكون للمسلمين الغلبة والشوكة ، والقرآن الكريم يأمر المسلمين أن يمشوا في مناكب الأرض ، وهذا معناه الأمر بأن يكونوا مقتدرين يستطيعون إخضاع هذه الأرض وتذليلها ، ولن تكون الأرض ذلولا لقوم جاهلين يعادون العلم ، والقرآن الكريم مليء بذلك ، والآية الكريمة التي تنفي المساواة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون (**قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) لم تذكر ضربا من ضروب العلم دون ضرب ، وإنما جاء لفظ (يعلمون) هكذا مطلقا أعني لم يذكر له مفعول ، لحكمة عالية هى أن المهم أن يعلم الانسان فحسب ، سواء كان هذا العلم علما نظريا أم كان عمليا ، والآية الكريمة التي في سورة فاطر والتي تقول (**إنما يخشى الله من عباده العلماء**) جاءت في سياق علم النبات ، وعلم طبقات الأرض والجبال الجدد البيض والغرابيب السود ، وعلم الاجناس البشرية واختلاف الألسنة والألوان ، وعلم الدواب والبيطرة ، وراجع الآية رقم ٢٦ « **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء** » .

إلى آخر ما لا سبيل إلى استقصائه وهذه حقائق شائعة في القرآن يدركها من قرأه ، وتدبره ، فكيف يوصف الشعراوي بأنه يجهلها ؟ وأنه يعادي العلم ؟ وكيف يكون الوصف من الدكتور زكي نجيب محمود وهو واحد من وجوهنا التي ينظر إليها الكثير .

٣ ـ الأمر الثالث أن الدكتور زكي نجيب أنكر على الشيخ الشعراوي أن يقول « يريد أو يريدون » ، وحجته في ذلك أن تحديد إرادة الناس يعني مقاصدهم المطوية وراء أعمالهم إنما هو من علم الله ، وهذا حق ، ولكن من الحق أيضا أن تحدد مرادي من كلامي هذا الذي تقرؤه ، مادمت أفرغت إرادتي في كلامي ، وهذا هو القدر الذي عليه المؤاخذة بين الناس وهو الذي كان يعتمده رسول الله صلى الله عليه وسلم في قضائه ، وهو الذي نتبعه اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا أنكر كاتب حكما من أحكام الله ، أو سخر منه ، يكون من واجب من يعلم أن هذا الحكم من شرع الله أن يقول ما يجب أن يقال في هذا الشأن .

هذا ما رأيت أن أشير إليه في كلام الدكتور زكي نجيب محمود .

أما الدكتور يوسف إدريس ، فقد كان يبدو منفعلا وخاصة في لقائه مع الاستاذ عاطف حسين الذي نشر في جريدة الشعب ، والمنشور في هذا اللقاء ، والمنشور في الأهرام بعنوان « عفوا يا مولانا » شيء واحد ، ويكاد يكون مكررا .
وقد بدأ الدكتور يوسف بذكر « الثور البقرة غير الحلوب » وهذه تشكيلة عجيبة دالة على مزيد من السخط والانفعال ، وأن هناك ما أثار حفيظة الأستاذ ، وهو يقصد الذين يتهمون بعض الكتاب بالشيوعية والالحاد ، وبالأخص هذا الثور « الأبيض الهائج في الأهرام والذي يتهم الشيوعيين بالالحاد !! » وهذا أيضا غريب لأن من يصف الشيوعيين بالالحاد لا يتهمهم ، وإنما يخبر عن حقيقتهم المعلنة ، والمهم أن غضب الدكتور ادريس جعل رمزه مكشوفا لأن لفظ « ثور » لو تعاملنا معه على طريقة أبي الفتح بن جنى في تقليب حروف الكلمة لأخرج اسم كاتب من كتاب الأهرام هو أعذبهم مقالة وأشرقهم ديباجة ، وأقومهم طريقا وأهداهم سمتا ، وأرجو ألا يكون قد قصد إليه لأنه من أرومة عزيزة على الفكر والأدب ، نعم هو لا ينى في مطاردة الملحدين .

ثم ذكر الدكتور يوسف أنه هو وصاحبيه رؤوس   كبيرة جدا في هذا البلد وتتلمذ على أيديهم أجيال وأجيال ، وأنهم أصبحوا من عمد الوجود المصري - وهذا بالطبع لا يقدم ولا يؤخر في مناقشة المسألة - .
ثم ذكر أن الشيخ الشعراوي يكفر من يفكر ، وأنه يعتبر المفكرين منافسين له ، وهذا ليس داخلا في القضية ولا ينسب إلى الشعراوي وليس في كلام الشعراوي ما يدل عليه ، ولا يجوز للدكتور يوسف أن يحكم على مطوى نفس الرجل ، وقد رفض هو أن يحكم الشعراوي على إرادة الناس .

ثم أخذ على الشيخ الشعراوي أنه شغل وشغل الناس بتفسير سورة البقرة في الوقت الذي كانت فيه الأمة محتاجة إلى مواجهة مخططات الصهيونية ، ونسى الدكتور يوسف أن ما كشفه القرآن من طبيعة الشخصية الاسرائيلية لا يستطبعه كاتب مهما بلغ من الفهم والاستيعاب ، وسورة البقرة حافلة بهذا اللون الذي وصف طبيعة قلب اليهود ، وأنه لن يكون مصدرا لخير كما وصفت غدر اليهود وأنهم لا يذعنون لحجة ، ولا يستمرون على عهد ، وكان الشيخ الشعراوي موفقا جدا حين قرأ على الأمة هذه الصفحات من المصحف في الوقت الذي كثر فيه الكلام عن ضرورة تذويب جدار الحقد وفقدان الثقة بين الطرفين ، واليهود أنفسهم يعلمون أنه مادام القرآن متلوا في هذه الأمة فسوف تظل العقيدة قائمة على أنهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا ، ويلاحظ أن بعض أعيان الأهرام في ذلك الوقت طلبوا ود يهود علنا ، وأداروا ظهرهم للعرب علنا ، وهاج لذلك من هاج ، وكتب الدكتور زكي

نجيب محمود مقالا بعنوان (قلم يتوب) فكيف يتهم الشعراوي في أمر قد أحسن فيه حين أساء الناس ؟!! ثم أنكر الدكتور يوسف ادريس قول الشعراوي إن مناقشة المسائل الاسلامية يجب أن تكون خاصة بعلماء الاسلام .

والذي قاله الشيخ الشعراوي حق لأن مسائل الدين مرتبطة بمعارف ودراسات دقيقة ومتشابكة لم تتح للكاتب غير المتخصص ، والشيخ الشعراوي يدفع بذلك خطرا لابد أن يدفع ، لأن صلة كتابنا بالتراث الاسلامي لا تهيئهم للاستنباط منه ، واقرأ ما كتبه الدكتور زكي نجيب محمود نفسه في مقدمة كتابه تجديد الفكر العربي ليحدثك الرجل بأمانة عن فقدان صلته بتراث أمته فقدانا تاما ، وأنه بقي هو وكثير من جيله لا يعرفون إلا الفكر الغربي قديمه وحديثه . وأنهم صاروا أساتذة يحاضرون الآلاف المؤلفة من أبناء الأمة في غيبة تامة للفكر العربي الاسلامي ، وأن الدكتور زكي بأخرة ، وقع على هذا الفكر فرأى أنه قد فاته خير كثير ، ودع هذا .

واقرأ مقالا نشرته مجلة الدوحة لكاتب مسلم يخوض بقلمه في مسائل الحلال والحرام ويرى أن انكار البدعة فكر جاهلي ، وجعل عنوان المقال استنكار البدعة وكراهة الجديد موقف اسلامي أم جاهلي ؟ وبين أن من يقول « كل بدعة ضلالة» يسد في وجه الأمة مسالك التقدم ، وقد أفزع هذا الكلام المفزع كاتبا مستقيم الفهم هو الدكتور كامل زعموت فرد هذه الضلالات ردا صريحا واستهول ما جاء به صاحب المقال ، فهل يكون الشعراوي مخطئا إذا قال لمثل هذا الكاتب دع هذا لمن يفقهه ؟ ، نعم من حق كل مسلم أن يدرس الحلال والحرام ، وأن يكون من العلماء في هذا الشأن ، ولكن من الحق الذي لا ريب فيه ، أن الذي يكتب في الاسلام من غير مراجعة مصادره لا ينتج إلا مخرقة كمخرقة هذا الكاتب الذي ينكر إنكار البدعة .

أما ما قاله الشيخ شعراوي في مجلس الشعب ، وموقفه من كامب ديفيد ، وكونه ليس له برنامج في اصلاح أزمة المواصلات أو السكن ، فهذا كله خارج عن القضية التي كنا نود للكبار جدا والذين هم عمد الوجود المصري أن يستهدفوا بخلافهم بيان حقائق حول المسائل التي اختلفوا فيها ، بالروح العلمية المترقبة من ثقافاتهم الواسعة ، والمتنوعة ، ولكن ليست هذه أول مرة يخيب ظن الناس في الكبار جدا والله هو الهادى إلى سواء السبيل .



للشيخ : محمد الأباصيري خليفة

ألقى الدكتور / محمد أحمد خلف الله محاضرة بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت في ٦ رجب ١٤٠٣ هـ الموافق ١٩ ابريل ١٩٨٣م عنوانها : « حقوق الانسان في الاسلام » .

وعندما تعرض للكلام عن الحرية الدينية في الاسلام قال : تبقى مسألة قد تكون الى حد ما محيرة وهى الحرية الدينية .. الحرية الدينية في القرآن لا اكراه في الدين من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . وهذه مسألة مفروغ منها في القرآن الكريم . الحرية الأخرى وهى أيضا واردة في القرآن الكريم وليس بكمالها أو تمامها هى حرية الانسان في أن يرجع عن دين هو متدين به . هنا نرى أن الدول الاسلامية تتخذ موقفا لا يتفق مع ما يقال في المواثيق الدولية من حرية الأديان ولكنا سنحاول بقدر الامكان أن نفهم الوضع فيه .. اذا انتقل الانسان من المسيحية أو اليهودية أو الشرك الى الاسلام لا يتدخل الحاكم في البلاد الاسلامية أو في البلاد العربية أما اذا حصل العكس فيتدخل الحاكم .. اذا انتقل الانسان من الاسلام الى الشرك شيء واذا انتقل من الاسلام الى اليهودية أو النصرانية أي الديانة الكتابية شيء آخر .. اذا انتقل الى الديانة الكتابية لم ينص عليها القرآن ولم يتحدث عنها انما نستطيع أن نقول ان القرآن يبقى على الزوجة الكتابية مع زوجها وهى على دينها فهنا نوع من التسامح على أساس أن أهل الكتاب انما يدينون بأديان سماوية .. المشكلة في من يرجع عن الاسلام الى الكفر . هنا الفقهاء لهم رأي والقرآن الكريم لم ينص على هذا الرأي ، رأي الفقهاء أن المرتد يقتل أما القرآن الكريم فيرجىء أمر هذا المرتد الى الله (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر) فنحن هنا أمام حكمين حكم للفقهاء وحكم للقرآن الكريم) أ هـ .

هذه أقوال الدكتور محمد أحمد خلف الله ويتضح منها :

أنه لا يعترف بالسنة النبوية كأصل من أصول التشريع في الاسلام ، بدليل أنه نسب الحكم بقتل المرتد الذي قاله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى رأي الفقهاء .

وأنه يفرق في الارتداد عن الاسلام بين من يرتد الى الشرك ومن يرتد الى المسيحية أو اليهودية فالمرتد الى المسيحية أو اليهودية في رأيه لا تثريب عليه لأن المسيحيين واليهود عنده ليسوا كفارا لأنهم يدينون بأديان سماوية ويرى أن القرآن لم ينص على الانتقال الى الديانة الكتابية ولم يتحدث عنها .

وأن المشكلة عنده تنحصر في من يرجع عن الاسلام الى الكفر لأن القرآن في نظره يرجىء أمره والفقهاء يرون قتله .

ولما كانت هذه الأقوال غير صحيحة في شريعة الاسلام اقتضى الأمر أن نكشف عن زيفها وذلك ببيان :

أ ـ منزلة السنة في التشريع الاسلامي ووجوب الأخذ بأحكامها .

ب ـ حكم الله تعالى في أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بالاسلام .

جـ ـ حكم الله في أن المرتد عن الاسلام الى أية نحلة كافر ويجب قتله .

منزلة السنة في التشريع الاسلامي

سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام المتمثلة في أقواله وأفعاله وتقريراته هى المصدر الثاني للتشريع الاسلامي ، وهى والقرآن الكريم موحى بهما من عند الله ، القرآن أوحى الله به لفظا ومعنى والسنة أوحى الله بها معنى لا لفظا:(**وما ينطق عن الهوى.إن هو إلا وحي يوحى**) النجم/٣ و ٤ ، والله قد أمرنا بالعمل بالسنة في قوله تعالى : (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**) وفي قوله جل شأنه : (**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**) النساء/٥٩ .

ومن هنا قال ابن حزم : القرآن والخبر الصحيح بعضهما يضاف إلى بعض وهما شيء واحد في أنهما من عند الله .

ولقد امتن الله على المؤمنين بأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلمهم الكتاب ويعلمهم السنة فقال تعالى : (**لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**) . فالكتاب هو القرآن والحكمة هى السنة .

والسنة النبوية قد تأتي مؤكدة لما جاء في القرآن الكريم ، ومن ذلك ما رواه البخاري بسنده عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (**استوصوا بالنساء خيرا**) فان هذا الحديث جاء مؤكدا لقول الله تعالى : (**وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**) .

وقد تأتي لتخصيص العام في القرآن الكريم . ومثال ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم عن رسول الله أنه قال : (**لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر**)

فان هذا الحديث جاء مخصصا لقول الله تعالى : (**ولأبويه لكل واحد منهما السدس ..**) النساء/١١ .

وقد تأتي لبيان مجمل القرآن الكريم . ومن ذلك بيانها للصلوات وعدد ركعاتها وأوقاتها ، وبيانها لما تجب فيه الزكاة ومقدارها ، وبيانها لمناسك الحج ، وما أجمله القرآن الكريم في المعاملات والحدود .

وقد تأتي السنة بحكم زائد على ما أتى به القرآن الكريم اما بوحى ، واما باجتهاد الرسول المعصوم الذي لا يقره الله على خطأ . ومن ذلك حكمها بأن الجدة ترث السدس ، وحكمها بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها في الزواج .

فأحكام الشريعة الاسلامية مأخوذة من القرآن الكريم ومن السنة . وقد قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه أبو داود : (ألا اني أوتيت القرآن ومثله معه) .

والسنة كانت تؤخذ من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مشافهة أو تنقل عنه رواية وبعد وفاته بمدة بدأ تدوينها ، فتحرز الفقهاء ولم يأخذوا منها الا ما كان صحيح الثبوت بشروط معينة دقيقة التزمها علماء السنة للتمييز بين مراتب الأحاديث .

ولما كانت السنة لها هذه الأهمية العظيمة في أحكام الشريعة الاسلامية ركز المستشرقون على مناهضتها والتشكيك فيها ، فهذا (جولد تسيهر) اليهودي في كتابه (العقيدة والشريعة) يزعم أن آلاف الأحاديث هى من وضع العلماء الذين أرادوا أن يجعلوا من الاسلام دينا شاملا فخلقوا هذه الأحاديث .

ويقتفى أثر المستشرقين في هذا تلاميذهم الذين يؤلفون الكتب ويحاضرون داعين الى الاكتفاء بما جاء في القرآن من أحكام وإهمال أحكام السنة النبوية وذلك ليستطيعوا الوصول الى وضع الأحكام التي تتفق مع أهوائهم وأهواء زعمائهم والتي تخلخل عقائد المسلمين وتبعدهم عن دينهم .. والتي من أجلها أقام هؤلاء التلاميذ الأحزاب الشيوعية والعلمانية في البلاد الاسلامية !!

وعبثا يحاول المغرضون ، فالله تعالى خير حافظا لكتابه وسنة رسوله ، والعلماء المتخصصون في دراسة الاسلام وفقه شريعته لن يكفوا عن كشف الألاعيب التي تظهر في الساحة صيانة للشباب المسلم من التضليل والمكائد .

هذه هى السنة وقد أجمع المسلمون على أن المسلم الذي يحافظ على إسلامه لا يرد حديثا ثبتت صحته بدعوى أنه غير ملتزم إلا بما جاء به القرآن ، ونرجو أن يكون في ذلك ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

حكم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بالاسلام

ليس لأحد كائنا من كان أن ينشيء حكما من عنده في أمر أهل الكتاب بعد ظهور الاسلام انما صاحب الحكم في ذلك هو الاسلام .. وبالرجوع إلى الاسلام في هذا الموضوع يتبين الآتي :

أولا : الاسلام هو الشريعة الخاتمة التي ختم الله بها رسالاته وجعلها عامة لجميع الناس الموجودين عند ظهوره ومن سيوجدون بعد ذلك الى أن تقوم الساعة ، قال تعالى : (**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**) النور / ٤٠ ، وقال : (**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون**) سورة سبأ/٢٨ .

وهو الدين المقبول عند الله ولن يقبل من أحد دينا سواه قال تعالى : (**إن الدين عند الله الاسلام**) آل عمران ١٩ . (**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**) آل عمران / ٨٥ .

ثانيا : أخذ الله تعالى الميثاق على الأنبياء السابقين على الاسلام ومنهم أنبياء اليهود والنصاري أن يؤمنوا بالرسول الذي يأتي مصدقا لما معهم ، وأن ينصروه ، وأخذ الميثاق على الأنبياء أخذ على أممهم ، فاليهود والنصارى مأخوذ عليهم العهد من أنبيائهم بهذا . وذلك قوله تعالى : (**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم إصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين ، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون**) آل عمران/٨١ و ٨٢ و ٨٣ .

ومعلوم أن الكثرة من أهل الكتاب نقضوا هذا الميثاق ولم يؤمنوا بالشريعة الاسلامية ولا بالرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بل إن اليهود لا يؤمنون بعيسى أيضا . والفسق الذي وصف الله به من تولى عن هذا الميثاق هو الكفر بدليل قوله تعالى : (**إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك**

سبيلا ، **أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا**) النساء / ١٥٠ و ١٥١ .

ثالثا : قد أمر الله رسوله محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يدعوَ أهل الكتاب إلى الاسلام كما يدعو غيرهم فقال جل شأنه : (**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**)

وقال تعالى : (**يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم**) المائدة/١٥ و ١٦ .

وقال جل شأنه : (**يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير**) المائدة/١٩ .

رابعا : بين الله ما أعده لأهل الكتاب حين يؤمنون بالاسلام من تكفير السيئات وإدخال الجنات فقال تعالى : (**ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم**) المائدة/٦٥ .

خامسا : أعلنت بعض الآيات عن كفر أهل الكتاب ومنها قوله تعالى : (**قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون . قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون**) آل عمران/٩٨ و ٩٩ .. وقوله : (**لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم**) المائدة/٧٢ . وقوله : (**لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة**) المائدة/٧٣ .. وقوله : (**هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر**) سورة الحشر . وقوله : (**إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية**) سورة البينة . وقوله : (**وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون . يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون**) سورة التوبة ٣٠ و ٣١ و ٣٢ .

وقد بين الله أن فريقا من أهل الكتاب استجاب لدعوة الاسلام وآمن برسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبما أنزل الله قبله وذلك قوله تعالى : (**وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا**

يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب) آل عمران / ١٩٩ .

هذا هو حكم الاسلام في شأن أهل الكتاب واضح كالشمس في رابعة النهار ، والذي يجامل اليهود والنصارى بقوله إنهم غير كافرين مع عدم إيمانهم بالاسلام يتبع هواه ولا أضل ممن أتبع هواه بغير هدى من الله .. وقوله هراء لا يقدم ولا يؤخر في أحكام الله ورسوله . وهو يريد بهذا الهراء أن يفتح الباب على مصراعيه أمام المبشرين .

حكم المرتد عن الاسلام

وبعد أن بينا منزلة السنة النبوية في تقرير الأحكام ، وحكم أهل الكتاب الذين لا يؤمنون برسالة الاسلام ولا برسول الاسلام نبين من الاسلام حكم المرتد فنقول وبالله التوفيق :

لما كان وجود الاسلام في الأرض بعقائده وأحكامه وأخلاقه وآدابه وكل ما أشتمل عليه هو وجود الحق الناصع الذي يزهق الباطل ، والعدل الشامل الذي يقضي على الظلم والطهر الكامل الذي يطارد الفساد حرص أعداء الاسلام على الكيد له بالعمل على فتنة المسلمين وردهم كفارا في أية صورة من صور الكفر ، ليسلم لهم وجه باطلهم وبغيهم وفسادهم .. وهم في هذا الطريق يستخدمون كل ما يستطيعون من ضروب الكيد ووسائل الحرب ، وكلما انكسر في يدهم سلاح انتضوا سلاحا غيره .

والله تعالى ـ وهو العليم بأحوال الناس ـ قد حذر المسلمين من الاستسلام لأعداء الاسلام ونبههم إلى الخطر ، ودعاهم إلى الصبر على المكائد بمدافعتها وإلا خسروا الدنيا والآخرة .. وبين أن من يرتد منهم عن دينه فيمت وهو كافر فقد حبط عمله في الدنيا والآخرة وكان ممن يخلدون في عذاب النار يوم القيامة .

وهذا التبليغ الصادق هو قول الله تعالى : **(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)** البقرة/٢١٧ .

وبين رسول الله في حديثه أن حكم المرتد عن الاسلام القتل وذلك قوله عليه الصلاة والسلام : (من بدل دينه فاقتلوه) وهذا الحديث صحيح رواه أحمد

والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنهما . وقوله أيضا : (لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا باحدى ثلاث :النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والمارق من الدين التارك للجماعة) وهذا الحديث أخرجه البخاري عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه .

فحكم المرتد الذي لا يتوب احباط عمله في الدنيا والآخرة وخلوده في النار وقتله وهذا الحكم مأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله .

ومن هنا يتبين أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الذي أمر بقتل المرتد وجعل دمه حلالا فليس الحكم بقتل المرتد رأيا للفقهاء كما قال المحاضر ومن الأمانة أن ينسب الحكم لمن حكم به فدور الفقهاء في هذا الأمر دور المتبع لحكم الرسول : وليس دور اجتهاد منهم فيما لا نص فيه .

ومعنى الردة عن الاسلام ترك الدين الاسلامي والخروج عليه بعد الدخول فيه ، وتحصل الردة بأمور كثيرة منها استباحة إتيان الفعل الذي يحرمه الاسلام ، والامتناع عن إتيان فعل يوجبه الاسلام إنكارا له ، أو جحودا ، أو استحلالا لعدم إتيانه .

ويعتبر مرتدا من جحد الربوبية أو جحد الوحدانية ، أو ادعى النبوة ، أو صدق مدعيها ، أو جحد القرآن أو السنة الصحيحة .. أو قال إن أحكام الشريعة كلها أو بعضها أحكام موقوتة بزمن معين ، أو قال إن السنة ليست مصدرا من مصادر التشريع .

ويعتبر مرتدا من اعتقد اعتقادا منافيا للاسلام كاعتقاد أن العالم ليس له موجد ، والاعتقاد بتناسخ الأرواح وغير ذلك من الاعتقادات المنافية لما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غير أن الاعتقاد المنافي للاسلام لا يعتبر ردة يعاقب عليها بالقتل ما لم يتجسم في قول أو عمل لقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم : (ان الله تجاوز لأمتي عما وسوست أو حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم) رواه البخاري عن أبي هريرة .

ويلاحظ أن الاسلام لا يكره أحدا على اعتناقه ، وإنما يدخل فيه من يدخل باختياره ومحض إرادته قال تعالى : (**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد أستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم**) البقرة/٢٥٦ .

ولكنه يعاقب المرتد عنه بعد الدخول فيه بالقتل لأن الردة جريمة ضد النظام

الاجتماعي الاسلامي فالتساهل فيها يؤدي الى زعزعة هذا النظام ومن ثم عوقب عليها بأشد العقوبات أستئصالا للمجرم من المجتمع وحماية للنظام وزجرا عن الجريمة .. وهذه العقوبة لمن ترك الاسلام الى أية نحلة فانه حين يترك الاسلام إلى أية نحلة يترك الدين إلى غير دين وقول المحاضر . إذا انتقل الانسان من الاسلام إلى الشرك شيء وإذا انتقل الانسان من الاسلام إلى اليهودية أو النصرانية أي الديانة الكتابية شيء آخر قول غير صحيح وكونه يقيس الردة عن الاسلام على زواج المسلم بالكتابية لا يتفق مع واقع الأمرين فزواج المسلم بالكتابية وهى على دينها ليس فيه ضرر على الاسلام لأن الرجال قوامون على النساء وليس فيه ضرر على الكتابية لأن الاسلام هو الذي وصى خيرا بالنساء ، أما الردة عن الاسلام فتحدث فجوة في النظام الاجتماعي الاسلامي وبلبلة في الصف المسلم قد تصيبه بالتصدع والانهيار وقد كان من مكائد أهل الكتاب للمؤمنين أنهم يحاولون إرجاعهم عن إيمانهم باظهار الايمان بما أنزل عليهم أول النهار والكفر به آخره وذلك قول الله تعالى : (**وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون**) آل عمران/٧٢ .

وأكثر الدول غير الاسلامية تقوم على نظم تفرضها على شعوبها ومع ذلك تحمي هذه النظم بأشد العقوبات وهى القتل .. تفرض هذه العقوبة على من يخرج على هذه النظم أو يحاول هدمها أو إضعافها ، وهى العقوبة ذاتها التي وضعتها الشريعة الاسلامية لحماية النظام الاجتماعي الاسلامي الذي لم يكره أحدا على الدخول فيه .

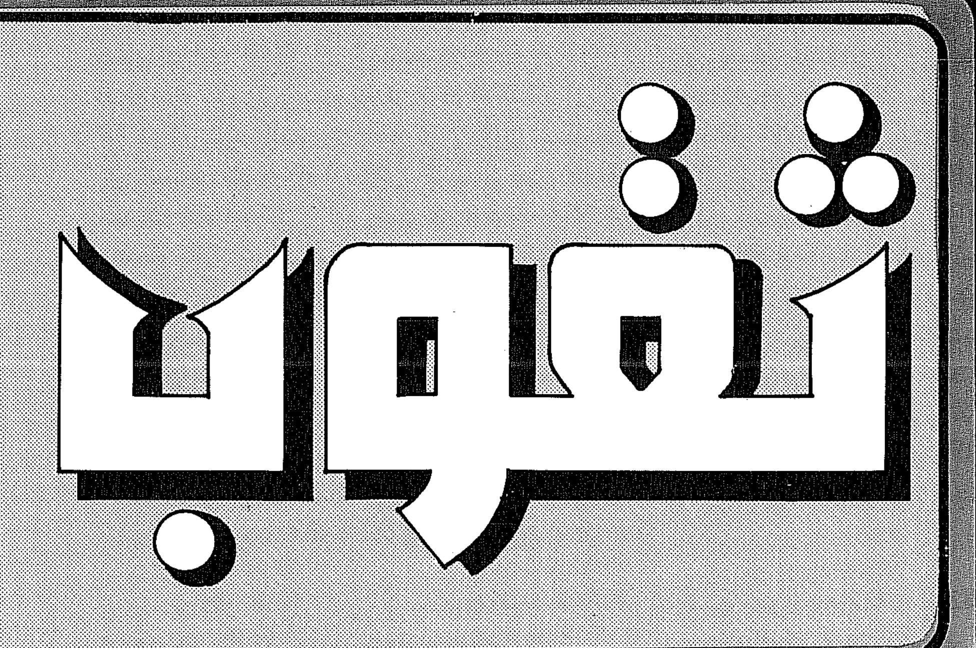
أما من أكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر ، أو قام بعمل مكفر ، فلا يكون مرتدا وذلك لقوله تعالى : (**إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم**) النحل/ ١٠٦

ولقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) ذكره السيوطي في الجامع وقال حديث صحيح .

* * *

هذا واني لأدعو الشباب المسلم في كل مكان أن يقبل على دراسة الفكر الاسلامي الصحيح حتى تكون لديه الحصانة ضد الأفكار الضالة المضلة .. وأنادي علماء الاسلام المتخصصين في دراسته وفقهه أن يواجهوا الأقوال الشاردة عن الحق بالبيان الصادق المستند إلى الحجة والبرهان ، حتى يردوا كيد الأعداء في نحورهم ، ويصونوا عقائد الشباب المسلم وأفكاره ، ويزيحوا الضباب عن أعين المفتونين بتلك الضلالات والأباطيل .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .



نشرت جريدة الأهرام المصرية سلسلة أحاديث للأستاذ توفيق الحكيم كانت سببا في إثارة الرأي العام والخاص وتصدى لها بعض العلماء الغيورين على دينهم ، ومنهم من أصدر أحكاما على توفيق الحكيم .

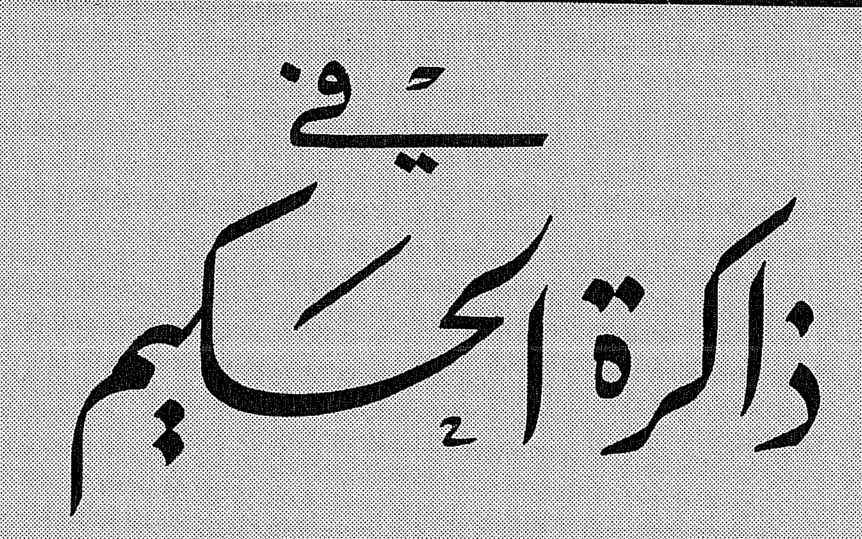
ونحن ـ في الوعي الاسلامي ـ سنناقش أهم ما ورد بقلم توفيق الحكيم في هذه المقالات مناقشة موضوعية هدفنا فيها بيان الحقيقة للقراء حتى يكونوا على بينة من أمر هؤلاء الناس وما يصنعون .

أولا : إن الأستاذ توفيق الحكيم ومن على شاكلته معروفون بإثارتهم لأفكار بعيدة عن أدب الاسلام وأحكامه في أوقات معينة لشغل الناس وصرف أنظارهم عن واقع مرير يعيشونه وربما كانوا مع هذا يظهرون الطاعة لمن يعنيهم صرف أنظار الناس عن الواقع المرير ، ويحققون في الوقت ذاته أهواءً لهم ولسادتهم .

فليس مصادفة أن يتشدق بعض الكتاب بالباطل زاعمين أن الاسلام ليس دينا ودولة وأنه لم تقم دولة إسلامية في عهد الرسول ، وليس مصادفة أن تهاجم السنّة النبوية المطهرة ، وأن يدير « توفيق الحكيم » « حواراً مع الله » .

نعم ليس مصادفة أن تطرح هذه الموضوعات لتكون محل نقاش وجدال ، والعدو الاسرائيلي يمرغ كرامة أمتنا في الوحل والطين .

ثانيا : جعل توفيق الحكيم عنوان مقاله الأول (**حديث مع الله**) وذلك تجاوز بعيد المدى لحدود الأدب في اختيار الألفاظ التي يجب أن تستخدم مع الله ، فقد استخدم الحكيم بهذا العنوان ألفاظا لا يجوز أن تستخدم إلا بين الأنداد من البشر



للأستاذ / فهمي عبدالعليم الامام

وقد أمر الله المؤمنين بتوقير رسول الله واحترامه فلا يرفعون أصواتهم فوق صوته ولا يجهرون له بالقول كجهربعضهم لبعض فان ذلك يحبط أعمالهم وذلك قوله تعالى **(يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون)** .

وإذا كان إحباط الأعمال جزاءً من تجاوز حدود الأدب مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكيف بك يا أستاذ توفيق وقد تجاوزت حدود الأدب مع الله ؟

ثالثا : بدأت يا أستاذ توفيق حديثك بقول الله تعالى : **(ولا يكتمون الله حديثا)** والآية كما جاءت في سورة النساء رقم ٤٢ هى **(يومئذٍ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا)** فالمشركون في هول الموقف لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون الصالحون جحدوا شركهم وقالوا **(والله ربنا ما كنا مشركين)** فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، فعند ذلك يتمنون لو أن الأرض سويت بهم ولا يكتمون الله حديثا .

فالآية التي أتيت بها خاصة بالمشركين والحديث الذي كتموه وشهدت به جوارحهم هو شركهم بالله فهل تريد وأنت تدير حديثا مع الله أن تسوى بك الأرض ولا تكتم الله حديثا ؟

رابعا : يقول الأستاذ توفيق الحكيم : ليس لبشر أن تكلمه أنت إلا وحيا ، ومن أكون أنا حتى تحدثه أنت بالوحي لن يقوم إذن بيننا حوار إلا إذا

سمحت أنت لي بفضلك وكرمك أن أقيم أنا الحوار بيننا تخيلا وتأليفا وأنت السميع ولست أنت المجيب ، بل أنا في هذا الحوار المجيب عنك افتراضا .

هكذا يريد توفيق أن يقيم الحوار بينه وبين الله تخيلا وتأليفا يسأل ويتولى الإجابة نيابة عن الله .. ولا يستحيي الأستاذ توفيق أن ينشر هذا الهراء على الناس .

أليس ذلك منطقا ملتويا وأسلوبا غريبا حمله إلينا من تربوا على موائد الغرب ، وقاسوا الأمور بمقاييس غير إسلامية ، ويحاولون فرض مقاييسهم وطرقهم في التفكير على منهج الاسلام الواضح الصريح .

إن الطرق التي يتم بها الاتصال بين الخالق جل وعلا ونبي من أنبيائه هي :

١ ـ أن يكلم الله نبيه عن طريق الوحي وهو إلهام يقذفه الله في روعه ولا يشك في أنه من الله عز وجل .. في صحيح ابن حبان عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : إن روح القدس نفث فيروحي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب .

٢ ـ أن يكلم الله نبيه من وراء حجاب كما كلم الله سبحانه موسى عليه السلام ، ولما طلب رؤيته قال له (لن تراني) .

٣ ـ أن يكلم الله نبيه عن طريق رسول يرسله إليه كما ينزل جبريل من عند الله على أنبيائه .

وهذه الطرق يجمعها قول الله تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم) وقد انتهى كلام الله لأنبيائه بالرسالة الخاتمة .

وأنت يا سيد توفيق لست نبيا ، والأنبياء لم يكونوا ـ مع سمو منزلتهم ـ يتحاورون مع الخالق كما حاورت أو هذيت بقولك يقول المخلوق .. ثم يقول الخالق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

خامسا : يقول توفيق الحكيم مخاطبا الله تعالى : وحديثي معك سيكون بغير كلفة لا أصطنع فيه الأسلوب الرفيع اللائق بارتفاعك ، ولا الوصف العظيم المناسب لعظمتك فأنا سأخاطبك مخاطبة الحبيب لحبيبه .

لِمَ يا توفيق يا حكيم لا تستخدم الأسلوب الرفيع والوصف العظيم في مخاطبة الله أليس هو المتصف بصفات العظمة والجلال ؟ ألم يأمرنا الله أن نسبحه ونعظّمه ؟ وهل يتنافى الأسلوب العظيم مع حب العبد لخالقه ؟ إن منطقك عجيب يا توفيق .

انظر معي كيف دعا عيسى ربه (**قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء**) المائدة ١١٤ ، وانظر كيف أجاب الله عندما سأله (**وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأميَ إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب**) المائدة ١١٦ .

وهكذا الأنبياء (وهم صفوة الخلق) يخاطبون الله سبحانه (اللهم ربنا) اعترافا بربوبيته وتعظيما له ثم يسألون . وهكذا عندما يطلب الله منهم الإجابة يقولون (سبحانك) تعظيما له وتنزيها ثم يجيبون .

لا تؤاخذوا الأستاذ توفيق الحكيم فإنه يجيد تمجيد المخلوقين وتعظيمهم ولكنه يعجز عن تمجيد الخالق وتعظيمه .

سادسا : يقول توفيق الحكيم مخاطبا الله سبحانه : **عندما سأل بعض المؤمنين نبيك ـ صلى الله عليه وسلم ـ عما إذا كانوا سيرونك في الآخرة لم يرد أن يخيب أملهم فلم يقل لهم كيف ترون من ليس كمثله شيء** ... ثم مضى يقول : **أما أنا فأسأل وأجيب إن العالم الآخر عالم مستقل عن عالمنا الأرض** .

يا توفيق يا حكيم إنكتهرف بما لا تعرف .. « **إن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال لأصحابه إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا** » ثم قرأ « **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب** » أخرجه مسلم .

وفي القرآن الكريم : (**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**) .. وفي شأن المكذبين بيوم الدين يقول الله تعالى : (**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**) .

وفي ضوء الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة نقول إن المؤمنين سيرون الله سبحانه عيانا في الدار الآخرة بلا كيف ولا انحصار لأن الكيفية مجهولة لأنه ليس كمثله شيء .. أما الكافرون فمحجوبون عن رؤية الله في الآخرة .

وليس القول كما قلت يا توفيق .. وأما طلب موسى رؤية الله سبحانه فقد كان ذلك في الدنيا ولذلك قال سبحانه (لن تراني) .

سابعا : تقول عن إينشتين صاحب قانون النسبية : هو من العلماء القلائل المؤمنين بالله وليس كبقية العلماء الملحدين . لست أنسى قوله بالنص : « إني أدين بالتبجيل كله لتلك القدرة العجيبة التي تكشف عن نفسها في أضأل جزيء من جزيئات الكون » .

كما لا أنسى قول العالم المعاصر « كاستلر » : « إننا كلما أوغلنا في دراسة المادة أدركنا أننا لم نعرف عنها شيئا ، فسوف يظل دائما شيء فيها مخفيا عنا » فلما سألوه : مخفى بمن ؟

أجاب : بالله .

* ونقول : إن كل شيء في الكون شاهد على وجود الله ، ويسبح بحمده ، وإن كنا نحن البشر لا نفقه تسبيحه ، بل إن عبدة الأوثان كانوا يعتقدون بوجود الله سبحانه : « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » ، بل إن من الناس من يجحد الأمر وقلبه مؤمن به « جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم » ، فوجود الله ووحدانيته ليست في حاجة إلى دليل ، يقول الشاعر

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

ثم إن المرأة الأعرابية التي قالت : إن البعرة تدل على البعير ، والقدم يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير .
إنها بذلك أقوى إيمانا بوجود الله من « أنشتين » و « كاستلر » .
ونحن ـ المسلمين ـ نعتقد أن الايمان الحق .. هو ما وقر في القلب وصدّقه العمل .
نعم إن العلم إذا حماه الايمان رفع صاحبه درجات .. يقول تعالى « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ، أما إذا خلا العلم من الايمان الحق ، فلا فائدة فيه .
يقول تعالى : « فقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا » .
وإذا كان لأنشتين ، وكاستلر ، من جزاء على علمهم وعملهم ، فانه سيكون جزاء في الدنيا . أما في الآخرة ، فالجزاء الحسن للذين آمنوا بما نزل على محمد ، وهو الحق .
ثامنا : دعواك بأن الأديان نسبية ، لا تقوم عليها حجة ، فإن الدين الخاتم هو دين البشرية جمعاء ، « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » ، بل إن القرآن الكريم خاطب الجن ، فآمن منهم من آمن .. يقول تعالى : « قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به » .
أما قولك « فكأن الله يلمح إلى ما سوف يكتشفه العلماء في شخص أنشتين » فهذا تجرؤ منك غريب ، فأنت تنسب إلى الله سبحانه ما لم يقله .
تاسعا : أخذت قراءة قوله تعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » برفع لفظ الجلالة ، وإن كان المعنى أن الله يجلهم ويرفع من شأنهم . إلا أن القراءة بنصب لفظ الجلالة أولى وأبعد عن التكلف ، ولا تحتاج إلى تأويل ، وتكون الخشية من العلماء لله سبحانه . فهم الذين أدركوا سر عظمة الخالق بما أودع في مخلوقاته من نبات وحيوان وجماد ، ومن هنا كانت خشيتهم لله سبحانه .
عاشرا : وتقول : **إن كل ما نعرفه عن العالم المحسوس لا قيمة له في فهم العالم غير المحسوس ..**
* كيف ذلك والله قد ضرب لنا في قرآنه الكريم الأمثال ، ودعانا إلى التفكير وإعمال الفكر ، والاستدلال بالموجود على ما هو غير محسوس ، ويكفي أن نسوق مثالا واحدا نستدل به على البعث بعد الموت ، قال تعالى : « **وإذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم » هذا وإن الانسان في داخله خلايا تموت وأخرى تنشأ بما يدل على أن عملية الموت والحياة تتوارد على ذاته .**
أليس هذا المحسوس دليلا على البعث بعد الموت ، وهو شأن من شئون الآخرة !!

حادي عشر : وتقول يا حكيم : **إن أمثال أنشتين وكاستلر من العلماء المؤمنين سوف يكون مصيرهم مغفرتك وأنت الغفور الرحيم** .

* وليس الأمر هكذا ، فان أبا جهل كان يؤمن بالخالق ، وإن أبا طالب .. دافع عن الاسلام ، وعن المسلمين ، واحتموا في شعبه ، ومع ذلك قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنه : إنه سيكون أخف الناس عذابا يوم القيامة .

وإن هذا الايمان الفطري ـ الذي يشترك فيه الانسان والحيوان والوجود كله ـ أمر مسلم به ، أما الانسان متى بلغته الدعوة الاسلامية بطريق صحيح واقتنع بها قلبه ، فلابد له من النطق بالشهادتين حتى يكون مسلما ، ويجد رضوان الله في الآخرة .. وإذا لم يكن الأمر كذلك فكل الناس مؤمنون إذن .. وكلهم مصيرهم مغفرة الله ورحمته .. وهذا لا يستقيم .

ثاني عشر : أخذ يوجه أسئلة إلى الله سبحانه ، ويتولى الاجابة عنه ، فالله في حواره مستمع فقط ـ ثم يقول : **حدث ما كاد يجعلني يغشى على دهشة فقد سمعت ردا من الله أو خيل إليّ ذلك « يا سبحان الله »**.. ومضى يقول : **وهذا يكفي ليجعلني أعتقد أن الله قد سمح أخيرا أن يدخل معي في حديث . ثم أخذ تفويضا من الله بأن يقول على لسانه ما يشاء** !!

* **أرأيت أخي القارىء** هذا الهراء والهذيان الذي خرج من ثقوب في ذاكرة الحكيم .. وتجرأ على الله ، وتقوّل عليه بما لم يقله ، وفتح الباب لغيره لكي يدعى أن الله حادثه أو سمح له بالحوار معه ، وكذلك تضافرت كل القوى الشريرة ، ويوحون إلى بعضهم زخرف القول ، ثم يقولون إنه حوار مع الله .. (الصوت العظيم) كما يسميه الحكيم ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

ثالث عشر : **وقد تعرض الحكيم إلى عصمة الأنبياء .. ونسب إلى يوسف .. عليه السلام .. نية السوء وأن الله قد عصمه فقط من الفعل ، أما النية فان الله مؤاخذ عليها .. غير أنه غفور رحيم** .

* **وهكذا يتجرأ** توفيق الحكيم على الله سبحانه فينسب إليه ما لم يقله ، ويتجرأ على مقام الأنبياء فيتهمهم بارادة السوء. ولولا عصمة الله لهم من الفعل لوقعوا فيه .

والله يقول :

« ولقد همت به وَهَمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه »

والمعنى الذي يلتئم مع قوله تعالى في الآية نفسها (**كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين**) .

أن هم يوسف عليه السلام بامرأة العزيز امتنع لوجود البرهان عنده وهو حرصه على الطاعة واستمساكه بآداب آبائه وبأخلاقهم الزكية الطاهرة . فلولا حرف امتناع لوجود امتنع الهم لوجود البرهان ، ونظير ذلك قوله تعالى في أم موسى (**وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها**

لتكون من المؤمنين) فقد امتنع ابداء أم موسى ما في نفسها على ابنها لوجود ربط الله على قلبها .

وللامام الفخر الرازي في تفسيره كلمة خلاصتها :

أن يوسف قد شهد اللهببراءته بقوله (إنه من عبادنا المخلصين) وشهد الشيطان ببراءته بقوله (فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين وشهد ببراءته الشاهد من أهل العزيز إذ قال : (إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دُبُرٍ فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دُبُرٍ قال إنه من كيدكن إنّ كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنّكِ كنت من الخاطئين) . وشهد ببراءته النسوة اللاتي قطعن أيديهن بقولهن (ما علمنا عليهمن سوء) وشهد ببراءته زوجة العزيز بقولها (الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه) .

فالذي يريد أن يتهم يوسف بالهَمّ عليه أن يكون من حزب الله أو من حزب الشيطان وكلاهما شهد ببراءة يوسف فلا مفر له من الإقرار بالحق على أي حال وهو براءة يوسف من الهم بامرأة العزيز . فما هو الحزب الذي تنتمي إليه يا أستاذ توفيق حتى زعمت أن يوسف أراد السوء ؟

رابع عشر : **ينسب الحكيم إلى الله قوله : لا .. أنا خالق القانون الذي يتم به تركيب الكون فاذا فسد القانون اختل تركيب الكون ، فأنا لست فوق القانون ، ولكني الحريص عليه لأنه من خلقي ، ووليد حكمتي .**

* **وهكذا** – في نظر الحكيم – يبقى الله حريصا على القانون ، وليس فوقه ، وكيف ذلك وخالق الشيء أسمى وأعظم من الشيء نفسه ، في استطاعته أن يعدمه ، أو يبقى عليه ، « إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون » .

ونكتفي بهذا القدر من حلقته الأولى ...

أما الحلقة الثانية .. فكانت بعنوان حديث إلى الله ..

سوف يقتصر تعليقنا على أبرز ما جاء فيها حتى لا يطول بنا الحديث .. وقد طال .

خامس عشر : يقول : **ثم إنك يا ربي لا يمكن أبدا أن تلغي ما خلقت وما أوجدت ، ولذلك أبقيت كل المراحل السابقة موجودة في كيان البشرية والانسان . فالى جانب العقل الذي توجت به وجوده أبقيت معه الغرائز والعواطف** ... ثم يمضي قائلا : **ثم إنك يا ربي تذكر في قرآنك دائما بهذا الترتيب : التوراة والانجيل والقرآن مع أن القرآن خاتم كتبك السماوية ، فما قصدك من ذلك بقدر علمي وفهمي ، تريد أن نتذكر دائما أن ما خلقت وأوجدت في الماضي لا تريد إلغاءه أو إعدامه ، إنما أنت تضيف وتعدل ولا تلغي ما أوجدت ، فوجود موسى وعيسى قبل محمد ليس معناه إلغاءَهما** ... ثم يمضي

قائلا : ولذلك أعتقد أنك تحب من رجال كل دين أن يقرءوا كل الكتب السماوية الأخرى . وينساق في حديثه هذا فيقول : ولقد أرادت حكمتك حثّ المسلمين على قراءة كتبك السماوية للتقريب بين أديانك .

* أما أن الله سبحانه لا يمكن أن يلغي ما خلق وأوجد .. فهذا أمر مرفوض تماما .. فالله سبحانه يوجد ما يشاء لأي وقت يشاء ولحكمة يعلمها سبحانه ، ثم يلغيه أو يعدمه .. ألم يكن جائزا لذرية آدم عليه السلام .. أن يتزوج الذكر من الأنثى (أخته) بشرط ألا تكون توأمه . ثم ألغى هذا الحكم ..أو لم يأت عيسى عليه السلام بشريعة الله سبحانه ليرفع عن اليهود إصرهم والأغلال التي كانت عليهم .

ثم جاء محمد ـ عليه أفضل الصلاة والتسليم ـ بشريعة هي الخاتمة للبشرية كلها .. ولن يقبل عند الله غيرها ، فهي ناسخة للشرائع قبلها ، بل إن من أحكام الاسلام نفسه ما جاء لفترة معينة ثم نسخ بتشريع آخر ، قال تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » .

واستقر التشريع وتم ، فلم يعد هناك تغيير أو تبديل بانقطاع الوحي ..

* وإذا كان وجود محمد عليه الصلاة والسلام لا يلغي وجود عيسى وموسى .. فإن التشريع الذي جاء به موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ من عند الله . قد انتهى زمنه بنزول القرآن الكريم .

* والدين الاسلامي كامل في ذاته غير محتاج إلى غيره ، فقد احتوى كل الفضائل ، واستغنى بنفسه عما سواه ، وقد ذكر الكتب السماوية السابقة على أنها كتب من عند الله ، شرع الله فيها أحكاما وموقف القرآن الكريم منها ينحصر بين ثلاث حالات :

أولا : إذا قرنت حكاية الشرائع السابقة في القرآن بما يدل على نسخها عندنا ، فليست تشريعا لنا باتفاق العلماء .

ثانيا : إذا قرنت بما يدل على تقريرها وكتابتها علينا كما كتبت على الذين من قبلنا فهي تشريع لنا باتفاق .

ثالثا : إذا ذكرت مجردة عما يدل على نسخها أو تقريرها فهي محل خلاف بين العلماء هكذا قال الشيخ شلتوت رحمه الله في كتابه الاسلام عقيدة وشريعة .

أما ما أنزل على الأنبياء السابقين ولم يحك في القرآن الكريم ، فليس قرآنا ..ولسنا مطالبين به ، والدعوى إلى التقريب بين الأديان دعوى باطلة ، فلا دين إلا الاسلام .

الحلقة الثالثة

سادس عشر : وفي هذه الحلقة يقول : شاءت حكمة الله أن يختار دينا راقيا كالاسلام لينزل في صحراء وقوم بدائيين ، وكان يخاطبهم على قدر عقولهم ،

واستخدم في جذبهم إلى الدين الجديد عبارة مغرية لهم لأنهم كانوا يشتغلون بالتجارة من مثل قوله تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » أو هكذا قال .

* إن الدين الاسلامي ليس دينا راقيا فحسب ، بل هو الدين الوحيد الذي اختاره الله سبحانه للبشرية ، وهو دين نزل في صحراء ، وعلى نبي أمى لحكمة إلهية سامية .. يمكن أن نحاول اكتشافها ، وقد ندرك بعض الأسرار ، وقد لا ندرك .. والقول الفصل في هذا « الله أعلم حيث يجعل رسالته » . ونقول كما علّمنا الله سبحانه : « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعزّ من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير » وكما قيل : المقصود بالملك هنا النبوة ، فقد نزعها الله من بني إسرائيل وأعطاها لمحمد أفضل خلق الله .

* والدين الاسلامي ما جاء دينا للتجار .. واعدا إياهم بالربح العظيم ، وإلا لسارع لاعتناق الدين الجديد كل أصحاب رءوس الأموال ، وكل النفعيين ، والسادة ، ولكنه دين عظيم ، جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، جاء ليجعل المسلم لا يلتفت إلى مال وأهل ووطن مادام يتعارض هذا مع عزّة دينه ، « الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » .

* علم الدين الجديد أتباعه : أن من هاجر لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه .الجزاء الوحيد إذا أخلص المسلمون العمل ، هو ذا الذي نص الله عليه : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن » .

* الدين الاسلامي إذن ما جاء بمنطق التجار ، ولا بمنطق أصحاب المصالح .. ولكن كما قال الاعرابي لمحمد رسول الله ـ صلى الله عليه سلم ـ حينما أراد أن يعطيه حظه من الغنيمة : ما على هذا اتبعتك ، ولكني اتبعتك على أن أُرمى ها هنا .. وأشار إلى عنقه . هؤلاء هم رجال الاسلام .

* ويبقى بعد ذلك فضل الله الواسع الذي يجزى بالحسنة عشر أمثالها وأكثر « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء » .

سابع عشر : إن توفيق الحكيم لا يسأل الله شيئا من متع الدنيا لأنه أعطى القناعة والاعتدال ، ولا في الآخرة لأنه لا يتطلع إلى الجنة لأنها جزاء المتقين ، وهو لا يريد جزاء ولا مكافأة على حبّه لله وتقواه . وهو لا يخشى النار ، لأن الله لن يجعلها تمسه لأنه رحيم .

* سبحان الله ، إذا كان الحكيم لا يريد شيئا من متع الدنيا ، فَلِمَ كان بوقا لكل سلطان ! .

وَلِمَ كان سعيدا بدخوله مجمع اللغة العربية ؟ وهو الآن ما يزال حريصا على أمور تافهة .

وإذا كان لا يتطلع إلى الجنة ، ولا يخشى النار ، فكيف يتصور مكانه في الآخرة ؟

ورسول الاسلام يقول والله ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار .. هكذا علمنا محمد صلى الله عليه وسلم . وَلِمَ لا يخشى الحكيم عذاب الله .. ومحمد يقول : لن يدخل أحدا عمله الجنة ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟
قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل .
الحكيم لا يريد الجنة لأنها جزاء المتقين ، وهو لا يريد جزاء على تقواه .. ونحن والله ندعو الله ليل نهار أن يجعلنا من أصحابها بفضله وعفوه وكرمه ، فهو الواهب للعطاء ، وأَنْعِمْ به من عطاء . ونستعيذه من النار .. « فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز » .
ثامن عشر : والسقطة الكبرى ، والبلوة العظمى ، هذا الذي كتبه الحكيم .
الخالق : والآن في سنك هذه ماذا تفعل في الدنيا ؟
المخلوق : يا ربي العزيز ، لولا الخجل لكنت أوجه إليك هذا السؤال .
* أخي القارىء : أترى هذا يحتاج منا إلى تعليق ، الحكيم يريد أن يسأل الله نفس السؤال . سبحانك ربي ، لا تسأل عما تفعل ، وهم يسألون . و...فقط .
تاسع عشر : ثم أخذ الحكيم يتكلم عن الجمال ، وعن حبه لامرأة نظرت إليه طويلا ثم قالت : مستحيل ، وتكلم عن شاعر ألماني من عباد الله المسيحيين المتصوفين ـ كما يقول . ثم مضى في هراء عجيب ، لا يستحق منا التعليق ، ولا يستدعى أن يستوقف إلهه ليقص عليه حكايات سخيفة .

الحلقة الرابعة

عشرون : وفي هذه الحلقة يفرح الكاتب بشيء من متع الدنيا ، حيث أن الأزهر دعاه لحضور الاحتفال بعيده الألفي ، مما أشعره بأنه ليس من الضالين .
* ونريد أن نقول للحكيم وهو أعلم بذلك منا إن الدعوات الرسمية لا تدل على شيء ، وإن هناك اعتبارات أخرى تفرض مواقف معينة ، ونحن في زمن العجائب والغرائب ، فالذي جعل مناحيم بيغن ينال جائزة نوبل للسلام ، هو الذي جعل توفيق الحكيم فيما هو فيه الآن . فدعوة الأزهر لك ليست مما يوضع في ميزان حسناتك يوم القيامة ، وليست شهادة لك بأنك لست من الضالين .
حادي وعشرون : ومضى في حلقته هذه حتى قال : إن العبادة لمنفعة البشر ، وانها ليست لتعظيم الله فهو غنى عن كل تعظيم ، والبشر الذي يزعم ذلك لا يقدر الخالق قدره .
* نعم إن الله سبحانه غني عن كل شيء ، فهو الغنى ، وكل ما عداه محتاج إليه ، وعبادة الناس له سبحانه لنفعهم هم ، وعصيانهم ضرره واقع عليهم ، فالعباد جميعا لن يبلغوا ضر الله فيضروه ، ولن يبلغوا نفعه فينفعوه .
ولكن أليس في العبادة تعظيم لله سبحانه ؟أولسنا مأمورين بتعظيمه وإجلاله وحمده وشكره . الكون كله يرنم بتسبيح الله وتعظيمه ، والعبادة نوع من التسبيح

لله ، والتعظيم له ، أليس كذلك ؟ .. بلى إنه كذلك .. فعندما سئل محمد صلى الله عليه وسلم عن عبادته الدائمة لله سبحانه قال : أفلا أكون عبدا شكورا ، سبحانك اللهم فنحن نجلك ونعظمك ونخصك بالعبادة .

ثاني وعشرون : يقول : إنه في سنة ١٩١٩ تجمع هو وبعض المتظاهرين بمسجد السيدة زينب ، وقام بالتمثيل ، وأخذ دور لويس في مسرحية (لويس الحادي عشر) ثم طلب منه المتظاهرون أن يمثل فصلا مضحكا .. وقام بذلك في المسجد .

* هذا هو احترام توفيق الحكيم لدور عبادة الله سبحانه ، يتخذها مسرحا يمثل عليه فصولا مضحكة ، ويصفق له المتظاهرون إعجابا .. ثم الله غفور رحيم .. إذن فهو يريد إبطال قانون الثواب والعقاب .. يريد الأمر فوضى وفق مزاجه ، ويطلب من رجال الدين أن يبتعدوا عن أساليب التخويف في دعوتهم إلى الله ، ويكتفوا بأساليب الحب والعطف والترغيب .. مع أن الله سبحانه أرسل رسله مبشرين ومنذرين .. وهو أعلم بما يصلح عباده ، منهم من يخاف العقاب فيسلم ، ومن هم من يريد الكرامة فيطيع ، والخائف من عذاب الله ، والطامع في رحمته جزاؤهما الجنة ، أما هؤلاء الذين يفعلون ما يشاءون ويقولون إن الله غفور رحيم .. فهم يتغافلون عن قوله تعالى «إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم » . فاتق الله يا حكيم ، واخش عقابه فقد تطاولت بك السنون وخير لك أن تتوب مما صنعت .

ثالث وعشرون : تحدث طويلا عن عضويته في المجمع اللغوي ، وامتدح عبدالعزيز فهمي المناضل من أجل الحرية السياسية والفكرية واللغوية ، كما أشاد بواصف غالي كمناضل حر خاطب الغرب بالاسلوب الذي يفهمونه ، وقال عن عبدالعزيز فهمي : إنه أراد أن يحل العقدة ـ عقدة تخلف اللغة العربية وصعوبتها كما يراها ـ بسيف شجاعته ، فقدَّم اقتراحه المشهور بترك الحروف العربية ، واتخاذ الحروف اللاتينية . ويقول الحكيم : وأذكر أنني وافقته في ذلك الوقت . ثم دعا الحكيم إلى تبسيط اللغة بحيث تحتفظ الفصحى بخير ما فيها ، وتستعير من العامية خير ما فيها .

* تلك هى آراء الحكيم في حواره مع إلهه ، ولسنا ندري هل وافقه إلهه على ذلك ؟ أم كان له رأى آخر ؟ إن عضوية المجمع اللغوي لا ترفع قيمة الانسان عند الله ، وإن كانت مما يحرص البعض عليه في الدنيا ، وليس كل عضو في هيئة أفضل من غيره ممن لم ينضم إلى تلك الهيئة ، وقد يكون أصحاب المناصب أقل علما من علماء مغمورين .

وأما الدعوة إلى استعمال الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية ، فهى دعوة استعمارية قديمة القصد منها القضاء على الأمة العربية وبالتالي القضاء على الاسلام ، فالقرآن كتاب الله نزل بلسان عربي مبين .

وأما المزج بين الفصحى والعامية ، ففيه تكريس للانفصال النكد بين الأقطار الاسلامية .. فبأي عامية سنأخذ ؟ . العامية المصرية ، أم الشامية ، أم المغربية ، أم السائدة في دول الخليج العربي ، أم غير ذلك ؟ . إن اللغة العربية

الفصحى يفهمها رجل الشارع ، والمهني ، والعالم ، والباحث على حد سواء ، وهى لغة غنية بالألفاظ البسيطة الواضحة القريبة الفهم ، فهى لغة كتاب المسلمين – القرآن الكريم – وهى اللغة التي تحتوي من الأسرار ما تعجز عن احتوائه أية لغة أخرى . فما الحكمة ياحكيم – وراء دعوتك هذه ؟ أم أن الثقوب قد اتسعت في ذاكرتك فلم تعد تدري ما تقول .

رابع وعشرون : وفي النهاية يلتمس الحكيم الأعذار والمبررات لعبدالعزيز فهمي عندما قال لمحمد علي – وكان وليا للعهد في ذلك الوقت – « أنتم يا أصحاب السمو أسيادنا وأولاد أسيادنا » .

وسواء علينا أرضيت عن ذلك أم لم ترض .. ووجدت ألف تبرير وتبرير لمذهبك هذا في التعامل مع أسياد كل عصر .. فان أصحاب الطبع السليم ، ومن سمعوا قول الرسول الكريم : « لا تسيدوني » لا يقولون كمثل هذا المخلوق .. أما أنت يا حكيم فأنت وشأنك مع أسيادك . ثم كيف بررت هذا التعظيم لغير الله وقد حرمته على نفسك لله ..

خطورة الأحاديث

نجمل خطورة أحاديث الحكيم تلك في عدة نقاط :

أولا : أنه فتح الباب أمام كل من يريد أن يدير حوارا مع الله سبحانه .. معاذ الله .

ثانيا : أنه مسَّ عصمة الأنبياء بحديثه عن يوسف عليه السلام .

ثالثا : أنه دعا إلى طبخة عجيبة من التوراة والانجيل والقرآن .

رابعا : أنه مسَّ أمورا غيبية ما كان ينبغي له أن يخوض فيها .

خامسا : أنه يرى أن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ليس شرطا لدخول الجنة ، ولعفو الله ومغفرته .

سادسا : يرى أن النطق بالشهادتين ليس ضرورة ، ما دام الانسان يشعر بوجود الله داخليا .

سابعا : تصور الحكيم أن الله سمح له بادارة الحوار معه ، وأنه سمع صوته ، ومعنى هذا أن لغير الحكيم أن يدعي ذلك ، ويزيد عليه . ونحب أن نقول للأستاذ توفيق الحكيم انك انفردت بهذا العبث عن أسيادك في الغرب فانهم لما أرادوا التعرض لأمور غيبية أو التشكيك في قيم عليا اتخذوا الشيطان محورا لاستعراض مفاهيمهم ولم يجرءوا على إدارة مثل هذا الحوار الذي كان لك فيه عار السبق .

ثامنا : سيأتي جيل يطلع على ما كتبه الحكيم ، فيظن أنه كَلَّمَ الله . أستغفر الله العظيم وأتوب إليه وبعد كل هذا أتركك أخي القارىء لتصدر أنت حكمك على الرجل .. والله يتولى الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين .

مع الصحافة

في المناطق التي تتزاحم فيها مطامع الكبار ليس بين لعبة الحرب ولعبة السلام سوى خيط دقيق جدا ، لا يكاد أحد يستطيع أن يتكهن متى ينقطع ! وهذا هو الموضوع الرئيسي الذي يشغل الآن معظم الصحف العربية والعالمية ، وهي تتابع الأحداث التي تتطور بسرعة في هذه المنطقة الحساسة من العالم الاسلامي التي يسمونها الشرق الأوسط .

والحقيقة ان الاعتقاد الذي اصبح سائدا بعيد الغزو الصهيوني الأخير للبنان هو أن أمريكا هي الجهة التي تستطيع أن تجد حلا للصراع الدائر ، وكان الحديث عما يسمى بالسلام لا يعدو في حقيقته مفهوم السلام الامريكي الذي رسمت خطوطه الغامضة مبادرة الرئيس الامريكي ريغان . وجرت في سياق ذلك تحركات ، وصدرت تصريحات ، بيد أن الواقع كان اكثر تعقيدا وعسرا من كل الأحاديث التي تصنعت التفاؤل بالحل السلمي . ولكن .. أي سلام هذا الذي يمكن ان تصطلح عليه الأطراف المتنازعة والأطراف المترقبة والأطراف المتحفزة ؟! لا شك ان هناك ضروبا عدة من السلام ، يوافق كل منها وجهة نظر هذا الفريق اوذاك ، غير ان وجهات النظر شيء ، والواقع الذي فرضته القوة شيء آخر تماما . فالولايات المتحدة واسرائيل ـ على ما بينهما من فرق في بعض وجهات النظر ـ تقوم رؤيتهما للسلام على الظروف التي استجدت بعد الغزو الصهيوني الأخير ، وهذا يعني في الحقيقة : دفع الطرف الآخر بالمفاوضات الى القبول بشروط القوي . وهذا أمر لم يغب عن منظمة التحرير الفلسطينية ، ولكنها مع ذلك لم ترد ان تغلق هذا الباب ، مادام هو الباب المتاح ، ولكن الحوار فيما يبدو أظهر ان هذا الباب سوف يفضي الى سراب . فأمريكا تريد من الفلسطينيين تنازلات لتعطيهم في المقابل وعودا ، وهكذا غدا من الصعب على منظمة التحرير الفلسطينية ، بعد مذابح صبرا وشاتيلا ، ان تمحض الوعود الامريكية لونا من الوان الثقة . وواقع الأمر ان النتيجة التي آلت إليها المحاورات السريعة لم تكن مفاجأة للذين كانوا يتابعون مراحلها الأخيرة . وكان الاتحاد السوفياتي يترقبها وهو يعمل بصورة حثيثة جدا على استعادة نفوذه في المنطقة ، هذا النفوذ الذي بدا واهيا جدا في أثناء الغزو الصهيوني الأخير .

○ طبول الحرب !

وعلى ذلك هل يقع الصدام بين سورية واسرائيل في البقاع ؟ هذا هو السؤال الذي حاولت مقالات كثيرة أن تجيب عنه . وبغض النظر عن العناوين المثيرة التي

تميل إلى إبرازها معظم الصحف عادة ، يرى فريق كبير من المحللين ان كوابح الصدام اكثر من دوافعه ، وان التصريحات التي تصدر من الطرفين تنطوي على شكل من المبالغة ، بهدف تعزيز المواقع في اثناء الحوار الذي يتم في ظروف من التكتم ، ولا تظفر منه الصحافة بشيء ذي بال . ولكن .. الا يمكن ان يقع الصدام مع ذلك ؟ هذا غير مستبعد في نظر بعض المراقبين السياسيين . غير ان السؤال الذي نجد من المهم ان يدور حوله البحث : ما الذي يمكن ان يفضي اليه الصدام - اذا حدث - على الصعيد العسكري والسياسي في لبنان وسورية ؟

كتبت صحيفة وول سترايت جورنال في ١٩ رجب مقالا انصب فيه التحليل على التسابق الامريكي - السوفياتي في مضمار النفوذ الدولي في المنطقة ، بينما يقوم وزير الخارجية الامريكي « بزيارته » المتأخرة .. جاء فيه :

مهمة جورج شولتز المكوكية تتيح للاتحاد السوفييتي فرصة ذهبية لالحاق هزيمة رئيسية ثانية لسياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط ، في الربيع الحالي .

وهكذا فانه اذا تمكن شولتز من اقناع كل من لبنان واسرائيل بالتعاون للتوصل الى اتفاق ، فان موسكو تستطيع ان تلعب دور الحبيب المنبوذ وتفسد حفلة الزفاف من خلال تشجيع سوريا على الوقوف بصلابة والقول انها ستبقى في لبنان . واسرائيل كانت قد اوضحت من قبل انها لن تسحب قواتها من لبنان ما لم تفعل سوريا نفس الشيء .

فاذا حصل فشل كبير جديد (حين يعجز شولتز عن انجاز مهمته) بعد انهيار مبادرة الرئيس ريغن بشأن السلام في الشرق الأوسط الذي حدث في الشهر الماضي ، فان ذلك سيعمق نظرة العرب للولايات المتحدة من انها لا تستطيع انجاز خططها ، وتوجد لديهم القناعة بأن التوصل الى اتفاق سلام في الشرق الأوسط سيبقى مستحيلا ما لم يشارك الاتحاد السوفييتي في عملية السلام ، وادارة الرئيس ريغن شأنها شأن سائر الادارات الاميركية السابقة تحاول ان يبقى الاتحاد السوفييتي بعيدا عن دبلوماسية الشرق الأوسط .

وذكر شولتز يوم الأحد انه يأمل بزيارة سوريا في وقت لاحق من هذا الاسبوع . كما ذكر شولتز حين كان على الطائرة التي اقلته الى بيروت في نهاية الاسبوع الماضي ، انه يتوقع ان تقوم الدول العربية بحث سوريا على سحب قواتها من لبنان حتى لا تبقى هناك ذريعة لاسرائيل للاحتفاظ بقواتها في لبنان بشكل دائم .

وملاحظا ان اسرائيل احتلت الضفة الغربية لنهر الأردن منذ ١٦ عاما وما زالت باقية فيها ، قال شولتز : « لا اعتقد ان سوريا تريد تحمل مسؤولية استمرار الاحتلال الاسرائيلي للبنان » غير ان المسؤولين اللبنانيين يشككون في قدرة العرب على اقناع سوريا .

وبعض المسؤولين الاسرائيليين يعتقدون ان سوريا ربما تقوم بسحب قواتها من لبنان لابعاد القوات الاسرائيلية عن منطقة تمركزها الحالية ، التي باتت دمشق في مرمى مدفعيتها .

غير ان احد مسؤولي وزارة الدفاع الاسرائيلية يشك في ذلك . وبعض المسؤولين الاميركيين يعتقدون ان سوريا ستوافق على الانسحاب لتقليل مخاطر نشوب حرب بين سوريا واسرائيل تكون بمثابة اختبار غير مرغوب فيه لمتانة الصداقة

السوفيتية ـ السورية والمعاهدة المعقودة بينهما التي تلزم موسكو بالوقوف الى جانب سوريا والدفاع عنها عمليا في حالة وقوع اعتداء عليها .
وقال مسؤول اسرائيلي انه يعتقد ان قيام اسرائيل باعتداء بهدف ضرب مواقع الصواريخ السوفيتية الجديدة في سوريا ، لن يحمل السوفيت على الرد على هذا الاعتداء . غير ان المحادثات مع المسؤولين الاسرائيليين تشير الى انهم ليس لديهم اية نية لغزو سوريا ، كما انهم لا يعتقدون ان اية اعمال عسكرية اسرائيلية ضد سوريا اقل من الغزو الشامل ستدفع الاتحاد السوفييتي ليهب لنجدتها .

وعن احتمالات الصدام السوري الاسرائيلي كتبت مجلة الحوادث اللبنانية في عددها ١٣٨١ تقول :

السؤال المطروح في بيروت اليوم هو : هل هناك حرب بين سوريا واسرائيل على الاراضي اللبنانية ، وهل ان مقومات هذه الحرب متوافرة ؟
مصادر سياسية وحزبية تتابع هذه القضية المهمة ، خاصة بعد استعراضات الطيران الاسرائيلي والسوري في سماء لبنان يوم الخميس الماضي ، قالت ان الحرب مستبعدة خلال العام الحالي على الأقل لاسباب اسرائيلية وسورية ودولية وجيهة .
ان هذه الحرب مستبعدة اسرائيليا لاسباب كثيرة منها اقتناع وزير الدفاع الاسرائيلي أرينز بان اسرائيل ذهبت مسافات ابعد مما هو مناسب لها ولجيشها في حرب لبنان ، وان عليها الآن ان تفكر جديا بالانسحاب ، ولو من جانب واحد ، الى حدود امنة في حال تعذر الوصول الى اتفاق مع لبنان ، فهذا الانسحاب يبعد جيشها عن مواقع المواجهة الحالية القريبة من مواقع الجيش السوري في البقاع .
كذلك بات من الصعب على اسرائيل ان تخوض حربا ثانية في لبنان خلال سنة واحدة ، بسبب الانقسام الداخلي الناجم عن ظروف الحرب السابقة ، فالحرب في لبنان كانت أطول حرب تخوضها اسرائيل ، وهي لا تستطيع ان تتحمل النتائج الاقتصادية والبشرية لحالة الاستنفار العسكري والمدني فيها ، كما انها لا تستطيع ان تغطي لمدة أطول متاعبها الاقتصادية .
يضاف الى ذلك حذر اسرائيل من مخاطر تفجير خلاف جديد مع اميركا التي لا تريد فعلا انفجار الحرب بين اسرائيل وسوريا لاسباب متصلة بحساباتها الداخلية وبمخاطر الصدام مع الاتحاد السوفياتي .
والحرب لا تناسب سوريا ايضا لاسباب كثيرة منها ان سوريا لم تستوعب بعد ولم تهضم نتائج الحرب السابقة ، لا على الصعيد البشري ولا على صعيد المعدات . والجيش السوري يحتاج الى وقت اطول لاستيعاب الاسلحة السوفياتية المتطورة ، اضافة الى صعوبة الوضع المالي الذي تفرضه متطلبات الحرب وصعوبات الوضع المالي العربي وحاجة سوريا الى وقت اضافي لبلورة حدود اعتمادها على الاتحاد السوفياتي ، خصوصا ان الحرب اذا اندلعت هذه المرة ستندلع خارج اطار الاراضي السورية حيث تسري فعالية معاهدة التعاون مع الاتحاد السوفياتي ، وستكون منطقة البقاع ساحتها الرئيسية ، وستكون ايضا حرب طائرات وصواريخ ودبابات ، اي ستكون حربا مصيرية وكثيرة التكاليف ، ولا تخاض عادة الا بعد درس عميق لكل الظروف والاحتمالات .
ومع ان هذا الواقع لا يسقط نهائيا احتمالات اندلاع الحرب فجأة ، خصوصا اذا لجأت اليها اسرائيل بضوء اخضر من اميركا في حال تعثر الانسحابات من لبنان ،

الا انها تبدو بعيدة وصعبة ويمكن ان تستبدل باشتباكات محدودة للضغط ، او بحرب استنزاف مشابهة لحرب الاستنزاف التي قامت بين اسرائيل ومصر على ضفتي قنال السويس في عهد الرئيس جمال عبدالناصر .

○ المكوك الامريكي الجديد

وعن « الزيارة » المتأخرة لوزير الخارجية الامريكي جورج شولتز الى المنطقة كتبت الأوبزرفر البريطانية في الاسبوع الثالث من رجب مقالا جاء فيه :

في محاولة لانقاذ رصيد الرئيس الاميركي رونالد ريغان من حطام دبلوماسيته الشرق اوسطية سوف يقوم وزير الخارجية جورج شولتز بزيارة المنطقة .. ومهمته مثبطة للعزائم . ومشروع سلام ريغان ميت . والقوات الاجنبية التي تعهدت اميركا باخراجها من لبنان في عيد الميلاد الماضي ما تزال هناك . وتزداد المخاوف من حرب سورية ـ اسرائيلية جديدة يمكن ، بسبب الدعم السوفياتي لسوريا ، ان تجر الولايات المتحدة الى الجانب الآخر .

إن شولتز اذا نجح في لبنان فان العرب سوف يستردون الثقة في اميركا وربما يعبرون اخيرا عن استعدادهم للتفاوض . ليعيدوا بذلك مشروع ريغان الى الحياة ، ويجابهوا بيغن بالحاجة لتقديم تنازلات اقليمية .

والتنازلات هي الشيء الاخير الذي ينويه بيغن . والمشكلة هي ان شولتز سوف يعود الى واشنطن خالي الوفاض ولم يخف بيغن رفضه الكامل للتخلي عن الضفة الغربية او غزة او مرتفعات الجولان او للانسحاب من لبنان بأية شروط غير شروطه الخاصة .

ان العلاقة بين اسرائيل واميركا نموذج كلاسيكي للذيل الذي يحرك الكلب ، ورغم ان المصالح الاميركية في الشرق الأوسط لا تتفق دائما مع مصالح اسرائيل ، فان اسرائيل تمكنت من تحويل التحالف مع اميركا لفائدتها والمفارقة تكمن في انه كلما اساءت اسرائيل للعرب اكثر اضطرت الولايات المتحدة اكثر للاعتماد على اسرائيل ودعمها .

ولا يوجد شك الان ، بعد ان انهارت عملية السلام ، في ان اعتماد الولايات المتحدة على اسرائيل سيكون اكبر وليس اقل وستكون جهود اميركا اكثر تصميما على ضمان ان تظل اسرائيل متفوقة .

○ الهجوم الامريكي على منظمة التحرير

أظهر الرئيس الامريكي ووزير خارجيته خيبة امل كبيرة عندما صدر البيان الأردني الذي اعلن عن اخفاق مبادرة ريغان ، ولما كان ريغان يعتمد في نجاح مبادرته على التنازلات التي يرغب في ان تقدمها منظمة التحرير الفلسطينية مقابل وعود امريكية .. فقد سارع الى مهاجمة منظمة التحرير بصورة غاضبة فتساءل : من انتخب منظمة التحرير ؟ وقد اثارت هجمة ريغان ردود فعل في الصحف العربية بدا معظمها مشوبا بالسخرية .

حول هذا الموضوع كتبت صحيفة الوطن الكويتية في ١١ رجب مقالا جاء فيه :

طريف ذلك السؤال الذي طرحه الرئيس الاميركي اول امس ، وقال فيه : من الذي انتخب منظمة التحرير ؟ وقد يتطور موقف الرئيس ريغان بعد ذلك ـ عندما تقترب الانتخابات الاميركية ـ لنسمعه يسأل : من هم هؤلاء الفلسطينيون ؟

ذلك انه اذا كان المعيار الموضوعي للشرعية في الحكم والقيادة هو مدى التعبير عن ضمير الجماهير وطموحاتها ، فسوف نكتشف ان منظمة التحرير تتمتع برصيد من الشرعية يتجاوز بعشرات المرات رصيد بعض الأنظمة الحليفة للسياسة الاميركية في المنطقة . واذا كان رؤساء كل بلديات الضفة الغربية وغزة ، الذين انتخبتهم الجماهير الفلسطينية قد اعلنوا انهم من مؤيدي منظمة التحرير الفلسطينية ، وهو ما اضطر السلطات الاسرائيلية الى ابعادهم الواحد تلو الاخر . فان ذلك يعد بحد ذاته استفتاء حقيقيا على شرعية قيادة المنظمة للجماهير الفلسطينية .

ولو مارس الموقف العربي قدرا من المسؤولية لتكفل وزراء الخارجية او السفراء العرب بالرد ، ذلك ان الاجماع العربي في مؤتمر الرباط الشهير قرر ايضا ان منظمة التحرير هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني .

ولكن المشكلة ليست في الجانب الاميركي ، لانها اساسا وبالدرجة الأولى في الجانب العربي الذي تضاءل حجمه ، وتنازل عن كل عناصر القوة التي يملكها ، حتى بات بعض الحكام العرب يتفاخرون بأن ٩٩٪ من اوراق اللعبة في يد اميركا ، وان الشريك الكامل هو في حقيقة الأمر السيد الكامل والامر الأوحد .

وليس مستبعدا ان يجيء اليوم الذي يتساءل فيه الرئيس الاميركي : من هم هؤلاء العرب ؟

انشطة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية

شاركت كلية الشريعة والدراسات الاسلامية في اليوم المفتوح والذي اقيم بمدرسة قرطبي لنظام المقررات الذي دعت اليه للمشاركة كليات الجامعة هذا وقد القى العميد المساعد الدكتور عجيل النشمي فكرة تنويرية لطلبة مدرسة قرطبي عن نظام المقررات في الجامعة وحول اهداف الكلية ونظام الدراسة فيها وعن مقرراتها ومجالات العمل للخريجين .

كما تم تشكيل مجلس ادارة المجلة « الشريعة والدراسات الاسلامية » برئاسة الاستاذ الدكتور حسن الشاذلي ـ الاساتذة التالية اسماؤهم اعضاء : زكي شعبان ـ علي عبدالمنعم ـ احمد غندور ـ محمد فوزي فيض الله ـ محمد طموم ـ احمد حسن فرحات ـ عجيل جاسم النشمي ـ خالد المذكور ـ سعد المرصفي

وقد تم تشكيل مجلس تحرير المجلة برئاسة الدكتور عجيل جاسم النشمي والاساتذة التالية اسماؤهم اعضاء : احمد الغندور ـ محمد فوزي فيض الله ـ احمد حسن فرحات ـ خالد المذكور ـ سعد المرصفي

دعوة اسلامية عاجلة لمفاوضات عراقية ايرانية

وجه المؤتمر الشعبي الاسلامي الذي اختتم اعماله في بغداد الشهر الماضي دعوة عاجلة الى كل من العراق وايران للجلوس على مائدة المفاوضات .

وقرر المؤتمر تشكيل لجنة باسم لجنة اصلاح ذات البين ولجنة السلام تتولى دعوة البلدين لطرح ما لديهما من ادلة وبيانات للتحكم بالنزاع كما قرر المؤتمر تشكيل لجنة متابعة تنفيذ القرارات والتوصيات التي اتخذها المؤتمر .



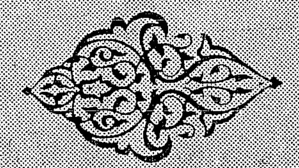
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسويل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر	الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب	الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس	الشركة التونسية للتوزيع
لبنان	بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
	الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
	الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
	المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط	مكتبة العائلة ـ روى ـ ص.ب : ٣٣٧٦
صنعاء	دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص.ب : ١١٠٧
البحرين	دار الهلال
قطر	دار العروبة ص.ب ٦٢٣
ابو ظبي	المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي	دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت	الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد



طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –